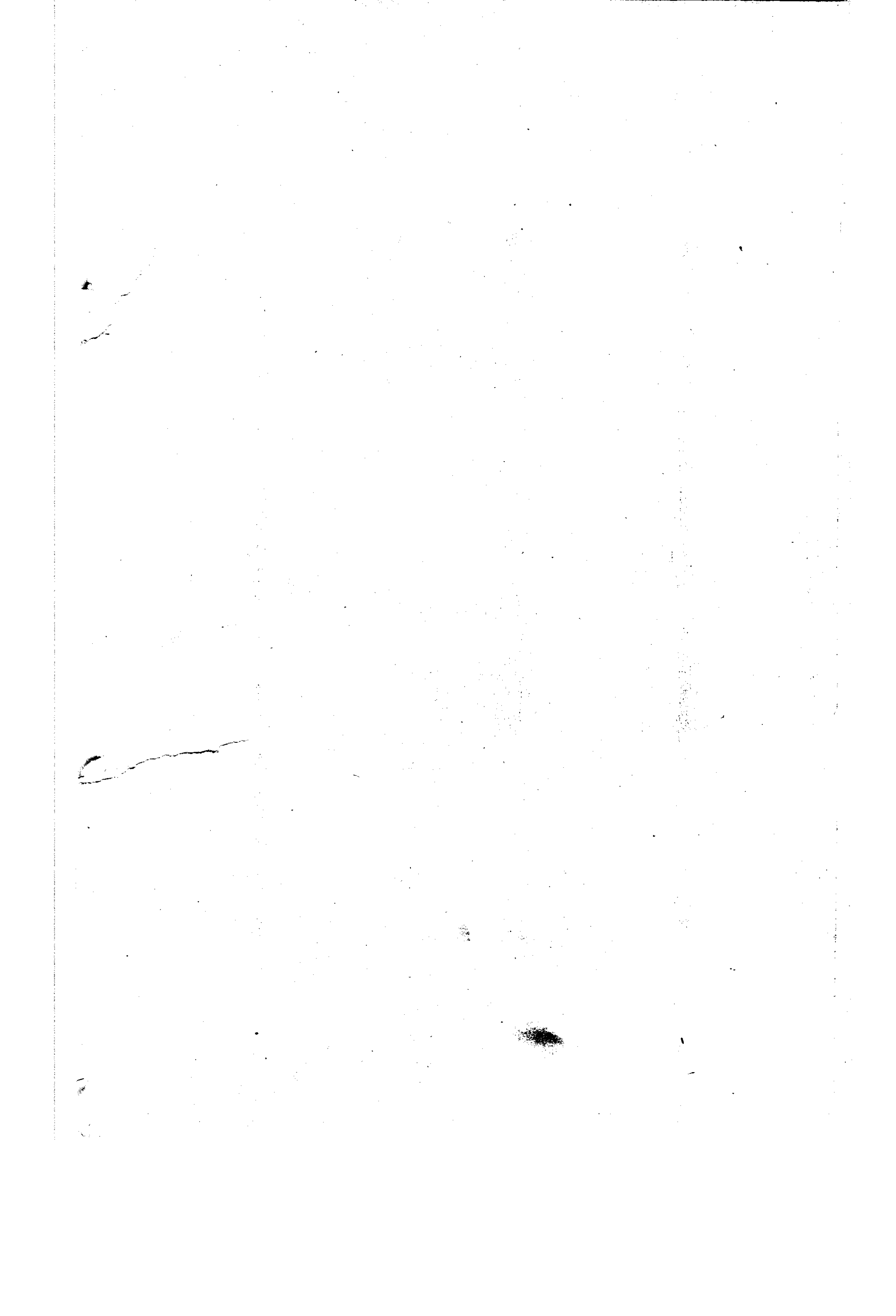
دراسات في العقيدة الإسلامية

الدكتور
أحمد محمد عبد العال الحنفاوي

أستاذ العقيدة والفلسفة
ووكيل كلية أصول الدين والدعوة
بطنطا

١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين – سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وأصحابه وأتباعه ومن تمسك بسنته واهتدى بهديه الى يوم الدين .

« وبعد »

لقد قام علماء العقيدة بدور عظيم فى الدفاع عنها فى الماضى – أما الآن فان المتخصصين فى مجال العقيدة يواجهون مسئولية تاريخية كبرى وهى التصدى للمشكلات العقدية التى ظهرت على الساحة الاسلامية لان الحروب الفكرية الآن ضد الاسلام عنيفة ، ومن ثم فان الجهود يجب ان تتحد وتتضافر للوقوف أمام الخطر الزاحف على الاسلام ذلك ان عقيدة المسلم تحتل مكانا رفيعا فى حياته ووجدانه – لأنها الاساس الذى يرتكز عليه دينه – ومن منطلق هذه العقيدة يكون سلوك المسلم فى الحياة – باعتبارها دافعة الى السلوك الطيب والاخلاق الفاضلة – لأن العقيدة الاسلامية تقوم بدور أساسى فى حياة الفرد والمجتمع فى أى عصر كان .

ولما كانت العقيدة الاسلامية بهذه المثابة كان من الواجب على كل مسلم العمل على تقويتها والبعد بها عن مزالق التيارات الالحادية وكل ما من شأنه ان يضعف هذه العقيدة – وذلك باتخاذ كل السبل وكافة الوسائل الموصلة الى هذا الهدف العلمى السامى .

ولذلك فقد وضعت هذه الدراسة « دراسات فى العقيدة الاسلامية » ، معتمدا اولا على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ مستوحيا فيها النص الدينى فى بساطة وقوة بعيدا عن تعقيدات المذاهب التى فرضتها ظروف ثقافية ربما كان عصرنا فى غنى عنها ·

ولست أدعى انى قد حزت قصب السبق فى هذا الميدان — ان بحوث العقيدة في الاسلام أكثر من ان تحصى — كتب السابقون والمعاصرون الا ان مناهجهم جاءت متعددة ·

ومن هنا فانى اقتصرت فى هذه الدراسة على عرض بعض مسائل العقيدة الاسلامية فى صورتها القرآنية الخالصة مدعما بعض موضوعاتها بالأدلة التى آتى بها العلم الحديث لكى تتناسب مع عقول شبابنا المعاصر — وقد يد من هذه الادلة — دون قصد من اصحابها — ان الحقائق العلمة الكونية لا تصطدم مع ما جاء فى كتاب الله تعالى قال تعالى « ولو انما فى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ان الله عزيز حكيم » ·

ولذلك فقد جاءت هذه الدراسة واضحة المعالم سهلة الاسلوب لا تعقيد فيها ولا غموض ·

فواجب العلماء والدعاة اليوم أن يقدموا الحقائق الاسلامية فى صورتها القرآنية الخالصة بالاسلوب الذى يتفق مع العصر الذى يعشون فيه ·

والمسلمون اليوم بحاجة الى ان يعرفوا حقائق دينهم من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ « والله يقول الحق وهو يهدى السبيل » ·

ولا أبرىء نفسى من الخطأ اذلا عصمـة الا للأنبيـاء والمرسلين ـ فأنا بحاجة الى عون المعينين وأراء المخلصين من أبناء ديننا الحنيف .

والله تعالى أسأل ان يوفقنا لمرضاته فى كل ما نقـوله ونفعـله وان يجعـل هذا العمل خالصـا لوجهـة الكـريم « وهو حسبنا ونعم الوكيل » .

دكتور/احمد محمد عبد العال الجغلوى

الفصل الأول

مفهوم العقيدة وتاريخها في الإسلام

مفهــوم العقيدة : تدل على ما يعقده الإنسان من التصميم والعزم وعقد قلبه على الخير أى لزمه. الخيل معقود فى نواصيها الخير

ان كلمة عقيدة مأخوذة من عقد بمعنى معقود - اسم مفعول - والعقد العهد (١) تقول العرب عقد العهد ، وعقد البيع والحبل ، فكلمة عقيدة هى العهـد والضمان وهى من الالفاظ الكلية التى لا يحدد مفهومها الا بما تضاف اليه ، ولكنهـا من حيث الاشتقاق اللغـوى تدل على ما يعقـده الانســان من التصميم والعـزم والعقد ، وعقـد قلبـه على الشىء اى لزمـه ففى حديث « الخيـل معقود فى نواصيها الخير » أى مـلازم لها كأنه معقــود فيها (٢)فكلمة عقيدة مأخوذة من العقد وهو الجمـع بين أطراف الشىء ويستعمل ذلك فى الاجسام الصلبة كعقد البناء ، كما استعار للمعانى التى تدل على العقد نحو عقد البيع وعقد النكاح ،وعقد اليمين قال تعالى « ياأيهـا الذين آمنـوا أوفوا بالعقــود » (٣) وقال تعالى « ولا تعزموا عقــدة النكاح حتى يبلغ الكتــاب أجله » (٤) وقال تعالى « والذين عقدت أيمــانكم فأتوهـم نصيبهم » (٥) وقال تعالى « لا يؤاخــذكم الله باللغو فى أيمانكم ولكن يؤخذكم بما عقدتم الايمان » (٦) .

من هنا فلاحظ ان كلمة العقيدة لم تأت فى القرآن الكريم بنفس اللفظ ولا فى معاجم اللغـة الا فى المصباح المنير

---

١ - الامام الرازى - مختار الصحاح - مادة عقد ص١٤٤

٢ - الامــام ابن منظور لسـان العرب - المجلد الرابـع ص٣٠٣٢ طبع ونشر مكتبة الصحابة بطنطا .

٣ - سورة المائدة الآية رقم ١ .

٤ - سورة البقرة الآية رقم ٢٣٥ .

٥ - سورة النساء الآية رقم ٣٣

٦ - سورة المائدة الآية رقم ٨٩

فقد ذكر فيه الفيومى : أن العقيدة ما يدين الانسان به فى الايمان بحقيقة معينة ايمانا قطعيا لا يقبل الشك أو الجدل (٧) وجاء فى المعجم الوسيط ان العقيدة هى الحكم الذى لا يقبل الشك فيه لدى معتقدة ، ويراد بها الاعتقاد ، والمعتقد وجمعها عقائد ، وتطلق فى الدين على ما يؤمن به الانسان ويعتقده (٨) ٠

فمن خلال ما سبق نلاحظ ان العقيدة تعنى الاحكام والتوثيق والارتباط ، على أساس الارتباط الوثيق بالايمان بالله تعالى كما جاء فى قوله تعالى « ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى » (٩) ٠

فالعقيدة هى العروة الوثقى التى ترتبط كل الارتباط بكيان الانسان وتكون مقوما ضروريا لطبيعته ، فهى المعتقد النفسى الذى يطمئن اليه القلب والوجدان والعقل ٠

معناها فى الاصطلاح :

ان العقيدة الصحيحة هى أهم ما يتطلب من الانسان الايمان به والعمل ، لأن عمل الانسان ينبع من اعتقاده ، فبقدر ما تصح عقيدة الانسان بقدر ما تزكو أخلاقه وتستقيم اعماله ، لذلك فان العقيدة الاسلامية هى الجانب النظرى الذى يجب على المؤمن اولا ان يؤمن به ايمانا يقينيا مبنى على التصديق الجازم ٠

---

٧ - المصباح المنير جـ٢ ص٦٤١ - الطبعة الثالثة سنة ١٩١٢م المطبعة الاميرية - مصر ٠

٨ - المعجم الوسيط جـ٢ ص٦١٤ - مجمع اللغة العربية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٠

٩ - سورة لقمان الآية رقم ٢٢ ٠

والعقيدة كعلم مختص بالجانب الاعتقادى عرفها الامام سعد الدين التفتازانى بأنها : العلم بالعقائد الدينية عن الأدلة اليقينية ـ وموضوعه ـ المعلوم من حيث يتعلق به اثباتها ـ ومسائلة : القضايا النظرية الشرعية الاعتقادية ـ وغايته ـ ان يصير الايمان والتصديق بالاحكام الشرعية متيقنا محكما لا تزلزله شبه المبطلين ، ومنفعته فى الدنيا : انتظام أمر المعاش بالمحافظة على العدل ، والمعاملة التى يحتاج اليها فى بقاء النوع على وجه لا يؤدى الى الفساد ، وفى الآخرة النجاة من العذاب المرتب على الكفر وسوء الاعتقاد (١٠) .

كما عرفها الامام عضد الدين الا يجى بقوله بأنها : علم يقتدر معه على اثبات العقائد الدينية بايراد الحجج ودفع الشبه ، والمراد بالعقائد ما يقصد به نفس الاعتقاد دون العمل ـ وبالدينية المنسوبة الى دين محمد ﷺ (١٢) .

وقال بعض الباحثين (١٣) ان العقيدة هى مجموعة من قضايا الحق المسلمة بالعقل والسمع والفطرة ، يعقد عليها الانسان قلبه ويثنى عليها صدره جازما بصحتها قاطعا بوجودها وثبوتها لا يرى خلافها انه يصح او يكون أبدا وذلك كاعتقاد الانسان بوجود خالقه ، وعلمه به وقدرته عليه ، ولقائه به بعد موته ونهاية حياته ، ومجازاته اياه على كسبه الاختيارى وعمله غير الاضطرارى ، وكاعتقاده

---

١٠ ـ الامام سعد الدين التفتازانى ـ شرح المقاصد جـ١ ص ٨-٥ .

١١ ـ الامام عضد الدين الا يجى ـ المواقف ص ٧ .

١٢ ـ الاستاذ ابو بكر جابر الجزائرى ـ عقيدة المؤمن ص ١٩ طبعة الحلبى .

بوجوب طاعته فيما بلغه من أوامره ونواهيه من طريق نبيه ورسله الكرام ، طاعة تزكو بها نفسه وتتهذب بها مشاعره وتكتمل بها أخلاقه ، وتنظم بها علاقته بين الخلق والحياة ٠

فالعقيدة الاسلامية : هى الجانب النظرى الذى يجب على المؤمن الايمان به أولا ايمانا يقينا مبنى على التصديق الجازم لا يتطرق اليه أى شك ، مع الشعور بالرضا والقبول والاطمئنان به ٠

وعلى هذا يتناول مفهوم العقيدة ستة أمور (١٣) ٠

أولا : المعرفة بالله ، والمعرفة بأسمائه الحسنى وصفاته العليا ، والمعرفة بدلائل وجوده ، ومظاهر عظمته فى الكون والطبيعة ٠

ثانيا : المعرفة بعالم ما وراء الطبيعة ، أو العالم غير المنظور ، وما فيه من قوى الخير ٠

ثالثا : المعرفة بكتب الله التى أنزلها لتحديد معالم الحق والباطل ، والخير والشر ، والحلال والحرام ، والحسن والقبيح ٠

رابعا : المعرفة بأنبياء الله ورسله الذين اختارهم ليكونوا اعلام الهدى وقادة الخلق الى الحق ٠

خامسا : المعرفة باليوم الآخر ، وما فيه من بعث وجزاء ، وثواب وعقاب وجنة ونار ٠

---

١٣ ـ الشيخ السيد سابق ـ العقائد الاسلامية ص٨ ـ دار الفكر بيروت الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م ٠

سادسا : المعرفة بالقدر الذى يسير عليه نظام الكون فى الخلق والتدبير .

أهمية العقيدة :

ان للعقيدة أهمية بالغة فى حياة الفرد والمجتمع ، فمنذ ظهور الانسان على ظهر هذه البسيطة ، وللعقيدة الدينية أهمية بالغة فى حياة الانسان . فهى كما يقول العقاد طريقة حياة لا طريقة فكر ولا طريقة دراسة ، انما تعنى بها حاجة النفس كما يحسها من احاطه بتلك الدراسات ، ومن فرغ من العلم والمراجعة ، ليترقب مكان العقيدة من قراءة ضميره ، انما نعنى ما يملأ النفس لا مايملأ الرؤس أو يملأ الصفحات ، فالعقيدة التى يصح ان توصف بالدينية هى العقيدة التى تعتمد على سند فوق الطبيعة وان العقيدة على آية حال : قوة مطلوبة لا يستغنى عنها من وجدها ولا يطيق الفراغ منها من فقدها ولا يرفضها من اعتصم منها بمعتصم واستقر فيها على قرار (١٤) .

ذلك لأن العقيدة ، مصدر للعواطف النبيلة ومغرس للمشاعر الطيبة ومنبت للاحاسيس الشريفة ، فما من فضيلة الا وتصدر عنها ولا صالحة الا ترد اليها اشار الى ذلك القرآن الكريم فحينما يتحدث عن الصالحات انما يذكر العقيدة فى طليعة البر كأصل تتفرع عنه وأساس تقوم عليه قال تعالى « ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى

---

١٤ ـ الاستاذ عباس العقاد ـ عقائد المفكرين ص٢٤ نشر مكتبة غريب مطبعة الاستقلال الكبرى .

القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون » (١٥) ٠

من هنا يبدو بجلاء أهمية العقيدة فى تهذيب السلوك وتزكية النفوس وتوجيهها نحو المثل الاعلى فضلا أنها حقائق ثابتة وهى تعد من أعلى المعارف الانسانية ، بل هى اعلاها على الاطلاق (١٦) ٠

فتهذيب سلوك الافراد عن طريق غرس العقيدة الدينية هو أسلوب من أعظم الاساليب ، ولا يكاد يدانيه فى سلطاته وتأثيره شيء آخر من الوسائل التى ابتكرها العلماء ورجال التربية فغرس العقيدة فى النفوس هو أمثل طريقة لايجاد عناصر صالحة تستطيع ان تقوم بدورها كاملا فى الحياة ، وتسهم بنصيب كبير فى تزويدها بما هو أنفع وأرشد ٠

ان العقيدة هى الروح لكل فرد بها يحيا الحياة الطيبة ، وهى النور الذى يهدى اليه الله من عباده من يعلم منهم الاستعداد لتقبله والسير على هداه قال تعالى « وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا » (١٧) ويقول سبحانه « قد جاءكم من الله نور

---

١٥ ـ سورة البقرة الآية رقم ١٧٧ ٠

١٦ ـ انظر الدكتور احمد ابو السعادات ـ دراسات فى العقيدة الاسلامية ص ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ٠

١٧ ـ سورة الشورى الآية رقم ٥٢ ٠

وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم » (١٨) .

وفى المقابل يبعد الله هذا النور عن الذين علم منهم عدم الانقياد له وعدم الالتزام بأوامره ، واطاعوا شياطينهم فأبعدوهم عن نور العقيدة الى الظلمات الحالكة قال تعالى « والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » (١٩) .

ومن ثم تظهر الحكمة واضحة فى جعل الايمان عاما وخالدا ، وفى ان الله سبحانه ـ لم يترك جيلا من الاجيال ، ولا أمة من الأمم بدون ارسال رسول يدعو الى الايمان والى تعميق جذور هذه العقيدة وصدق الله حيث يقول « وان من أمة الا خلا فيها نذير » (٢٠) .

---

١٨ ـ سورة المائدة الآية رقم ١٥ ، ١٦

١٩ ـ سورة البقرة الآية رقم ٢٥٧ .

٢٠ ـ سورة فاطر الآية رقم ٢٤ .

العقيدة فى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة رضى الله عنهم اجمعين .

توطئة :

لقد كان الهدف الأول لجميع الرسل السابقين على رسالة الاسلام هو الدعوة الى التوحيد المطلق والتنزية الكامل لله رب العالمين - فقد كان آدم عليه السلام نبيا موحدا على أنقى صور التوحيد وأصفاه - فقد عرف حقيقة التوحيد كاملة ، وعرف طبيعة العلاقة بين الخالق والمخلوق « قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين »(٢١) فهذا اعتراف فيه رجوع وانابة وخضوع للواحد الديان الذى خلقه من تراب ثم نفخ فيه من روحه وأسجد له الملائكة .

فقد هبط آدم عليه السلام الى الارض مسلما لله متبعا لهداه وان الله أخذ عليه العهد هو وزوجته - أن يتبعا ما يأتيهما من هدى وان يبتعد عن خطوات الشيطان اذ هو لهما عدو مبين فقد قال تعالى « فاما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى » (٢٢) .

والذى لا شك فيه ان آدم عليه السلام قد قام بنقل ما تلقاه من ربه الى بنيه وتعريفهم باسلامه وعقيدته - وتلقى نبوة هذه التعاليم وتوارثوها جيلا بعد جيل لا تعرف الا توحيد الله عقيدة واسلام الوجه لله دينا .

---

٢١ - سورة الاعراف الآية رقم ٢٣ -

٢٢ - سورة طه الآية رقم ١٢٣ - ١٢٤ .

فالتوحيد اصل فى البشرية به بدأت وعليه نشأت - أما الشرك والانحراف فهو شىء طارىء فيها - ولا عجب فقد أخذ الله العهد والميثاق على ذرية آدم منذ براهم - وهم لا يزالون فى عالم الذر قال تعالى « واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين » (٢٣) .

يؤيد هذا ما يرويه النبى ﷺ عن ربه « اني خلقت عبادى حنفاء كلهم - وانهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم ان يشركوا بى ما لم انزل به سلطانا » (٢٤) .

من هنا تعلم ان توحيد الله ومعرفته والاسلام له كانت القواعد الاولى للتدين التى عرفتها البشرية فى الارض وبدأت عهدها - ولكن لما طال الامد بذرارى آدم قست قلوبهم وانحرفت فطرتهم واجتالهم ابليس الذى اهبط مع أبيهم عدوا لهم - فعبدوا الطواغيت والاصنام من دون الله عند ذلك أرسل الحق تبارك وتعالى الرسل رحمة بالعباد قال تعالى « وان من أمة الا خلا فيها نذير » (٢٥) .

---

٢٣ - سورة الاعراف الآية رقم

٢٤ - الامام مسلم - صحيح مسلم - كتاب الجنة باب الصفات التى يعرف بها فى الدنيا أهل الجنة وأهل النار ج٤ ص٢١٩٧ طبعة الحلبى تحقيق - محمد فؤاد عبد الباقر .

٢٥ - سورة فاطر الآية رقم ٢٤ ..

بدأ بذلك آدم عليه السلام الذى عرف بنيه بربهم وبالاسلام ثم توالى موكب الايمان بعد ذلك يتعهد البشرية اولا بأول ويعيدها الى ربها اذا ضلت طريقة او اخطأت هداه .

وكان نوح عليه السلام الذى جدد الدعوة الى التوحيد واعاد اليه نقاءه وصفاءه - وحاول جاهدا بكل ما يملك من طاقة النبى المرسل ان يخرج الناس مما انتكسوا فيه من ضلال وكفران قال تعالى « ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره » (٢٦) .

وكانت النتيجة ان أنجى الله نوحا ومن آمن معه وأغرق من عداهم من عبدة الاصنام والاوثان ثم استمر موكب الدعوة والهداية يتجدد حينا بعد آخر - فكان هود ، وصالح ، وشعيب ، وابراهيم ، واسماعيل ، ويعقوب واسحاق ، ويوسف ، وموسى ، وعيسى حتى جاء خاتمهم محمد ﷺ - فأكمل الله به الدين وأتم النعمة قال تعالى « وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون » (٢٧) .

وهكذا حتى كانت الرسالة الاسلامية منذ بدئها دعوة الى التوحيد والى ان يرث الارض ومن عليها .

وقد عمل الرسول ﷺ جاهدا على أن يوطد أركان هذه العقيدة فى نفوس الذين أتبعوه وفق ما آمره به ربه جل علاه وفى اشارة خفيفة نشير الى العقيدة فى عصر الرسول ﷺ .

---

٢٦ - سورة الاعراف الآية رقم ٥٩ .
٢٧ - سورة الانبياء الآية رقم ٢٥ .

العقيدة فى عصر الرسول صلى الله عيله وسلم :

لقد شاءت ارادة المولى عز وجل ، أنه جل شأنه لم يدع الناس الى مداركهم الضيقة وعقولهم القاصرة فى تفهم شئون العقيدة ومسائلها ، فأرسل رسوله محمد ﷺ ـ بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله داعيا الى الوحدة فى الدين والى التآلف والتآخى مع مخاليفه ناهيا عن الفرقة والاختلاف قال تعالى « قل يأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » (٢٨) .

وعلى ذلك فقد جاء القرآن الكريم فنهج بالدين منهجا لم يكن عليه ما سبقه من الكتب المقدسة فقص علينا من صفات الله تعالى ما أوجب الله علينا ان نعلم بها ، لكنه لم يطلب التسليم بها بمجرد انه جاء بحكايته ، بل أقام الدعوى ، وبرهن وحكى مذهب المخالفين وكر عليها عليها بالحجة ، وصاح بالعقل صيحة أزعجته من سباته ونبهه من غفلة طال عليه النوم فيها وعرض نظام الاكوان وما هى عليه من دقائق الصنع وحسن الترتيب ليوقظه للنظر فيها فيستدل على ان الله موجود وأنه عالم قادر مريد وان بيده كل شىء وان كل المخلوقات بقضاءه وقدره (٢٩).

---

(٢٨) سورة آل عمران الآية رقم ٦٤ .

(٢٩) الدكتور على جبر ـ محاضرات فى مناهج البحث ص٥٦ .

ففى حياة الرسول ﷺ كان القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ بلبيان حاجات هذا المجتمع سواء أكانت هذه الحاجات اعتقادية أو خلقية أو تشريعية ، لان القرآن دعوة للناس جميعا على اختلاف حظوظهم من العقل والقدرة على التفكير ، كان منه ما يتجه للقلب ليتفتح للموعظة ، وكان منه ما يتجه للعقل ليذعن للمنطق والدليل ، وكان منه بجانب هذا وذاك ، ما يشتمل على الحقيقة التى يفهمها الجميع (٣٠) .

ومع ذلك فقد كانت هناك الأسئلة توجه الى الرسول ﷺ - فيجيب عنها الوحي القرآنى تارة وأحاديث الرسول ﷺ تارة أخرى ، وكان الرسول يجيب عنها فى تلطف أحيانا وأحيانا أخرى فى عنف أو سخرية كل ذلك حسب ما يقتضيه المقام (٣١) لان الرسول ﷺ كان يكره المراء فى الدين والجدل بين المسلمين ، الا أن التساؤل والجدل كان يلح على بعض المسلمين فى عصر الرسول ﷺ ، وليست دواعى الجدل متوفرة فيهم ومصدر الوحى قائم بينهم يرجعون اليه متى يشاؤن .

ولكن هذا الجدل فى العقائد قد عرض له القرآن الكريم بحسب الحاجة وعلى مقدارها ، وذلك على ان يجادل المخالفين من أرباب الديانات والملل الأخرى من العرب وغيرهم ردا للشبهات التى كانوا يثيرونها حول عقائد الدين الجديد على ان لا يتمادى فى الجدل وان لا يشجع المسلمين على المضى فيه .

---

(٣٠) الدكتور محمد يوسف موسى - القرآن والفلسفة ص٨٠

(٣١) الدكتور عبد الحليم محمود - التفكير الفلسفى فى الاسلام جـ١ ص ١١٩ .

يقول بعض مفكرينا « اذا كان من الضرورى أن يثير القـرآن ، وهـذا شأنه وطبيعتـه ، مـا آثار من الجـدل والتفكير ، سواء أكان من الذين أخلصوا حقا بقلوبهم للدين الجديد أو من الآخرين أيضا الذين دخلوا فى الاسلام وفى قلوبهم كثير أو قليـل مما كانوا عليـه من دين وعقائد لـم يتخلصوا تماما منها » (٣٢) .

لذا نلاحظ ان القرآن الكريم قد أشـار الى منهج الجدل ضـد اصحاب العقائد الفاسـدة ، فناقش المشركين عبـدة الاصنام ، والصابئـة عبـدة الكواكب ، والمجـوس الذين يقـولون بالهين : أحدهما للنور والآخـر الظلمـة ، كمـا ناقش أصحاب الكتب السماوية كى يظهر ما أضحوا عليـه من الانحراف عن الدين الحق والعقيدة الصحيحة .

وقد جمـع القـرآن الكريـم الأديان التى كان للعـرب اتصال بها حين نزوله فى قوله تعـالى « ان الذين آمنوا والذين هـادوا والصابئين والنصـارى والمجـوس والذين أشـركوا ان الله يفصـل بينـهم يـوم القيـامة ان الله على كل شىء شهيد » (٣٣) .

كان فى العـرب اذن من يميل الى اليهودية ومنهم من كان يميل الى النصرانية ومنهم من كان يصبوا الى الصابئة وقبل هؤلاء جميعا كان فيهم مؤمنون (٣٤) .

---

(٣٢) الدكتور محمد يوسف موسى - القرآن والفلسفة ص٣٢ .
(٣٣) سورة الحج الآية رقم ١٧ .
(٣٤) راجع بالتفصيل عقـائد كل طائفـه فى الملـل والنحـل للشهرستاني جـ٣ من ص ٧٩ الى ٩٤ .

فالقرآن الكريم وهو يصـور عقيدة هذه الطوائف كان يعقب على معتقد كل طائفة فمثلا نلاحظ فى الآية السابقة ، يصدرها بتعداد الطوائف ثم يذكر فى عجزها قوله تعـالى « ان الله يفصل بينهم يوم القيامة »

وفى هذا دلالة على ان هؤلاء جميعا ليسـوا سواء فى المعتقد وان الحق متعين فى احدى هذه الطوائف وهى طائفة المؤمنين ٠

الا أن القرآن الكريم وان عنى فى مواضع كثيرة ببيان بطـلان ما كان عليه العرب من عقائد غير صحيحه ، على اختلاف دياناتهم وملل‍هم فقد نهى مـع هذا عن الفـرقة فى الدين ، وعن الجدل مع المخالفين الا بالحسنى ، وذلك منه استمالة للقلوب وحرصا على الألفـة والوحـدة (٣٥) ومن مثـل هذه قـوله تعـالى « شرع لكم من الدين ما وصى بـه نوحا والذى أوحينـا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان أقيمـوا الدين ولا تتفرقوا فيه » (٣٦) وقـوله تعـالى « ان الذين فرقـوا دينهم وكانـوا شـيعا لست منهم فى شىء ، انما أمرهـم الى الله ثم ينبئهم بمـا كانوا يفعلون » (٣٧) ٠

وقوله تعالى « وان جادلوك فقل الله اعلم بما تعملون ، الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون »(٣٨) وقوله تعـالى « ولا تجـادلوا أهل الكتـاب الا بالتى هى

---

(٣٥) الدكتور محمد يوسف موسى ـ القرآن والفلسفة ص٣٣ ٠

(٣٦) سورة الشورى الآية رقم ١٣ ٠

(٣٧) سورة الانعام الآية رقم ١٥٩ ٠

(٣٨) سورة الحج الآية رقم ٦٨ ، ٦٩ ٠

أحسن الا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذى أنزل الينا وانزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون » (٣٩) فالجدل المنهى عنه فى القرآن الكريم هو الجدل السوفسطائى واذا كان القرآن الكريم ينهى عن الجدل الا أنه كان ينعى على التقليد ويحث على النظر والتفكير فى الكثير من آيات القرآن الكريم ؛ لذا كان لابد للمسلمين من أن يعملوا النظر فى القرآن نفسه من جميع نواحيه ليحيطوا به فهما وعلما (٤٠) .

لذا يرى الامام الشيخ مصطفى عبد الرازق قائلا كان ... القرآن ... يجادل مخالفيه من أرباب الاديان والملل فى العرب - ردا للشبهات التى كانوا يثيرونها حول عقائد الدين الجديد على أنه كان لا يمد فى حبل الجدل حرصا على الالفة ، (٤١) وفى قوله أيضا « هذا الجدل فى العقائد عرض له القرآن للحاجة وعلى مقدارها من غير ان يشجع المسلمين على المضى فيه » (٤٢) .

فالحياة الاسلامية كلها ليست سوى التفسير القرآنى: فمن النظر فى قوانين القرآن العملية نشأ الفقه ، ومن النظر فيه ككتاب يضع الميتافيزيقا ننشأ الكلام ومن النظر فيه ككتاب للحكم نشأ علم السياسة ، ومن النظر فيه كلغة الهية نشأت علوم اللغة ، وتطور العلوم الاسلامية جميعها انما ينبغى ان يبحث فى هذا النطاق : فى النطاق

---

(٣٩) سورة العنكبوت الآية رقم ٤٦ .

(٤٠) الدكتور محمد يوسف موسى - القرآن والفلسفة ص٣٣ .

(٤١) الشيخ مصطفى عبد الرازق - تمهيد لتاريخ الفلسفة ص١١٥ الطبعة الثانية سنة ١٣٧٩هـ ، ١٩٥٩م .

(٤٢) المصدر السابق ص ١١٦ .

القرآني نشأت وفيه نضجت وترعرعت وفيه تطورت وواجهت علوم الأمم تؤيدها أو تنكرها فيضوئه (٤٣) .

فاذا كان القرآن الكريم قد أشار الى مجادلة المخالفين بالحسنى حرصا على وحدة الجماعة الا أنه نهى عن الجدل الذى يؤدى الى المراء فى الدين - ذلك الجدل الذى يؤدى الى تجاهل دواعى الايمان - من ذلك ما جاء فى الحديث الذى رواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : خرج رسول الله ﷺ على أصحابه ذات يوم وهم يتنازعون فى القدر فخرج مغضبا حتى وقف عليهم فقال : يا قوم بهذا ضلت الأمم قبلكم باختلافهم على أنبيائهم وضربهم الكتاب بعضه ببعض وان القرآن لم ينزل لتضربوا بعضه ببعض ، ولكن نزل القرآن فصدق بعضه بعضا ما عرفتم منه فاعملوا به وما تشابه فآمنوا به » (٤٤) .

وأخرج عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : خرج علينا رسول ﷺ ونحن نتنازع فى القدر فغضب حتى أحمر وجهه ثم قال : أبهذا أمرتم أم أرسلت اليكم انما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا فى هذا الأمر عزمت عليكم أن لا تتنازعوا » (٤٥) الى غير ذلك من الاحاديث التى وردت فى هذا الشأن .

---

(٤٣) الدكتور على سامى النشار - نشأت الفكر الفلسفى فى الاسلام جـ١ ص ١٢٧ .

(٤٤) الامام جلال الدين السيوطى - صون المنطق والكلام جـ١ ص٧٠ .

(٤٥) المصدر السابق - نفس المكان .

من هنا نلاحظ ان عصر الرسول ﷺ كان يحتوى على بذور التفكير الذاتى فى أمر العقيدة الاسلامية ، ولكن الرسول ﷺ كثيرا ما كان ينهى أصحابه عن المراء فى الدين مبينا لهم عواقبه الوخيمة .

لذا يرى بعض الباحثين قائلا ومهما يكن من أمر فان الذى لا يختلف عليه اثنان ان بيئة المسلمين فى عصر الرسول ﷺ ، كانت تحتوى على بذور التفكير فى مسائل العقيدة وان جانبا من المتنعين عن هذا النوع من التفكير انما كان امتناعهم راجعا الى رهبة الموقف الذى يجدون أنفسهم فيه ويخطىء من يظن ان البيئة الاسلامية كانت فى ذلك الوقت خاصة بعد ان دانت للرسول أجزاء الجزيرة العربية وأنحاءها المختلفة ـ لا تزاول نشاطا فكريا حول العقيدة الاسلامية (٤٦)

وبالرغم من ذلك فقد مضى زمن الرسول ﷺ والامة وحدة لم تنفصم عراها فقد كانوا على رأى واحد وعقيدة واحدة ـ حيث كان الرسول ﷺ هو مرجعهم فى أمور دينهم ودنياهم ـ ولو كان التساؤل والجدل كان يلح على بعض المسلمين فى زمنه ﷺ الا ان الوحى كان ينزل على الرسول ﷺ ناهيا عن المراء والجدل فى الدين فقد قال الحق تبارك وتعالى « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا » (٤٧) .

---

(٤٦) الدكتور يحيى هاشم فرغل ـ نشأة الاراء والمذاهب والفرق الكلامية جـ١ ص ٤٣ .

(٤٧) سورة النساء الآية رقم ٥٩ .

العقيدة فى عصر الصحابة رضى الله عنهم اجمعين :

هكذا مضى زمن الرسول ﷺ والمسلمون على رأى واحد وعقيدة واحدة ، وان كانت هناك خلافات قد وقعت بين المسلمين فى حال مرضه ﷺ وبعد وفاته ـ الا أنها كانت خلافات اجتهادية كان الغرض منها اقامة مراسم الشرع وادامة مناهج الدين (٤٨) .

وهكذا لم يحدث نزاع من شأنه ان يثير فرقة المسلمين فى زمن الخليفة الاول أبو بكر الصديق رضى الله عنه سوى حركة الردة ، والخليفة الثانى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، غير أن صبيغ بن عسيل اخذ يسأل عن متشابه القرآن أيام عمر رضى الله عنه ـ فأدمى عمر رضى الله عنه رأسه ـ فقال حسبك يأمير المؤمنين فقد ذهب والله ما كنت أجده فى رأسى ـ وهكذا كانت العقيدة صافية من الكتاب والسنة وأحكام الشرع خاصة لا تأويل فيها وما جد من خلاف فانه كان فى الفروع لا فى الاصول .

وهكذا حتى تولى الخلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وانتظم الأمر له واستمرت الدعوة فى أيامه وكثرت الفتوحات فى زمانه الى ان وقعت بعض الخلافات فى زمنه ، حتى وجد الفاتنون المندسون بين المسلمين مرتعا خصبا لبذر الشر والفساد بين الامة المجتمعة فسعوا جهدهم لتفريق كلمة المسلمين ، انتقاما منهم لاممهم المغلوبة ؛ والتحف أناس الاسلام لا حبا فيه بل حبا للفرقة والخلاف ؛ وما ان تولى أمير المؤمنين الامام على رضى الله عنه الخلافة حتى أفرغ المذهب الشيعى ـ ذلك ان عبد الله بن سبأ اليهودى المعروف بابن السوداء الذى

---

(٤٨) الشهرستانى ـ الملل والنحل جـ١ ص٢٠ .

اصطنع الاسلام وهو يضمر أن يكيد له « كان أول من أحدث القول بوصية رسول الله ﷺ لعلى ابن أبى طالب — وكان أول من أحدث القول بأنه رضى الله عنه لم يقتل وأنه لايزال حيا.. وان فيه جزءا الهيا ، وانه لا بد ان ينزل الى الأرض فيملأها عدلا كما ملئت جورا — وأكثر هذه القضايا مأخوذ عن اليهودية » (٤٩) .

وهكذا نبت المذهب الشيعى — وهم الذين شايعوا عليا رضى الله عنه وقالوا بإمامته وخلافته نصا وصية اما جليا واما خفيا واعتقدوا أن الامامة لا تخرج من أولاده وان خرجت فبظلم من غيره أو بتقية من عنده (٥٠) وظل الامر على هذا الحال الى ان خرج على الامام على رضى الله عنه جماعة ممن كانوا معه فى مسألة التحكيم التى كانت بينه وبين معاوية ابن أبى سفيان فأبوا خلعه وإكفاره بالتحكيم وخرجوا عليه فسموا خوارج لأنهم خرجوا على الامام على رضى الله عنه يقول الشهرستانى كل من خرج على الامام الحق الذى اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجيا سواء أكان الخروج فى أيام الصحابه على الأئمة الراشدين أو كان بعدهم على التابعين بإحسان ، وأول من خرج على أمير المؤمنين على جماعة ممن كانوا فى حربه بصفين وأشدهم خروجا ومروقا من الدين الاشعث بن قيس الكندى ومسعود بن فدك التميمى وزيد بن حصين الطائى حين قالوا القوم يدعوننا الى كتاب الله وأنت تدعونا الى السيف .

---

(٤٩) الامام ابو الحسن الاشعرى — مقالات الاسلاميين جـ١ ص١١ مقدمة التحقيق للشيخ محمد محى الدين عبد الحميد .

(٥٠) الشهرستانى — الملل والنحل جـ١ ص١٩١ .

وهكذا كان شر الخـوارج قد استطار حيث أنهم قـد أعلنوا ان مرتكب الكبيرة كافر مخلد فى النـار لا يخـرج منها ابدا ، وكان هناك جماعة من المسلمين يقولون : أنه مؤمن وان فسق بارتكاب الكبيرة وكان أبو حنيفة واصل بن عطاد يجلس الى الامام الحسن البصرى ويتلمذ عليـه فجرى ذكر هذه المسألة فقال : واصل أنا أقول فى مرتكب الكبيرة من هذه الامة ، أنه لا مؤمن ولا كافر ولكنه فى منزلة بين المنزلتين فغضب الامـام لذلك وطـرده من مجلسـه فاعتزل عنه وجلس فى ناحية المسجد وانضم اليه جمـاعة قيل لهما ولاتباعهما المعتزلون أو المعتزلة ٠

وهكذا نشأ الخـوارج وكانت فى مبدأ نشأتها عاطفة سياسية جامحـة أخرجتها عن الصواب والطريق السـوى حتى انقلبت الى فرقة دينية تجادل فى العقيدة ـ كمسألة مرتكب الكبيرة ومسألة الخلافة وعلى ضـد الخوارج قامت فرقة الشيعة الذين ينصـرون عليا وذريتـه حتى كان زمن الامـويين والعباسيين نبتت فرقـة المعتـزلة ونبت معهـا البذور الاولى لعلم الكلام فى الاسلام ـ واخذ المعتزلة فى الجـرى وراء العقل والبحث فى كل شىء حتى بعـدوا عن طريق الجمـاعة واخذوا يؤولون قضـايا الدين وينزاونهـا على حكم العقل خلصة بعد مجادلتهم لفرق الزيغ والضلال من الزنادقة ، والملاحـده ، واليهود ، والنصارى والمزدكيـة والزرادشتيه الذين تجمعـوا على الاسـلام وأرادوا تأويله واضعافه بين نفوس المسلمين (٥١) ٠

وفى زمن العباسيين وبالخصوص فى عهد الخليفـة المأمـون الذى تولى الخـلافة سنة ١٩٨ ـ ٢٣٢هـ : ٨١٣

---

(٥١) الدكتور على جبر ـ محاضرات فى مناهج البحث ص٦٠

٨٤٦م فقد بلـغ العقل أوجـه فى زمنهم ، فنقلت فلسـفات اليونان والرومان الى العربية ، حتى وجد بين المسـلمين فلاسفة على منهج اليونان تجمعت هذه الاراء تحت ظلال الاسـلام ، وبالرغم من حمل هذه الفرق على أهل السـنة والجماعة ، ولكنهـا بقيت شامخـة كالطود لا يصيبها من رذاذ هؤلاء الاضعاف النفوس .

الحديث المأثور فى افتراق الأمـة

جاء فى الأثر عن النبى ﷺ فيما رواه عنـه أبو داود ، والترمذى وابن ماجـه « افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة ، وافترقت النصـارى على اثنتين وسبعين ، وتفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة » .

وفى روايـة لأبى داود والحـاكم بـزيادة « اثنتـان وسبعون فى النار وواحدة فى الجنة » وفي رواية « ما أنا عليـه وأصحابى » .

وذكر المرحوم الدكتور عبد الحليم محمود قائلا (٥٢) : ان مما يدعو الى الارتياح ويثلج الصدور أن الشعرانى فى ميزانه قـد روى من حـديث ابن النجار وصححه الحـاكم بلفظ غريب وهو « ستفترق أمتى على نيف وسبعين فرقـة كلها فى الجنة الا واحدة » وفى رواية عن الديلمى « الهالك منها واحـدة » وفى هامش الميـزان عن أنس عن النبى ﷺ بلفظ « تفترق أمتى على بضـع وسـبعين فرقـة كلهـا فى الجنة الا الزنـادقة » .

---

(٥٢) الدكتور عبد الحليم محمود ـ التفكير الفلسفى فى الاسـلام جـ١ ص ١٠١

وجاء فى الفرق بين الفرق للبغـدادى - أنه روى عن أنس عن النبى ﷺ قال « ان بنى اسرائيـل افتـرقت على احـدى وسبعين فرقـة وان أمتى سـتفترق على أثنيـن وسبعين فرقـة . كلهـا فى النـار الا واحـدة ، وهى الجماعـة » (٥٣) .

وذكر البغدادى ان للحـديث الوارد على افتراق الأمة أسانيد كثيرة ، فقد رواه عن النبى ﷺ جماعة من الصحابة: كأنس بن مالك ، وأبى هريرة ، وأبى الدرداء ، وجابـر ، وأبى سعيد الخدرى ، وأبى ابن كعب ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وأبى أمامة ، ووائلة بن الاسقع وغيرهم ، وقد روى عن الخلفاء الراشدين انهم ذكروا افتراق الأمـة بعدهم فرقا وذكروا ان الفرقة الناجية منها فرقة واحـدة ، وسائرها على الضلال ، والبوار فى الآخرة .

هذا وقد علم كل ذى عقل من أصحاب المقـالات المنسوبة الى الاسـلام أنه عليه الصلاة والسـلام لم يرد بالفـرق المذمومـة التى هى من أهـل النـار فرق الفقهـاء الذيـن اختلفوا فى فروع الفقـه مع اتفاقهم على أصول الدين ، لان المسلمين فيما اختلفـوا فيه من فروع الحلال والحرام على قولين :

أحدهما : قول من يرى تصويب المجتهدين كلهم فى فروع الفقه ، وفرق الفقه كلها عندهم مصيبون .

الثـانى : قول من يرى فى كل فـرع تصويب واحـد من المختلفين فيه وتخطئة البـاقين ، من غير تضليل منـه للمخطىء فيه .

---

(٥٣) البغدادى الفرق بين الفرق ص٧ .

وقد فصل النبى ﷺ بذكر الفرق المذمومة - فرق أصحاب الاهواء الضالة الذين خالفوا الفرقة الناجية فى أبواب العدل والتوحيد ، أو فى الوعد والوعيد ، أو فى بابى القدر والاستطاعة ، أو فى تقدير الخير والشر ، أو فى باب الهداية والضلالة أو فى باب الارادة والمشيئة ، أو فى باب الرؤية والادراك أو فى باب صفات الله عز وجل وأسمائه وأوصافه ، أو فى باب من أبواب التعديل والتجويز ، أو فى باب من أبواب النبوة وشروطها ونحوها من الابواب التى اتفق عليها أهل السنة والجماعة ، من فريقى الرأى والحديث على أصل واحد خالفهم فيها أهل الاهواء الضالة ، من القدرية ، والخوارج ، والروافض ، والنجارية ، والجهمية ، والمجسمة ، والمشبهة ، ومن جرى مجراهم من فرق الضلال ، فان المختلفين فى العدل ، والتوحيد ، والقدر والاستطاعة ، وفى الرؤية والصفات والتعديل والتجوير وفى شروط النبوة والامامة يكفر بعضهم بعضا .

ولهذا يقول صاحب الفرق بين الفرق فضح تأويل الحديث المروى فى افتراق الامة ثلاثا وسبعين فرقة الى هذا النوع من الاختلاف ، دون الانواع التى اختلف فيها أئمة الفقه من فروع الاحكام فى أبواب الحلال والحرام ، وليس فيما بينهم تكفير ولا تضليل فيما اختلفوا فيه من أحكام الفروع (٥٤) .

ومن الذين بحثوا الحديث من القدماء أيضا : أبو المظفر الاسفرانى صاحب التبصير فى الدين المتوفى سنة ٤٧١هـ ، وعضد الدين الا يجى صاحب المواقف المتوفى سنة ٧٥٦هـ .

---

(٥٤) البغدادى - الفرق بين الفرق ص١١ .

ومن الذين منعوا الاستدل بهذا الحديث « ابن حزم الاندلسى صاحب الفصل فى الملل والنحل المتوفى سنة ٤٥٦هـ قال ذكروا حديثا عن رسول الله ﷺ - تفترق هذه الامة على بضع سبعين فرقة كلها فى النار الا واحدة ، حاشى واحدة ، فهى فى الجنة : قال هذا حديث لا يصح أصلا من طريق الاسناد ، وما كان هذا فليس حجة عند من يقول بخبر الواحد فكيف من لا يقول به (٥٥) ٠

بينما حاول البعض الآخر السعى فى التوفيق بين رويات الحديث ٠٠٠

وهكذا ذكر علماء الكلام المدافعون عن أهل السنة تعداد أصول الفرق وبيان أرائها لكى يعرف المؤمن أن الناجى من هؤلاء المختلفين فرقة واحدة هى المستمسكة بكل ما كان عليه الرسول وأصحابه وما عدا هذه الفرقة فى ضلال وتبتير ، فلا بد للمؤمن ان يعرف حالهم حتى يصون عقيدته عما هم عليه من البدع والضلال ٠

---

(٥٥) ابن حزم الاندلسى - الفصل والملل والنحل جـ٣ ص٣٤٨ طبعة بيروت ٠

ظهور علم الكلام

تمهيد :

من العلوم التى جدت فى الساحة الاسلامية علم الكلام ، وربما كان السبب فى ظهوره راجعا الى تلك المجادلات التى تبودلت بين الفرق الاسلامية - هذا على اعتبار ان هذا العلم باكورة عقلية من بواكير الفكر الاسلامى - أثر الظروف التى اكتنفت نشأته وأدت الى ظهور هذا العلم .

ونحن اذا نظرنا الى التراث الكلامى فى الفكر الاسلامى نلاحظ أن هناك الكثير من الاراء المتباينة التى أدت الى الخصومة بين الفرق .

لهذا فقد اختلفت الاراء حول الحاجة الى هذا العلم شأنه فى ذلك شأن العلوم الاخرى كالمنطق والفلسفة الا أننا سوف نقصر حديثنا هنا حول علم الكلام . وهنا سوف نجد أنفسنا أمام رأيين :

الرأى الاول :

أصحاب هذا الرأى يرون أنه ليس هناك حاجة الى علم الكلام - بل وقفوا منه موقف المنكر المحرم - هذا على اعتبار ان الرسول ﷺ وصحابته والتابعين من بعدهم لم يتكلموا فيه - وكان هؤلاء يرون الا سبيل لتقرير العقائد الا بوحى من الله تعالى ، وكانوا يرون ان التناظر والتجادل فى الاعتقاد يؤدى الى الانسلاخ من الدين .

لذا فقد جمع الامام السيوطى فى كتابه « صوت المنطق والكلام عن فنى المنطق والكلام » أقوال المتقدمين فى تحريم علم الكلام ، نذكر منه على سبيل المثال :

ما أخرج عن أبى أمامة عن النبى ﷺ قال : ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا أوتوا الجدل ـ ثم تلا رسول الله ﷺ « ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خاصمون » (٥٦) ٠

وأخرج من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : خرج رسول الله ﷺ على أصحابه ذات يوم ، وهم يتراجعون فى القدر ، فخرج مغضبا ، حتى وقف عليهم ، فقال : يا قوم ، بهذا أضلت الامم قبلكم باختلافهم على أنبيائهم ، وضربهم الكتاب بعضه ببعض ، وان القرآن لم ينزل لتضرب بعضه ببعض ، ولكن نزل القرآن فصدق بعضه بعضا ما عرفتم منه ، فاعملوا به ، وما تشابه فآمنوا به ٠

وأخرج عن أبى هريرة : قال خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتنازع فى القدر فغضب حتى احمر وجهه ، ثم قال : أبهذا أمرتم أم بهذا أرسلت اليكم انما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا فى هذا الأمر عزمت عليكم أن لا تنازعوا (٥٧) ٠

وقال الامام الشافعي رحمة الله تعالى : حكمى فى أهل الكلام ان يضربوا بالجريد والنعال ويطاف بهم فى القبائل والعشائر ويقال : هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام (٥٨) ٠

---

(٥٦) سورة الزخرف الآية رقم ٥٨ ٠

(٥٧) الامام السيوطى ـ صون المنطق ص ٧٠ تحقيق الدكتور على سامى النشار وآخر ٠

(٥٨) الامام ابن أبى العز الحنفى شرح الطحاوية ص١٥٩ تحقيق احمد محمد شاكر مطبوعات جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ١٤٠٠هـ ٠

ولذلك قال بحرمة الاشتغال به على هذه الحالة الامام
الشافعي ، والامام مالك ، والامام احمد بن حنبل وسفيان
وجميع أئمة الحديث من السلف (٥٩) ولذلك رجع عن
الاشتغال به كثير من العلماء منهم الامام الغزالي رحمة الله
فقد أعرض عن تلك الطرق وأقبل على أحاديث رسول الله
ﷺ ، فمات والبخاري على صدره ، (٦٠) ومنهم أبو عبد الله
محمد بن عمر الرازي فقد نقل عنه ابن أبي العز الحنفي أنه
قال لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية
فما رأيتها تشفي عليلا ولا تروي غليلا ورأيت
أقرب الطرق طريقة القرآن ، اقرأ في الاثبات « الرحمن
ـى العرش استوى » « اليه يصعد الكلم الطيب » ،
واقرأ في النفي « ليس كمثله شيء » « ولا يحيطون به
علما » ثم قال « ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل
معرفتي » (٦١) .

هذا وقد نقل صاحب الطحاوية أيضا ما قاله الغزالي
في كتابه احياء علوم الدين » ... ومن قائل : انه فرض ،
اما على الكفاية ، واما على الاعيان ، وأنه أفضل الاعمال ،
وأعلى القربات ، فانه تحقيق لعلم التوحيد ونضال عن
دين الله ... فان قلت فما المختار عندك فأجاب بالتفصيل
فقال : فيه منفعة وفيه مضره ، فهو في وقت الانتفاع
حلال او مندوب أو واجب كما يقتضيه الحال ، وهو باعتبار
مضرته في وقت الاستضرار ومحله حرام (٦٢) .

---

(٥٩) المصدر السابق ص ١٥٢ ، ١٥٣ .
(٦٠) نفس المصدر ص ١٥٧ .
(٦١) نفس المصدر ص ١٥٧ .
(٦٢) المصدر السابق ص ٢ ١ ، ١٥٣ .

الى غير ذلك من الروايات فى هذا وكلها يستدل بها على أن علم الكلام ليس له حاجة ، والاشتغال به يؤدى الى الحيرة والضلال ٠

الرأى الثانى :

لما كان لكل عصر اهتماماته ومسائله الفكرية المتعددة ـ كان من الطبيعى للمجتمع الاسلامى ، وهو يقيس أوجه نشاطه الخاصة والعامة ـ ان يكون فى المقام الاول ـ الاهتمام بدراسة مسائل العقيدة وأدلتها ورد الشبه عنها ٠

كان هذا من ألزم اللوازم على المسلم فى كل وقت وحين ، وزمان ومكان ، لا سيما وأن جو الازمان ليس معتدلا على طول الخطوط وعرضها ـ وان بساط الأماكن ليس ممهدا فى شرق الارض وغربها ، فكثيرا ما تهب الرياح السامة التى تثير غبار الشك والريبة ، تقصف بيقين العقول ـ لهذا فقد نشأ علم الكلام تلبية لحاجة ملحة فى المجتمع الاسلامى ـ اذ لا مهرب من الوقوف أمام الملل والنحل الخارجة على الاسلام ، أو الذين جاءوا بمعتقدات تأثروا بها وأقحموها الى جانب المعتقدات الاسلامية ـ وهذا هو الامام الغزالى يقول وانما مقصوده أى علم الكلام حفظ عقيدة أهل السنة وحراستها عن تشويش أهل البدعة ، فقد ألقى الله تعالى ، الى عباده على لسان رسوله عقيدة هى الحق على ما فيه صلاح دينهم ودنياهم، كما نطق بمعرفته القرآن والاخبار ٠

ثم ألقى الشيطان فى وساوس المبتدعة أمورا مخالفة للسنة فلهجوا بها وكادوا يشوشون عقيدة أهل الحق على أهلها ٠

فأنشأ الله تعالى ، طائفة المتكلمين ، وحرك دواعيهم لنصرة السنة بكلام مرتب ، يكشف عن تلبيسات أهل البدعة المحدثة على خلاف السنة المأثورة ، فمنه نشأ علم الكلام وأهله (٦٣) .

لذا فقد ذهب أصحاب هذا الرأى الى ان هناك حاجة الى ظهور هذا العلم والاشتغال به ، واستندوا فى ذلك الى أن القرآن الكريم قد دعاهم الى استعمال العقل ، فالقرآن الكريم دلل على الحق الذى جاء به بالحجج المنطقية والاداة العقلية والواجدانية التى يؤمن بها العقل والقلب معا ، وذلك بطريق الدلائل الكونية التى لفتهم اليها وحثهم على اعمال العقل (٦٤) ورأوا ان القرآن الكريم كان من أهم الدوافع لنشأة هذا العلم ، فالقرآن الكريم حينما نزل على رسول الله ﷺ كان هناك أديان وملل سماوية مخالفة ، فقد جاء فى القرآن الكريم الخبر عن اليهود والنصارى فقال تعالى « وقالت اليهود عزيز ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم » (٦٥) .

فاذا رجعنا الى القرآن الكريم نجده بجانب اثبات العقائد الاسلامية بالبرهان يعرض لاهم الفرق والاديان التى كانت موجودة ويجادلهم ، فقد جادل الدهريين ورد عليهم وأقحمهم بالادلة وكذلك اليهود والنصارى، والثنوية من الفرس والقائلين بوجود الهين ، والوثنيين من العرب

---

(٦٣) الامام الغزالى ـ المنقذ من الضلال ص ٩٤ ، ٩٧ تحـ الدكتور عبد الحليم محمود .

(٦٤) الدكتور محمد يوسف موسى ـ القرآن والفلسفة ص١٦

(٦٥) سورة التوبة الآية رقم ٣٠ .

الذين كانوا يعبدون الاصنام فالقرآن الكريم باثباته للعقائد بالادلة وبمجاداته لهؤلاء يعتبر من اهم الأسباب لنشأة علم الكلام (٦٦) ٠

فلقد أرغمت هذه التحديات متكلمى الاسلام على توجيه انظارهم الى المباحث التى يدور فيها الاحتكاك بين الاسلام وبين تلك العقائد ،لهذا كان لنشأة هذا العلم هدف عظيم يتمثل فى المحافظة على عقائد المسلمين ، وكان عليه ان يواجه فى هذا الموقف أعتى اعداء الاسلام وأخطرهم ، وأقواهم سلاحا وأشدهم تمكنا ، وأكثرهم تحالفا وأوسعهم تنوعا (٦٧) ٠

هذا بالإضافة الى ورود المحكم ، والمتشابه في القرآن الكريم ، ولهذا يرى الامام محمد عبده رحمه الله تعالى ـ أن من رحمة الله تعالى أن جعل فى الدين مجالا لبحث العقل بما أردع فيه من المتشابه ، فهو يبحث أولا فى تمييز المتشابه من غيره ، وذلك يستلزم البحث فى الادلة الكونية والبراهين العقلية وطرق الخطاب ووجوه الدلالة ليصل الى فهمه ويهتدى الى تأويله (٦٨) ٠

هذا بالاضافة الى الاحداث السياسية التى ساعدت على نشوء علم الكلام فقد ظهرت على الساحة الاسلامية أحداث سياسية أدت الى ظهور فرق وذلك كفرقة الخوارج

---

(٦٦) الدكتور محى الدين الصافى ـ قضية التوفيق بين الدين والفلسفة ص ١٢٠ ٠

(٦٧) الدكتور يحيى هاشم فرغل ـ عوامل واهداف نشاة علم الكلام فى الاسلام ص ٣١٠ ٠

(٦٨) الشيخ محمد رشيد رضا ـ تفسير المنار ج٣ ص١٧٠ الطبعة الرابعة سنة ١٣٧٣هـ ـ ١٩٥٤م ٠

وغيرها ، فقد نشأت أولا كفـرقة سياسية ثـم ما ابثت أن تحولت الى فرقة دينية تجادل فى قضايا العقيدة .

هذا بالاضافة الى الثقافات المتبـاينة المختلفـة التى نقلت الى الاسلام من هندية ويونانية وغيرها ، وتأثر بعض المسلمين بكثير منها .

فاذا كان المعتزلة قد اتخـذوا العقل أساسـا للرد على مخالفيهم فلم يكن ذلك الا ضرورة أملتها الظروف ، واذا كانوا قد لجئوا الى الفلسفة والمنطق اليونانيين يستخرجون من ثناياهما أسلحـة يتمنطقون بها ، فلم يكن ذلك الا لأن خصومهم قد سبقوهم فاصطنعوا نفس الاسلحة ومن هـذا قرأ النظـام : أعمـال أرسـطو ، ونهض للرد على بعض الخارجين على الاسلام،كما صنع العلاف نفس الصنيع،وذاعت على السـنة المتـكلمين مصطلحـات فلسـفية عـديدة ، كالطفـرة ، والتولد والكمـون ، والجوهـر ، والعـرض وغيرها .

وعلى هذا يجب ان ننظـر الى ان علم الكـلام قد نشأ فى ظل الحضـارة العقلية الاسلاميـة ، وان اسـتوردت ادواته ووسائله من علوم أخـرى وافدة صادفتها مسـيرة الحياة العقلية الاسلاميـة فى طريقهـا (٦٩) وعليـه فاذا كان علم الكلام ، هو علم التوحيـد والعقيدة الذى يعالج القضايا العقدية وما اتصل بها على ضوء الكتاب والسنة النبوية الشريفة فهو علم ممدوح تعلمه ، وقد يكون مفروضا فرض عينى اذا لم تتم الحجـة الا به ، وكما يقـول بعض

---

(٦٩) الدكتور محمد عبد الفضيل القوصي ـ جوانب من التراث الفلسفى فى الاسلام ص ٤٦ .

الباحثين (٧٠) ولا أظن ان أحدا من العلماء يقول : بترك تعلم مثل هذا العلم المبنى على قواعد الدين وأصول العقيدة ، والذى يعالج القضايا العقدية ... فى كتاب الله تعالى وسنة رسوله . وما اتصل بهما . ولا أظن أيضا ان أى عالم يهاجمه أو يتجرأ عليه .

تعريف علم الكلام :

لقد وردت تعريفات متعددة على السنة علماء هذا الفن نذكر فيها على سبيل المثل .

قضى شرح المقاصد للامام سعد الدين التفتازانى : الكلام : هو العلم بالعقائد ... عن ... ة اليقينية وموضوعه . المعلوم من حيث يتعلق ... ذاتها .. ومسائلة : القضايا النظرية الشر... الاعتقادية ، وغايته : ان يصير الايمان والتصديق بالاحكام الشرعية متيقنا محكما لا تزلزله شبهة المبطلين ومنفعته فى الدنيا انتظام أمر المعاش بالمحافظة على العدل والمعاملة التى يحتاج اليها فى بقاء النوع على وجه لا يؤدى الى الفساد ، وفى الآخرة النجاة من العذاب المرتب على الكفر وسوء الاعتقاد (٧١) .

كما عرفه الامام عضد الدين الا يجى بقوله والكلام علم يقتدر معه على اثبات العقائد الدينية بايراد الحجج ودفع الشبة ... والمراد بالعقائد ما يقصد ... نفس الاعتقاد دون العمل ، وبالدينية المنسوبة الى ... محمد ﷺ ،

---

(٧٠) الدكتور احمد ابو السعادات دراسات فى العقيدة الاسلامية ص ٢٣٤ .

(٧١) الامام سعد ... التفتازانى شرح ... جا ص٨ .

وموضوعه : المعلوم من حيث يتعلق به اثبات العقائد الدينية تعلقا قريبا أو بعيدا ، وقيل هو ذات الله تعالى، اذ يبحث فيه عن صفاته وأفعاله فى الدنيا ، كحدوث العالم، وفى الآخرة كالحشر ، وأحكامه فيهما كبعث الرسول ونصب الامام والثواب والعقاب (٧٢) .

كما عرفه ابن خلدون بقوله هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الايمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعة المنحرفين فى الاعتقادات من مذاهب السلف وأهل السنة (٧٣) .

كما عرفه الامام محمد عبده بقوله بأنه علم يبحث فيه عن وجود الله ، وما يجب ان يثبت له من صفات وما يجوز أن يوصف به ، وما يجب ان ينفى عنه وعن الرسل لاثبات رسالتهم وما يجب ان يكونوا عليه وما يجوز أن ينسب اليهم وما يمتنع أن يلحق بهم ، وأصل معنى التوحيد : اعتقاد ان الله واحد لا شريك له وسمى هذا العلم به تسمية له بأهم أجزائه ، وهو اثبات الوحدة لله فى الذات والفعل فى خلقة الاكوان ، وأنه وحده مرجع كل كون ، ومنتهى كل قصد ؛ وهذا المطلب كان الغاية العظمى من بعثة النبى ﷺ كما تشهد به آيات الكتاب العزيز (٧٤)

وعلى ذلك ، فعلم التوحيد يكون هو العلم الذى يبحث فيه عن وجود الله وما يجب أن يثبت له من صفات ، وما يجوز

---

(٧٢) الامام عضو الدين الا يجى ـ المواقف ص ٧ .

(٧٣) ابن خلدون المقدمة ص٤٦٦ ، ٤٦٧ .

(٧٤) الامام محمد عبده رسالة التوحيد ص٨

ان يوصف به وما يجب ان ينفى عنه ، وعن الرسل باثبات رسالتهم ، وما يجب ان يكونوا عليه ، وما يجوز ان ينسب اليهم ، وما يمتنع ان يلحق بهم ، وعن بيان أحوال الحياة الآخرة وما فيها من ثواب وعقاب ٠

ومن خلال التعريفات السابقة لعلم الكلام يمكن القول كما قال الشيخ مصطفى عبد الرازق أن المتكلمين متفقون على ان علم الكلام يعتمد على النظر العقلى فى أمر العقائد الدينية ، ثم هم يختلفون فى ان الكلام يثبت العقائد الدينية بالبراهين العقلية كما يدافع عنها ، او هو انما يدفع الشبه عن العقائد الايمانية الثابتة بالكتاب والسنة ، وهذا الخلاف يرجع الى الخلاف فى ان العقائد الايمانية ثابتة بالشرع ، وانما يفهمها العقل عن الشرع ويلتمس لها بعد ذلك البراهين النظرية أهى ثابتة بالعقل على معنى ان النصوص الدينية قررت العقائد الدينية بأدلتها العقلية ٠

وقد أشار الى ذلك فخر الدين الرازى المتوفى سنة ٦٠٦هـ ـ ١٢٠٩م ٠ عند تفسيره للآيتين ١٩ ـ ٢٠ من سورة البقرة محتجة فقال « ان الآيات الواردة فى الاحكام الشرعية أقل من ستمائة آية : وأما البواقى ففى بيان التوحيد والنبوة والرد على عبدة الأوثان وأصناف المشركين » ٠

وبعد ان ذكر معاقد الدلائل فى القرآن مما يدل على وجود الصانع وعلى صفاته وعلى النبوة والمعاد قال :

وأنت لو فتشت علم الكلام لم تجد فيه الا تقرير هذه الدلائل والذب عنها ودفع المطاعن والشبهات القادحة فيها ؛

وقال بعد ذلك :

وأما محمد ﷺ ، فاشتغاله بالدلائل على التوحيد والنبوة والمعاد أظهر من ان يحتاج الى دليل (٧٥) .

القاب هذا العلم :

ان علم التوحيد من أشرف العلوم وأكملها وأجلها ، وذلك لشرف موضوعه وسمو فائدته - لان مسائلة تبدو وتدور حول الذات الالهية وصفاتها وافعالها فسمي هذا العلم تارة بعلم التوحيد ، لان العلم بالاحكام العملية يسمى علم الشرائع والاحكام ، والمتعلق بالاحكام الاعتقادية يسمى علم التوحيد والصفات ، أو تسمية له باهم أجزائه وهى صفة الوحدة ، سمى أيضا بعلم أصول الدين ، وسماه ابو حنيفة رحمة الله تعالى بالفقة الاكبر ويسمى بعلم النظر والاستدلال (٧٦) .

هذا وقد ذكر صاحب المواقف ، سبب التسمية بعلم الكلام فقال : انما سمى كلاما اما لانه بازاء المنطق للفلاسفة ، او لان أبوابه عنونت اولا بالكلام فى كذا ، أو لان مسالة الكلام اشهر اجزائه حتى كثر التناحر والسفك فغلب عليه ، او لانه يورث قدرة على الكلام فى الشرعيات ومع الخصم (٧٧) .

---

(٧٥) الشيخ مصطفى عبد الرازق - تمهيد لتاريخ الفلسفة ص ٢٦٤ ، ٢٦٥ .

(٧٦) الشيخ مصطفى عبد الرازق - تمهيد لتاريخ الفلسفة ص ٢٦٥ .

(٧٧) الامام عضد الدين الايجى ص٩ .

الغاية من علم الكلام :

ان الباحث فى تاريخ علم الكلام يشهد بأن هذا العلم هو المدافع عن أصول الدين والذاب عن بيضة العقيدة الصحيحة وذلك بأبطال شبه المغرضين ، والملاحدة والشيوعيين فبقدر ثبات الشخص فى هذا العلم واليقين بقدر سلوكه واخلاصه فى أعماله ، فالبحث فى هذا العلم ومعرفة أدلته ينقل الشخص من دائرة التقليد التى هى مظنة الريبة الى دائرة اليقين ، فمعرفة الله والخوف منه والاعتقاد بأنه عالم به مطلع عليه ، كل ذلك حافز على الاستقامة والخلق الكريم وذلك ثمرة الاعتقاد ، كما يكون سببا فى اقناع الغير وارشادة بايضاح الدليل له والزام المعاند وافحامه باقامة الحجة عليه ٠

ذلك ان عقيدة المسلم تحتل مكانا رفيعا فى حياته ووجدانه، لأنها الأساس الذى يرتكز عليه دينه ، ومن منطلق هذه العقيدة يكون سلوك المسلم فى الحياة باعتبارها دافعة الى السلوك الطيب ، والاخلاق الفاضلة ، ولهذا فان العقيدة الاسلامية تقوم بدور أساسى فى حياة الفرد والمجتمع فى أى عصر كان ٠

ولما كانت العقيدة الاسلامية بهذه المثابة كان من الواجب على كل مسلم العمل على تقويتها والبعد بها عن مزالق التيارات الالحادية وكل ما من شأنه أن يضعف هذه العقيدة ، وذلك باتخاذ كل السبل وكافة الوسائل الموصلة الى هذا الهدف العلمى السامى ٠

ولذلك فقد زاول علماء الكلام مهمة الدفاع عن العقائد الاسلامية فى اتجاهين :

الاتجاه الاول : كان ضد المبتدعة فى الدين .

الاتجاه الثانى : كان ضد الخارجين عن الملة الاسلامية .

فاذا كان الدفاع عن الاتجاه الاول هاما ، فان الأهم منه هو الدفاع عن الاتجاه الثانى ، ذلك أن الحروب الفكرية الآن ضد الاسلام عنيفة ، ويقصد من ورائها احلال « أيديولوجيات » أخرى محله بشتى الطرق والوسائل ، ومن ثم فان الجهود يجب أن تتحد وتتضافر الوقوف أمام الخطر الزاحف على الاسلام ، وهذا باب استمرار علم الكلام فى الجانب الدفاعى منه ، على ان يكون متغيرا بتغير الظروف الثقافيه فى الاسلحة التى يستعملها ، ليتقابل مع الأسلحة التى يستعملها العدو ويجدد فيها (٧٨) .

فعلم العقيدة يقف أمام التيارات الالحادية يصدها ويبطلها بالبراهين الساطعة ، والحجج القاطعة ، ويرد على المنكرين والمعاندين ويهدى الضالين أو المنحرفين ويساعد المتعلم المتثقف الفاهم على ارشاد المسترشدين من غير المثقفين .

وبهذا يكون الغاية من هذا العلم ـ هو معرفة الله تعالى بالبراهين القاطعة والادلة الواضحة حتى يتحقق فوز الانسان بالسعادة الأبدية .

ذلك ان معرفة الله تعالى هى أسمى المعارف وأجلها ، وهى الاساس الذى تقوم عليه الحياة الروحية كلها .

---

(٧٨) الدكتور يحيى هاشم فرغل ـ مداخل الى العقيدة الاسلامية ص ٦٣ .

فمنها تفرعت المعـرفة بالانبياء والرسـل وما يتصل بهم من حيث عصمتهم ووظيفتهم ، وصـفاتهم ، والحاجـة الى رسالاتهم ، وما يلحق بذلك من المعجـزة ، والولاية ، والكرامة ، والكتب السماوية ٠

وعنها انبثقت المعرفة بمصير هذه الحياة ، وما تنتهى اليه من الحياة البرزخية ، والحياة الأخـروية من البعث ، والحساب ، والثواب والعقاب ، والجنة والنار ٠

هل هناك حاجة الى علم الكلام فى هذا العصر ؟

ان الأمر الجدير بالذكر هنا : ان العقيدة الاسـلامية فى أى عصـر كان هى قطب رحى الفكر الاسـلامى والفلك الدائر حوله ، لهذا فان مهمة الباحث فى علم الكلام اليوم أكثر صعوبة وأشـد مراسا من مهمته فى تلـك العصـور الماضية ، اذ ان عليه أن يشحذ في نفسـه تلك الحاسـة النقدية التى يفصل بها المناهج الثابتة عن المسـائل التى تجاوزهـا العلم الحديث ، ثم ان عليـه بعد ذلك أن يطبق المنهج على مـا تكشف عنـه العـلم الحـديث من معطيات ومنجزات (٨٠) لهذا فانا نهيب بعدم انعـزال علم الكـلام عن التيارات الثقافية والعلمية المعاصـرة خصوصـا بعـد ظهور الالحاد الحـديث ومحاولتـه غـزو عقـول المسلمين ووجـدانهم ، ومن ثم ينبغى أن يعـود علم الكـلام لمهمته الدفاعية ، وذلك بهدف بيان تهافت التيارات التى تحـاول نفث سموم الالحـاد فى التفكير الاسـلامى كمـا ينبغى أن نتجـه كلية الى القرآن الكريم لنلتمس فيه قضايا الاسـلام

---

(٧٩) الشيخ السيد سابق ـ العقائد الاسلامية ص١٩ ٠

(٨٠) الدكتور محمد عبد الفضيل القوصى مقدمة التحقيق لكتاب العقيدة النظامية لامام الحرمين الجوينى ص٩ ٠

وأحكامه ونظرته الى الوجود ، والمعرفة ، والاخلاق ، والتاريخ ، والحضارة ، كما نتجه الى القضايا الاساسية للفكر الاسلامى ، لكى نستطيع تقييم الاعمال الفكرية ووزنها بميزان الشريعة الاسلامية ، فما وافقها هو الصحيح ، وما خالفها هو الذى ينبغى كشفه والتنبيه عليه .

فاذا كان علماء الكلام قد استوجوا القرآن الكريم ، وقاموا بدور أصيل فى المحافظة على العقيدة الاسلامية ، فانه فى عصرنا الحاضر تتعرض عقائد المسلمين لخطر مثل ذلك الخطر ان لم يكن أشد منه عنفا .

ففى الفلسفات الحديثة والمعاصرة ، من جدليه ماديه ، برجماتية ، ووضعيه ووجوديه ، دعوات صريحة الى الالحاد ... وتقف وراء تيارات الالحاد هذه منظمات وقوى تتسم بالضراوة والتنظيم والكراهية العميقة للاسلام ... هنا نجد شبها قويا بين تيارات الالحاد العصرية هذه والتيارات الالحادية التى واجهها المسلمون فى عصر نشأة علم الكلام . وهنا نجد أن المسلمين اليوم بحاجة ملحة الى قيام علم يقوم بمهمة حراسة العقيدة الاسلامية على الوجه الذى قام به علم الكلام فى عصر النشأة (٨١) .

وحينئذ فلا تثريب علينا الآن اذا نظرنا الى علم الكلام من الناحية الأدائية والاجرائية والى مواده على أساس النظرة التاريخية ؛ لانها مرتبطة بزمانها ومكانها وعصرها

---

(٨١) الدكتور يحيى هاشم فرغل - عوامل واهداف نشأة علم الكلام فى الاسلام ص٣١٤ ، ٣١٥ .

لهذا فانا ندعو الى تناول علم الكلام بطريقة جديدة مخالفة لطريقة الأقدمين وذلك كما فعل السيد جمال الدين الافغانى فى كتابه الرد على الدهريين فقد رد فى هذا الكتاب على الماديين مبينا أثر الدين فى المجتمعات الانسانية ، وأثر المادية فيها وأوضح ضرورة الدين عامة وضرورة الاسلام على وجه الخصوص (٨٢) ، ولعل الذى يمثل هذا الاتجاه الآن وحيد الدين خان فى أشهر كتبة الكلامية « الاسلام يتحدى » كما ندعو الى تناول علم الكلام مجردا من الخلافات التى كانت بين المتكلمين ، ومن النظريات الفلسفية ، وان يكون المصدر الاساسى فى هذا هو كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وذلك كما قال الامام محمد عبده فى رسالة التوحيد فقد أخذ ما اتفق عليه الجميع ووقف بينهم فيما أختلفوا فيه يقول رسالة التوحيد بقيت علينا جولة نظر فى تلك المقالات الحمقى التى اختبط فيها القوم اختباط أخوه ، تفرقت بهم الطرق فى السير الى مقصد واحد ، حتى اذا التقوا فى غسق الليل ، صاح كل فريق بالآخر صيحة المستخبر ، فظن كل ان الآخر عدو يريد مقارعته على ما بيده ، فاستحر بينهم القتال ، ولا زالوا يتجالدون حتى تساقط جلهم دون المطلب ، ولما أسفر الصبح وتعارفت الوجوه رجع الرشد الى من بقى وهم الناجون ، ولو تعارفوا من قبل لتعاونوا جميعا على بلوغ ما أملوا ولوافتهم الغاية بنور الحق مهتدين ... فلنأخذ ما اتفقوا عليه ولنرد الى حقيقة واحدة ما اختلفوا فيه (٨٣) .

---

(٨٢) الدكتور عبد المعطى بيومى ـ الفلسفة الاسلامية فى الشرق والغرب جـ٢ ص٥٥ .

(٨٣) الامام محمد عبده ـ رسللة التوحيد ص ٤٢ ، ٤٣ .

الفصل الثاني

المنهج في دراسة العقيدة

توطئـة :

ان لكل موضوع من الموضوعات منهجـه الخاص بـه من حيث طبيعـة الاستدلال والدراسـة ـ كذلك فان لكل مجـال من مجـالات المعـرفة الانسانية منهجـه المناسب بحيث لو تعداه الى غيره ارتبكت النتائج وضلت العقول ، اذا مـا التمس الى علـم غيـر مـا تقتضيه طبيعتـه من منهج .

وعلى ذلك فقد كان لكل علم منهج ينسجم معـه هـذا المنهج بما يناسب طبيعة العلم نفسـه ؛ فطبيعة العـلوم هى التى تحدد مناهجها اذن .

لذا فان من ناقلة القول أن نستعمل منهج علمٍ فى منهج علم آخر له منهجـه الخاص به ، وبسبب هذا الخلط ضـل كثير من الناظـرين فى الاشـياء التمييزيه لانهم استعملوا منهجـا واحد لكل الاشياء .

فمنهم من جـرى على عـادة طلب الاقتنـاع ، وبعضهم على عادة الأمثال وبعضهم جرى على عادة شهادة الآخبار ، وبعضهم جرى على عادة الحس ، وبعضهم جرى على عادة، البرهان واذا استعمل الانسان منهجا واحـد فقد قصـر عن تمييز المطلوبات (١) .

لذا ينبغى ان نقصد بكل مطلوب ما يجب ، ولا نطلب فى العلم الرياضى اقناعا ؛ ولا فى العلم الالهى حسـا ولا

---

(١) الدكتور عبد الحليم محمود ـ التفكير الفلسفى فى الاسلام ج٢ ص٣٠٣ .

تمثيلا ، ولا فى البلاغـة برهانا ، ولا فى أوائل البرهـان برهانا ، فانا ان تحفظنا هذه الشرائط سهلت علينا المطالب المقصـوده ٠

من هنا نلاحـظ ان التصنيف في المنهج اذا ما روعى فى البحث العلمى سهل علينا المطـالب المقصـوده ، واذا ما خالفنا ذلك أخطأنا أغراضنا من مطالبنـا وعسر علينـا طبيعة مقصودنا وقبـل ان نشـير الى المنهج فى دراسـة العقيدة يجب ان نشير أولا الى ٠

مصدر العقيدة الصحيحة :

ان المصدر السليم للعقيدة الصحيحة -هـو الوحى السـماوى الغير مختلط ولا مختلف ، ولا مسـتبدل ، ثـم يدخل فى نقـله رأى بشر ، أو تفسير صاحب هوى ، كمـا حـدث فى الكتب السالفة ٠

اذن فالعقيدة الصحيحة هى التى أرشدنا اليها القرآن الكـريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديـه ولا من خلفـه تنزيل من حكيم حميد » ٠

فقد أشبع الذكـر الحكيم رغـائب العقـول ، وأرضى خلجات النفوس وأزال الرين المتراكم حول القلوب والعقول التى اتخذت من التدبر والتفكر والنظر السليم دليـلا على الخالق جل شأنه ٠

لقد كان أهـم ما ميز الفـكر الاسـلامى فى دستوره الشـامل الكـامل وايجـابيته التى كونت وحـدة الأمـة الاسلامية على مر التاريخ - هو احتفاظه بالميراث الاصيل

منبع الصراط المستقيم - فكان بحق هو الدين العام الخالد الصالح لكل زمان ، ومكان ، فكان كل رأى سوى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة - هو رأى ونظرية بين الصواب والخطأ ، وكل رافد من الفكر فهو نظرة جزئية ، وكل قطاع منفصل عن الكيان الالهى يجب أن يرد الى الدستور الصالح لكل البيئات المختلفة وعلى مر العصور المستطيلة ، لان الفكر الاسلامى كيان متكامل وكائن حى ذو وحدة متعددة الجوانب مختلفة الوظائف تحقق جميعها التوازن والتعاون وفقا لصورة كلية واحدة تتكون من السنن والقيم الدينية ، وتنظم حياة الانسان والمجتمع والحضارة على ضوئها وبمقتضى مبادئها ، فكانت عقيدة التوحيد فى الفكر الاسلامى لا تزال تمثل حتمية التاريخ وفكرة ، لان الفكر لاسلامى استطاع تذويب المذاهب والنظرياب المختلفة التى فرضت عليه خلال هذا التاريخ ، فاستقى منها ما يتفق مع مبادئه ومنهجه ، ورفض ما يختلف معه فى القيم والثوابت الراسخة ، هذه هى مرونة الفكر الاسلامى المستمد من الكتاب والسنة ، فقد كان القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة هما البناء الاساسى فى العقيدة الدينية ، فقد جاء القرآن الكريم بالقول الفصل كما دلل على الحق بالأدلة التى يؤمن بها القلب والعقل معا ، وكان عمل الصحابه هو فهم ما جاء فى الكتاب والسنة النبوية المطهرة من مسائل العقيدة بعد أن آمنوا بهما عن علم وبصيرة ، وذلك عن طريق الدلائل الكونية التى لفتهم اليها وحثهم على اعمال العقل فيها (٢) ، فقد ملأ الآيمان قلوبهم وأيقظ عقولهم وأحاسيسهم ، لذا

---

(٢) الدكتور محمد يوسف موسى - القرآن والفلسفة ص١٦ نشر دار المعارف .

فقد أخذوا قضايا العقيدة كما وردت وأجروها كما سمعوا من رسول الله ﷺ ـ وذلك لان ثمرات الوحى الالهى : همـا كتاب الله تعـالى وسنة رسوله محمد ﷺ وذلك مصداقا لقول رسول الله ﷺ « تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما ان تمسكتم بهما كتاب الله تعـالى وسنة رسوله ﷺ » (٣) ٠

فهذا الحـديث الشـريف يوجـز لنـا تراث الرسـالة الاسلاميـة على اتسـاع مداها فى القـديم والحـديث فى الشرق والغرب ، لان أصلها واحـد وهو الوحى الالهى من عند الله تعالى ، وهما ملاك الأمر كله مصداقـا لقول الحق تبارك وتعالى « وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنـه فانتهوا » (٤) ٠

فالقـرآن الكـريم والسنة النبـوية الشريفة قد قـدم للبشرية كل مناهج البحث الفكرى والتى تقابل كل عناصـر الكينونة الانسانية ، وتلبى كل جوانبها ، وتتعـامل مـع كل مقوماتها ، فتتعامل مع الحس ، والفـكر ، والبديهـة ، والبصيرة ومع سائر عناصر الادراك البشرى والكينونة البشرية بوجـه عام ، كمـا تتعامل مع الواقـع المـادى للانسان هذا الواقـع الذى تشغله وضعه الكـونى فى الاسلوب (٥) ، الذى يخاطب ، ويوحى ، ويوجـه كل هذه الكينونة مجتمعة فى تناسق هو تناسق الفطرة كمـا خرجت من بارئها سبحانة وتعالى ٠

---

(٣) ابن ماجـه ـ السنن ـ كتاب المناسك ـ باب حجـة رسول الله ﷺ ص١٠٢٥ طبعة عيسى الحلبى ٠

(٤) سورة الحشر الآية رقم ٧ ٠

(٥) الاستاذ سـيد قطب ـ خصائص التصور الاسـلامى ص٦ دار الشروق ٠

منهج القرآن الكريم فى الثبات العقيدة

لقد أرسل الله تبارك وتعالى رسوله محمد ﷺ بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله .. وشاءت الارادة المولى عز وجل أن تكون رسالته ﷺ خاتمة الرسالات السماوية وأن يكون دينه هو الخاتم ، وأن كتابه الكريم هو آخر أرسال سماوى الى أهل الارض ، ولم ينتقل الرسول ﷺ الى الرفيق الاعلى الا وقد أكمل الله الدين وأتم النعمة قال تعالى على لسان رسوله ﷺ « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دين » (٦) .

ولقد حوى الكتاب الكريم على كل ما فيه سعادة البشر فى الحياة الدنيا وفى الآخرة واشتمل على جميع المسائل المتعلقة بالعقيدة والتى يجب على المؤمن ان يعتنقها ويؤمن بها .

والعقيدة هى الجانب النظرى الذى يطلب الايمان به أولا وقبل كل شىء ايمانا لا يرقى اليه شك ولا تمثل فيه شبهة .

لقد جاء القرآن الكريم بالهداية والارشاد ، ونهج بالدين منهجا لم يكن عليه من سبقه من الكتب المقدسة ، فقد اشتمل على كثير من آيات العقائد وعالج مسائلها بمنهج فريد فنلاحظ أن القرآن الكريم قد اتخذ فى تقرير العقائد منهجا ذا شقين .

أحدهما : لهدم العقائد الفاسدة ، التى أصبحت فى عالم المعتقد لا غذاء فيها للروح أو القلب .

---

(٦) سورة المائدة الآية رقم .

ثانيهما : لبناء العقيدة الصحيحة التى تملأ جوانب النفس البشرية بالايمان الصحيح ٠

ففى النوع الاول : نجد أن القرآن الكريم قد سجل حال أهل الكتاب واختلافهم فى العقيدة ، وضرب بعضهم البعض الآخر بقوله « وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب » (٧) والنبى ﷺ يقول لهم « لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل » (٨) وما كان يمكنهم اقامتهما الا باقامة القرآن الكريم وبحكم نبى الرحمة رسول الله ﷺ ، فلما أبو ذلك وكفروا بآيات الله « ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله » (٩) ٠

واذا نظرنا الى المعطلة من العرب وأصنافهم المختلفة كما صورهم الشهرستانى نجد أنهم أصناف كثيرة منهم منكروا الخالق ، والبعث ، والاعادة ، ومنكروا الرسل ، وعباد الاصنام (١٠) ٠

فالقرآن الكريم قد رد على هؤلاء بضرورات فكرية وآيات فطرية ، فى كم آية وكم سورة قال تعالى « أو لم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة ان هو الا نذير مبين » (١١)

---

(٧) سورة البقرة الآية رقم ١١٣ ٠
(٨) سورة المائدة الآية رقم ٦٨ ٠
(٩) سورة البقرة الآية رقم ٦١ ٠
(١٠) الشهرستانى ـ الملل والنحل جـ٣ ص٧٩ ٠
(١١) سورة الاعراف الآية رقم ١٨٤ ٠

وقال تعالى « أو لم يروا الى ما خلق الله من شيء » (١٢)
وقال تعالى « ياأيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم » (١٣) .

يقول الشهرستاني « فأثبت الدلالة الضرورية من الخلق على الخالق وأنه قادر على الكمال ابتداءا واعادة » (١٤) .

وما الذين انكروا البعث والاعادة فقد اخبر القرآن عنهم بقوله « وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم » (١٥) .

فاستدل عليهم بالنشأة الاولى اذا اعترفوا بالخلق الاول فقال تعالى « قل يحييها الذى أنشأها اول مرة » (١٦) وقال « أفعيينا بالخلق الاول بل هم فى لبس من خلق جديد » (١٧) ونحن لا نستطرد فى ذكر هذه الاراء ، ومن أراد المزيد فعليه بالرجوع الى الملل والنحل للشهرستاني - الجزء الثالث - وهو يصور كل أصحاب هذه العقائد والقرآن الكريم حينما يشير الى هذه العقائد عند أصحاب هذه الطوائف المختلفة كان يعقب على عقيدة كل طائفة بدليل صحتها او فسادها ، فنجد مثلا أن القرآن الكريم وهو يصور عقيدة هؤلاء يصفهم بالظن ، ذلك ان مذهبهم لم يقم على أى أساس علمى فقال تعالى « ما لهم بذلك من

---

(١٢) سورة الاعراف الآية رقم ١٨٥ .
(١٣) سورة البقرة الآية رقم ٢١ .
(١٤) الشهرستاني - الملل والنحل ج٣ ص٧٩ .
(١٥) سورة يس الآية رقم ٧٨ .
(١٦) سورة يس الآية رقم ٧٩ .
(١٧) سورة ق الآية رقم ١٥ .

علم ان هم الا يظنون » (١٨) ·

فكما استنكر القرآن الحكم بالظن ، فقد استنكر الحكم بالهوى ـ أى الميول التى لا تستند الى حق أو الاراء التى لا تستند الى اى أساس موضوعى ـ الذى هو نفسه غير حق ، لان الظن هو القول الكاذب الناشىء عن التخمين فقال تعالى « وما يتبع أكثرهم الا ظنا ان الظن لا يغنى من الحق شيئا » (١٩) اذ ليس بعد الظن أثم فى مقام العقيدة، لهذا نجد أن القرآن الكريم قد جمع فى أكثر من موضوع بين الظن والهوى وقد جمعهما فى آية واحدة فقال تعالى « ان يتبعون الا الظن وما تهوى الأنفس » (٢٠) ·

والحقيقة التى ينبغى أن نركز عليها هنا هو ان القرآن الكريم حينما يرد على أصحاب هذه العقائد كان لا يطيل فى حبال هذا الجدل ـ سوى أنه يشير الى عقائدهم الفاسدة كما يبين أدلة فسادها ، كما انه لا يخضع لبديهات العقل خصوصا عند أصحاب هذ العقائد فقد قال تعالى مخاطبا رسوله ﷺ « وان جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون ، الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون » (٢١) ، لذا فقد أمر الحق تبارك وتعالى رسوله محمد ﷺ بقوله « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ، ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين » (٢٢) ·

---

(١٨) سورة الجاثية الآية رقم ٢٤

(١٩) سورة يونس الآية رقم ٣٦

(٢٠) سورة النجم الآية رقم ٢٣

(٢١) سورة الحج الآية رقم ٦٨ ـ ٦٩

(٢٢) سورة النحل الآية رقم ١٢٥ ·

النوع الثانى :

يقوم هذا النوع على ارساء قواعد الاعتقاد السليم بعد ان بان لنا زيف العقائد الفاسدة :

فاذا نظرنا الى أساليب القرآن الكـريم لهذا النوع من الاعتقاد نلاحظ انه يدعو الى لفت الانظار الى ما فى الكون من ظواهر طبيعية ، وآيات النظر فى الكون زاخـرة فى الكتاب والسنة من النظر فى السموات وما فيها من أفلاك ، وما فى الارض من أنواع النبات والانسان ، والحيوان ، والبحـار ، والعواصف ، والزلازل ومـا بيـن أفرادهـا من تباين وخصائص ، قال تعالى « أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت ، والى الجبـال كيف نصبت ، والى الأرض كيّف سطحت » (٢٣)

وكما جاء على سبيل التخصيص جاء على سبيل الامر كما فى قوله تعالى « قل انظروا ماذا فى السموات والارض وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون » (٢٤) ، وجاء أيضا على سبيل النظر الى النفس قال تعالى « وفى انفسكم افلا تبصرون » (٢٥) .

وقد أشار القرآن الكريم أيضا الى القياس المنطقى الذى جاء على ضوء المقررات العقلية فى النفس كما فى قوله تعالى « أم خلقوا من غير شىء أم هم الخالقون ، أم خلقوا السموات والارض بل لا يوقنون » (٢٦) ، وقوله تعـالى

---

(٢٣) سورة الغاشية الآيات رقم ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ .
(٢٤) سورة يونس الآية رقم ١٠١ .
(٢٥) سورة الذاريات الآية رقم ٢١ .
(٢٦) سورة الطور الآية رقم ٣٥،٣٦

« افرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه ام نحن الخالقون » (٢٧) وقوله تعالى « أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونة أم نحن الزارعون » (٢٨) .

ويرى اقبال ان الهدف الرئيسى للقرآن الكريم فى هذا المقام « هو ايقاظ شعور الانسان ليدرك ما بينه وبين الكون من علاقات متعددة » (٢٩) وعلى هذا فمنهج القرآن الكريم هو ايقاظ العقل البشرى وتنبيه على النظر فى الكائنات ليستدل منها على وجود الله سبحانه وتعالى وصفاته الكمالية ، وعدم مشابهته للمخلوقات ، وان الله هو الخالق للكون وحده ، وجميع الكائنات مستندة فى وجودها اليه ومربوبة له ، ولا يعتبر الا بالاعتماد على الدليل العقلى المأخوذ من الكون وخصائصه ليكون التوحيد عن بصيرة ويقين ؛ لهذا فقد تحدث القرآن الكريم عن الله سبحانه وتعالى باعتبارات مختلفة ، سواء باعتبار الذات ، أو باعتبار علاقاته تعالى بالمخلوقات كخالق أو باعتبار علاقاته بالانسان به وقد اشار القرآن الكريم الى ذلك :

أولا : باعتبار الذات ، فقد وصف القرآن الكريم الحق جل شأنه بأنه هو الاول ، والآخر ، والظاهر ، والباطن ، والقيوم ، والواحد ، والحى ، والغنى ، والباقى ، والحميد ، والمجيد ، والقوى المتين ، والعليم ، واللطيف ، والخبير ، والسميع والبصير ، والملك ، القدوس ، ونور السموات والارض وغير ذلك من الصفات التى تصف

---

(٢٧)،(٢٨) سورة الواقعة من الآية رقم ٥٨ الى ٦٤ .

(٢٩) محمد اقبال تجديد الفكر الدينى ص ١٦ ترجمة عباس محمود .

الحق جل شأنه غنيا بنفسه ، أبديا واسع القدرة والمعرفة محيطا بكل شيء ، وأنه الحق وحده .

ثانيا : باعتبار صلته بالمخلوقات : فقد تحدث القرآن الكريم بأنه جل شأنه ، الخالق ، وأنه المبتدئ ، والمعيد والبارى المصور ، والمحيى والمميت ... الى غير ذلك من النعوت التى تبين أنه الخالق المطلق وباعتبار علاقاته تعالى بالانسان ، فقد وصف القرآن الكريم الحق جل شأنه بأنه الرحمن ، الرحيم ، والغافر ، والغفور ، يجازى الناس على حمدهم له .

ثالثا باعتبار علاقة الانسان بخالقة ، فقد اشار القرآن الكريم بأنه جل شأنه هو المهيمن ، والهادى ، والوكيل ، والولى ، والرازق الى غير ذلك من الصفات .

فالله سبحانه وتعالى هو الخالق لكل شيء فى هذا الوجود وارداته هى سبب ما فى الوجود كله يضل من يشاء ويهدى من يشاء (٣٠) .

فالقرآن الكريم قد رسم طرقا تلتئم أحكم الالتئام مع كل الطوائف البشرية وتتسق أمتن الاتساق مع مختلف العقليات (٣١) .

من هنا نأخذ أن المنهج القرآنى انفرد بميزات ذات قيمة منهجية عظيمة منها :

---

(٣٠) الدكتور محمد البهى ـ الجانب الالهى من التفكير الاسلامى ص ٣٠ .

(٣١) الدكتور محمد غلاب ـ المعرفة عند مفكرى الاسلام ص ١٢٤ .

١ ـ ان القــرآن الكريم قد خاطب العقل البشــرى فى أروع مظاهر القوة والبيان والاقناع ٠

٢ ـ كانت طريقة القرآن الكريم شاملة تتناول العامة والخاصة بمــا يرضى العقول والقــلوب ويمتع الوجــدان ويحــرك المشاعر ٠

٣ ـ اعتمد طريقة الاستدلال القــرآنى على ما فطرت النفوس من الايمان بما تشاهد وتحس ـ وذلك أقــوى فى الحجة وأبلغ فى الأثر ٠

٤ ـ لم يخضع القرآن الكريم لقواعــد بشرية تخطىء وتصيب ، بل قواعده ثابتة ليس فيها الا الصواب ٠

٥ ـ اتخذ القــرآن الكريم فى تقــرير العقائد منهجــا ذا شقين ـ أحدهما زيف العقائد الفاسدة ـ والآخر بنــاء العقائد الصحيحة ٠

٦ ـ كان القرآن الكريم فى معالجته للعقائد الزائفــة يجــادل المعاندين بالحسنى ـ كما كان يورد فى مجــادلة الخصوم أدلة فســادها ـ بحيث يقنع ذو العقل الســليم والفطرة المستقيمة ٠

٧ ـ كانت الاستدلالات القرآنيــة تشمل التوجيــه والارشاد والدعوة بالتى هى أحسن ٠

طرق الاستدلال على العقيدة

أوضحنا فيما سبق أن مصدر العقيدة الصحيحة - ما كانت عن وحى سماوى صادر من الله تبارك وتعالى، فمصدر العقيدة الصحيحة هو الله تبارك وتعالى ، ومموردها هو الانسان الذى خلقه الله تبارك وتعالى . وعلى هذا فان الدين هو فطرة الله ، والانسان فطرة الله ، فكان لابد من التلاقى أو التلقى (٣٢) بين الدين والانسان كما جاء فى قوله تعالى « فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله » (٣٣) .

هذا وقد قيل ان الله عز وجل أسس دينه على مثال خلقه (٣٤)

فالدين لا يترك جانبا من جوانب الانسان الا ويتعامل مع جوانبه المختلفة - العقل ، والوجدان ، والارادة ، يقول الدكتور محمود حب الله رحمة الله تعالى « ان العقائد الدينية لا تعتمد على جانب واحد من جوانب الحياة النفسية الوجدنية ، والارادية ، والعقلية ، ولكنها تتصل بها كلها اتصالا وثيقا ، ولا ترضى نفس المرء ولا تكمل شخصية ونواحيه النفسية كلها » (٣٥) ثم يقول « وما دامت العقائد الدينية متصلة بكل من العقل ، والوجدان ، والارادة -

---

(٣٢) الدكتور يحيى هاشم فرغل - مداخل الى العقيدة الاسلامية ص٢٤ .

(٣٣) سورة الروم الآية رقم ٣٠ .

(٣٤) الشهرستانى - الملل والنحل جا ص٣٩ .

(٣٥) الدكتور محمود حب الله - الحياة الوجدانية والعقيدة الدينية ص ٢٦٨ طبعة عيسى الحلبى سنة ١٩٤٨ .

احتاجت فى وسائل نشرها الى الاعتماد على كل هذه القوى » (٣٦) ٠

واذا كان الناس مختلفون فى طبائعهم ، وأهوائهم ، ومقدار استعدادهم ، لتقبل الحق والطرق التى يسلكونها للوصول اليه .

ولكن الاسلام الحنيف وهو دعوة الناس جميعا على اختلاف اجناسهم وألوانهم ، وأزمانهم ، وحظوظهم من الادراك ـ جاء مشيرا الى كل هذه الطرق ـ الطريق الفطرى ـ الطريق العقلى ـ الطريق القلبى ـ هذا وقد أشار القرآن الكريم الى كل هذه الطرق ، وأكد على انها صالحة للوصول الى الحقيقة العليا ـ وهى الله سبحانه وتعالى وفى اشارة عابرة أشير الى هذه الطرق :

الطريق الفطرى :

ان اعتقاد الانسان بوجود قوة عليا تسيطر على هذا الكون ، وجد يوم أن وجد الانسان على ظهر هذه الارض ، وان لم يعرف حقيقة هذه القوة المغيبة عنا ، ففكرة الالوهية أصلية فينا ، وقد طبعت عليها فطرنا ، ونيطت بها الحكمة من وجودنا ، فقد تغذت بها أرواحنا منذ ان خاطبها ـ ربها بقوله تعالى « واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على انفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين » (٣٧) .

---

(٣٦) المصدر السابق ص ٢٧٤ ٠

(٣٧) سورة الاعراف الآية رقم ١٧٣ ٠

فقد جاء فى تفسير ابن كثير فى تفسير قوله تعالى « واذ أخذ ربك من بنى آدم » يخبر الله تعالى - انه استخرج ذريته من بنى آدم من أصلابهم شاهدين على أنفسهم بأن الله ربهم ومليكهم ، وأنه لا اله الا هو ... كما انه تعالى فطرهم على ذلك وجبلهم عليه (٣٨) .

ان تاريخ البشرية يرينا أن جميع الناس من مبدأ فطرهم أصحاب اتجاه دينى - فلا توجد أمة فى أى عصر كان دون ديانه - وان كان البعض انحرف عنها الا أن معرفة الله تعالى مغروسة فى قلوبهم يقول الرسول ﷺ : « انى خلقت عبادى حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم » (٣٩) ويقول الرسول ﷺ « كل مولود يولد على الفطرة » .

فالاعتقاد بوجود الله تعالى من الامور الفطرية المغروزة فى الطبيعة البشرية فهو موضع التسليم من جميع الافراد والمجتمعات ، ولا يمارى فيه غير الشواذ من بعض المتفلسفين (٤٠) .

وفى هذا يقول ابن القيم ومعلوم ان وجود الرب تعالى أظهر للعقول السليمة والفطر من وجود النهار .

---

(٣٨) ابن كثير - تفسير القرآن العظيم جـ٢ ص٢٦١ .

(٣٩) الامام مسلم - صحيح مسلم - كتاب الجنة - باب الصفات التى يعرف بها فى الدنيا اهل النار جـ٤ ص ١٩٧ - طبعة الحلبى - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى .

(٤٠) الدكتور يحيى هاشم - المداخل الى العقيدة الاسلامية ص ١٣٧ .

ويعرف للمرير ذلك فى عقله وفطرته فليتهمهما (٤١) ٠ والناس ، ان غفلوا عن هذه الحقيقة - فلا شك انهم يلجاون الى فطرهم فى وقت الشدة فيدعون الله وحده لينجيهم مما يحيط بهم مصداقا لقوله تعالى « قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين ، قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون » (٤٢) وقوله تعالى « واذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون الا اياه ، فلما نجاكم الى البر أعرضتم وكان الانسان كفورا » (٤٣) ٠

ولهذا فقد انقشعت حجب النفس التى رانت عليها ، وظهرت الفطر النقية فى ساعات الشدائد ، ولم يجد الانسان مناصا من أن يلجأ اليه جل جلاله بعيدا عن الشرك، وبعيدا عن الهوى ، والعمى القلبى ، والعقلى ، والحسى ، ولو لم يكن الانسان مفطورا على المعرفة الالهية - ما وجد مخرجا أو ملاذا يلوذ اليه فى تلك الشدائد ، ولم تودع تلك المعرفة فى عمق نفوسنا ما استطعنا ان نحسها فى لحظة ما (٤٤) ٠

قال الاصمعى يوما لبعض الاعراب - بم عرفت ربك ؟ فأجاب الاعرابى بالفطرة : البعرة تدل على البعير ، وأثر الاقدام يدل على المسير ، فسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج - ألا تدل على اللطيف الخبير ؟ ٠٠

---

(٤١) الدكتور عوض الله حجازى - ابن القيم وموقفه من التفكير الاسلامى ص٨٧ ٠

(٤٢) سورة الانعام الآية رقم ٦٣ ، ٦٤ ٠

(٤٣) سورة الاسراء الآية رقم ٦٧ ٠

(٤٤) الدكتور عبد الله الشاذلى - الالوهية فى الفكر الاسلامى ص٢٩٩ ٠٠

فمتى استجابت الفطرة الى ما حولها سريعا ، ونادت من أعماقها – أن لهذا الكون مكون ، ولهذا الوجود موجد – كانت فطـرة مستقيمة سليمة نقية لهذا فان هنـاك ثلاث ركائز يقـوم عليها القول بفطرية الاعتقـاد بوجـود الله تعـالى :

أولا : من ناحية التأمل فى أحوال الانسـان – فمهما يكن طاغيا متمردا على الاعتقاد بوجـود الله – طالمـا انه غارق فى نعيم الله – فاذا ما أصابته نقمـة كأن يتعـرض لشدة كبيرة – فان الحوائل التى كانت تحـول بينه وبيـن فطـرته تسقط تلقائيا ويجد نفسه وجها لوجه أمام حقيقـة الاعتراف بوجود الله تعالى .

ثانيـا : من ناحية التأمل فى أحـوال الشعوب – انا نلاحظ ان الشعوب على مسـار التاريخ تعشق عقيدة فى الله – وهذا ان دل على شىء فانما يدل على أمر مفطور عليه طبيعة البشر – وان الانحـراف الذى تتعرض له الشعوب انمـا هو نوع من تشـوية الفطـرة – يقودها الى الشرك بالله – لا الى انكار وجوده – أو هو نوع من الكيت يقودها اليه طائفة من البشر – يريدون لهـا ان تهبط من عبودية الله الى عبودية البشر .

ثالثا : من ناحية التأمل فى طبيعة الانسـان ، فاذا ما استقامت الفطرة فانها تكون داعيـة الى الايمـان بالله تعـالى ؛ فان الامـر بعد ذلـك يصبح فى غير حاجـة الى الاستدلال (٤٥) .

---

(٤٥) الدكتور يحيى هاشم – مدخـل الى العقيدة الاسـلامية ص ١٣٨ ، ١٣٩ .

وأما اذا فسدت الفطرة أو زاغت عن القوة العلمية - فان الانسان يزيغ عن الحق ، ويشير القرآن الكريم الى هؤلاء الذين فسدت فطرهم فضلت عقولهم وحواسهم قال تعالى « ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم فى طغيانهم يعمهون » (٤٦) ، وقوله تعالى « أم تحسب أن أكثرهم يسمعون او يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم أضل سبيلا » (٤٧) وقوله « ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون » (٤٨) .

فلما فسدت فطرهم - فسدت قلوبهم - فنفى الله عنهم صحة هذه القوى لما فسدت فطرهم .

واذا كان ما ذكرناه تعليلا لانحراف الانسان عن فطرته المستقيمة ورجوعه الى تلك الفطرة عند وقوع المصائب والمضرات - لهذا فقد اقتضت حكمته جل شأنه ان يرسل الرسل مبشرين ومنذرين بعودة النفوس الى فطرها ونقاء أصلها ، فالايمان بالله مركوز فى أصل الخلقة الانسانية - وهذا شأن كل الكائنات التى تعى أن لها ربا ، فمن ثمرات الربانية - أنها عقيدة الفطرة التى التى فطر الله الناس عليها - فعندما دعا الاسلام البشر على لسان الرسل جميعا الى الايمان بالله ، والعبودية له وحده كان لهذه العقيدة صدى فى أعماق فطرة البشر (٤٩) .

---

(٤٦) سورة الانعام الآية رقم ١١١ .

(٤٧) سورة الفرقان الآية رقم ٤٤ .

(٤٨) سورة الاعراف الآية رقم ١٧٩ .

(٤٩) الدكتور رزق الطويل - العقيدة فى الاسلام ص ٨٧ - طبعة المجلس الاعلى للشئون الاسلامية - القاهرة ١٩٨٠م .

لانها تغذى ما ركب فى الانسان من قوى فكل عقيدة لا توحيد فيها فهى مخالفة لفطرة الانسان .

ففطرية العقيدة هو دليل على واقعيتها ورسوخها ، وتقبل الناس لها كما أنها عنصر هام فى الاخلاق والسلوك وتقديم هذه التساؤلات كما جاء فى القرآن الكريم : « أفى الله شك فاطر السموات والارض ؟ » « أاله مع الله ؟ » « أفمن يخلق كمن لا يخلق ؟ » « هذا خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين من دونه ؟ » كل هذا يؤكد ان لفطرية العقيدة صدى فى أعماق البشر ـ يدفعهم ان استقامت فطرهم الى الجواب السديد (٥٠) .

ومما لا شك فيه ان فى فطرة الانسان فراغا لا يملؤه علم ولا ثقافة ، ولا فلسفة انما يملؤه الايمان بالله جل وعلا .

ان اعتقاد الافراد والنوع الانسانى فى الخالق هو اعتقاد ضرورى ، وان الناظر فى تاريخ الرسالات السماوية، يعلم ان الامم قد آمنت بوجوده فطرة فيها ، فالايمان بالله فطرة مركوزة فى الطبع ، يقرره العقل ، ويؤكده النظر السليم ، والعقيدة الاسلامية عقيدة الفطرة ، تتسق تعاليمها مع الفطرة السليمة البعدة عن الاهواء ، ويجد العقل المستنير فى معرفتها لانها منزلة من عند الخالق ، العليم بما خلق ، والاسلام الحنيف لا يعتمد فى اثبات تلك العقيدة على مجرد التلقين ، ولا يريد من الناس ان يعتنقوها عن

---

(٥٠) المصدر السابق ص ٨٨ .

تقليد بل لابد من قبولها عن فهم ونظر وبحث وادراك ، لانها عقيدة الفطرة التى فطر الله الناس عليها ، فكان لابد فى النهاية من التلاقى بين الدين وبين الانسان « لا تبديل لخلق الله » لهذا كان الاستدلال على وجود الله عند السلف يؤخذ من السائل الذى جاء الى الامام أبى حنيفة رحمة الله تعالى قائلا ما الدليل على الصانع قال : رحمة الله تعالى : أعجب دليل النطفة التى فى الرحم والجنين فى البطن ، يخلقه الله فى ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة ، ثم ان كان كما زعم أفلاطون الزنديق ان فى الرحم قالبا منطبعا ينطبع الجنين فيه ، فلزم الحمار أن يكون الولد اما مئناثا أو مذكارا ، لان الحقيقة لاتختلف ، فلما رأينا المرأة تلد مرة ذكرا ومرة أنثى ، ومرة توأمين ، وطورا ثلاثة وتريد أن تلد فلا تلد وتريد ألا تلد فتلد ، وتريد الذكر فتكون انثى ، وتريد الانثى فيكون الذكر على اختلاف اختيار الابوين ، فعرفنا قطعا ، أنه قدرة قادر عالم حكيم ، وان الفلاسفة ينادون من مكان بعيد ، لقد هلكوا ، وبالله كفروا ووقعوا فى الهوى فتبا لمن يدعى الفهم وهو اعمى » .

وبمثل هذا استدل الامام الشافعى رضى الله عنه على وجود الله قال الامام المطلبى رضى الله عنه : استقبلنى سبعة عشر زنديقا فى طريق غزة فقالوا ما الدليل على الصانع ؟ فقلت لهم : ان ذكرتم دليلا شافيا فهل تؤمنون ؟ قالوا : نعم : قلت ، نرى ورق الفرصاد طبعها ولونها سواء وريحها فيأكلها دود القز فيخرج من جوفها الابريسم ، ويأكلها النحل فيخرج من جوفها العسل وتاكلها الشاه فيخرج من جوفها البعر ، فالطبع واحد ان كان موجبا عندك فيجب ان يوجب شيئا واحد لان الحقيقة الواحدة لا توجب الا شيئا واحد ولا توجب متضادات

متنافرات ، ومن جوز هذا كان عن المعقولات خارج وهى التيه والجا ، فانظر كيف تغيرت الحالات عليها فعرفت أنه فعل صانع عالم قادر يحول عليها الاحوال ويغير التارات . قال — فبهتوا ثم قالوا : لقد اثبت بالعجب العجاب ، فامنوا وحسن ايمانهم (٥١) .

ولهذا يقول ابن القيم ، ومعلوم أن وجود الرب تعالى أظهر للعقول السليمة والفطر من وجود النهار ، ومن لم ير ذلك فى عقله وفطرته فليتهمها (٥٢) .

الطريق العقلى :

لقد وجه القرآن الكريم العقول الى الانتفاع بما أودع فى هذا الكون الفسيح من القوى والاسرار — الى ما أبدعته القدرة الالهية — وأن ذلك لا يكون الا بعد التأمل والنظر والتفكير فى أسرار هذا الكون الفسيح الارجاء .

لذا فقد جعل الاسلام الحنيف التعقل فريضة اسلامية يجب على كل مسلم أن يؤديها حقها — كما جعل العقل مناط التكليف ، ونعى على أولئك الذين لم يستعملوا عقولهم فى معرفة الحق جل شأنه حتى هلكوا فقال تعالى « وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ماكنا فى أصحاب السعير ، فاعترفوا بذنبهم فسحقا لاصحاب السعير » (٥٣) ولهذا فقد دعا القرآن الكريم الناس الى التبصر بحقيقة وجودهم وارتباطاتهم الكونية عن طريق « النظر الحسى » الى

---

(٥١) الخوارزمى — مفيد العلوم ومبيد الهموم ص ١٢ .

(٥٢) الدكتور عوض الله حجازى — ابن القيم وموقفه من التفكير الاسلامى ص ٨٧ نقلا عن مدارج السالكين جـ١ ص٣٣ .

(٥٣) سورة الملك الآية رقم ١٠و١١ .

ما حولهم ابتداء من مواقع اقدامهم وانتهاءا بآفاق النفس ، والكون ، واعطى للحواس مسؤوليتها الكبيرة عن كل خطوة يخطوها الانسان المسلم فى مجال البحث والنظر والتأمل والمعرفة والتجريب — قال تعالى « ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا » (٥٤) فالقرآن الكريم قد دعا الناس الى دراسة جميع المظاهر الكونية من الانسان قال تعالى « فلينظر الانسان مما خلق » (٥٥) ، والحيوان ، والسماء ، والجبال ، والارض قال تعالى « أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت ، والى السماء كيف رفعت ، والى الجبال كيف نصبت ، والى الارض كيف سطحت » (٥٦) ٠ ٠

كما دعا الانسان الى النظر الى الطبيعة ، وهى تنبعث من قلب الفناء برحمة من الله وقدرته جل علاه قال تعالى « فانظر الى آثار رحمة الله كيف يحيي الارض بعد موتها » (٥٧) انظروا الى الاثمار وهى تتدلى من غصون الاشجار فقال تعالى « انظروا الى ثمرة اذا أثمر وينعه » (٥٨) ٠

انظروا الى الحياة الاولى ، كيف بدأت ، وكيف نمت ، وارتقت ، وتكونت « قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق » (٥٩) ٠

---

(٥٤) سورة الاسراء الآية رقم ٣٦

(٥٥) سورة الطارق الآية رقم ٥ ٠

(٥٦) سورة الغاشية من الآية رقم ١٧ الى رقم

(٥٧) سورة الروم الآية رقم ٥٠ ٠

(٥٨) سورة الانعام الآية رقم ٩٩ ٠

(٥٩) سورة العنكبوت الآية رقم

انظروا الى الليل والنهار وتعاقبهما ، انظروا الى الشمس ، والقمر والنجوم ، والافلاك ، وكل ما يقع تحت الحس البشرى قال تعالى « ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الالباب » (٦٠) .

فاذا كان العقل وسيلة النظر والتفكر والتدبر ، فقد جعل الحق تبارك وتعالى كل ذلك مفروضا على كل انسان ليتفكر ويتدبر ويتأمل فى الكائنات التى خلقها الله تعالى له ، والانتفاع بما يؤدى اليه النظر من الصناعات والاختراعات التى تقوم عليها حضارة الامم ويرتبط بها رقيها وتقدمها .

ففى كتاب الله تعالى آيات كثيرة تدعو الانسان دعوة صريحة لاعمال العقل فيما خلق للوصول من خلال ذلك كله الى معرفة الخالق جل شأنه — ومتى تحققت هذه المعرفة ، أصبح الانسان عارفا بأوامره فيتبعها ، وعالما بنواهيه فيجتنبها .

فالقرآن الكريم دلل على الحق الذى جاء به بالحجج المنطقية ،، والاداة العقلية والوجدانية التى يؤمن بهما العقل والقلب معا ، وذلك بطريق الدلائل الكونية التى لفتهم اليها وحثهم على أعمال العقل فيها (٦١) .

ويرى العقاد أن فريضة التفكير فى القرآن الكريم تشمل العقل الانسانى بكل ما احتواه من هذه الوظائف بجميع خصائصها ومدلولاتها ، فهو يخاطب العقل الوازع

---

(٦٠) سورة آل عمران الآية رقم ١٩٠ .

(٦١) الدكتور محمد يوسف موسى — القرآن والفلسفة ص ١٦ .

والعقــل المـدرك ، والعقل الحـكيم ، والعقل الرشــيد ، ولا يذكــر العقل عرضــا مقتضــيا بل يذكــره مقصــودا مفصلا (٦٢) .

ويرى بعض المفكرين : ان مولد الاسلام هو مولد العقل الاستدلالى (٦٣) ولكن مع هذا فان هناك أمورا لا يستطيع العقل أن يلوى عنقــه نحوها لانها أقوى منه بكثير ، فليس لنــا ان ندعى أن له امكــانا فى الادراك يتيح له أن يحيط بكــل شىء بمفــرده واستقلاله ، بل ان العقــل متواضــع ومحدود فى مجال ادراكــه ، اذ يوجد طور فوقه عال لا يقوى على ادراكــه ولا على أن يطرق بابه . وانما الذين يقوون على طرق بابه والنفاذ اليه من العلماء على الحقيقة انمــا هم الأنبياء الذين أوتوا وسائل توضيح حقائقــه والتعبير عن قانونه (٦٤) .

لذلك نجد الامام الغزالى فى منقذه من الضــلال يقــول وعلى الجملة : فالانبياء أطبــاء أمراض القــلوب ، وانمــا فائدة العقل وتصرفه أن عرفنا ذلك ويشهد للنبوة بالتصديق ولنفسه بالعجــز عن درك ما يدرك بعين النبوة ، وأخــذ بأيدينا ، وسلمنا اليها تسليم العميان الى القائدين وتسليم المرضى المتحيرين الى الأطباء المشفقين ـ والى هاهنا مجرى العقل ومخطاه وهو معزول عما بعد ذلك الا عن تفهم ما يلقيه

---

(٦٢) الاستاذ عباس العقاد ـ التفكير فريضة اسلامية ص٨ دار القلم الطبعة الاولى .

(٦٣) الاســتاذ محمد اقبــال ـ تجـديد الفكـر الدينى ص١٤٤ ترجمة عباس محمود .

(٦٤) الدكتور عمار طالبى ـ أراء ابى بكر ابن العربى الكلامية جـ١ ص ١٤٤ .

الطبيب اليه (٦٥) .

ومن هنا تظهر اهمية المنهج العقلى فى الاسلام ـ فمع أنه اعترف به كمنهج صحيح للمعرفة الا أنه حدد له موضوعه ومجاله من الحسيات الظاهرة ، ولكنه حرم عليه ارتياد منطقة اللامحسوسات من « الغيبيات والالهيات » لانها فوق متناوله وأرقى من مداركه الحسية وأسمى من طاقاته جمعاء .

فالطريق سواء أكان طريق عقلى أو علمى لا يمكن تطبيقه فى غير المحسوسات لانها ليست من مجاله .

وهنا فان استبعاد العلماء التجريبين المحدثين اوجود الله بحجة ان المنهج التجريبي لم يثبته يكون مصادرة على المطلوب ، لانه ليس من مجاله ولا موضوعه فهو انما وجد لاختبار المحسوسات ولا يصلح فى غيرها وحينما يتعدى مجاله يكون خطؤه محققا .

فالمنهج العلمي الحديث لايستطيع أن يدعي أن الحقيقة محصورة فيما علمناه من التجربة بل هناك حقائق أخرى غير محسوسة يمكن الوصول اليها بمنهج آخر غير المنهج الحسي (٦٦) .

وهذا هو كانت فيلسوف الفلاسفة يعترف بهذه الحقيقة فيقول : ان مشكلة البرهنة على وجود الله تثير فى ذهن

---

(٦٥) الامام الغزالى ـ المنقذ من الضلال ص ١٥٢ تحقيق لدكتور عبد الحليم محمود .

(٦٦) الدكتور سعد الدين صالح ـ العقيدة الاسلامية ص٥٥ .

كانت قضية أساسية خطيرة — هى قضية العقل البشرى — وكانت يتحدث فى موضع آخر عن أولئك الذين يريدون ان يستخدموا العقل فى كل شى ظانين أنهم يستطيعون بعقولهم أن يتخطوا حدود كل تجربة ممكنة — فيقارنهم بتلك الحمامة التى تحلق فى الهواء — ولكنها تشعر بمقاومة الرياح — فيتخيل عندئذ أنها قد تستطيع أن تطير بسهولة أكثر لو أنها حلقت فى فضاء مطلق لا هواء فيه ولا مقاومة — وهيهات للعقل أن يدرك أى شىء لو ركل بقدميه كل مقاومة من قبل العالم المحسوس (٦٧) ٠

وهذا ما أشار اليه بعض المنصفين من علماء التجارب الحديثة :

يقول « مانحير » ان الحقائق التى نتعرفها مباشرة تسمى الحقائق المحسوسة بيد ان الحقائق التى توصلنا الى معرفتها لا تنحصر فى الحقائق المحسوسة ، فهناك حقائق أخرى كثيرة لم نتعرف عليها مباشرة ، ولكننا عثرنا عليها على كل حال ، ووسيلتنا فى هذا السبيل هى الاستنباط ، فهذا النوع من الحقائق هو ما نسميه بالحقائق المستنبطة ، والاهم هنا أن نفهم أنه لا فرق بين الحقيقتين ، وانما الفرق هو فى التسمية ، من حيث تعرفنا على الاولى مباشرة ، وعلى الثانية بالواسطة ، والحقيقة دائما هى الحقيقة ، سواء عرفناها بالملاحظة أو بالاستنباط » (٦٨) ٠

---

(٦٧) الدكتور زكريا أبراهيم — كانت أو الفلسفة النقدية ص١٤٢ ٠

(٦٨) الاستاذ وحيد الدين خان — الاسلام يتحدى ص ٤٢ — الطبعة الرابعة ١٩٧٣ م ٠

ويقول أيضا : ان حقائق الكون لا تدرك الحواس منها غير القليل ، فكيف يمكن أن نعرف شيئا عن الكثير الآخر ؟ هنـاك وسيلة وهى الاستنباط أو التعليل - وكلاهما طريق فكرى ، نبتدىء به بوساطة حقائق معلومـة حتى تنتهى بنظرية : ان الشىء الفلانى يوجد هنا ولم نشاهده مطلقا وهكذا فان حـدود المنهج العقـلى ومجـالاته - هو الاشياء المحسوسة فقط ، وليس له أن يتعدى الى ما ليس بمحسوس أو انكاره - لان له منهج آخر هو منهج النقل والعقل ومنهج البصيرة والاستيطان .

وعلى ذلك يمكن القول بأن تكون طريقـة المعـرفة هى الحواس - كما يمكن ان تكون العقـل ، ويمكن ان تكون الوعى الكونى أو الالهام ، وما يجرى مجـراه ، ونحصـل من هذا على اليقين - اذا اقتصرنا فى استعمال كل وسيلة فى حدود طاقاتها التى لا يجوز لها ان تتعداها .

فالحواس يمـكن ان تعطى يقينا فى حـدد ما ظهـر من الكون ، ووصلت اليه سواء أكانت تلك الحواس ظاهرة أم باطنة ، والعقل يمكن ان يعطى يقينا فى حدود طاقته التى خلق وهو محدود بهـا ، فيمكه ان يصـل الى الاستنتاجات مما تعطيه الحـواس ، يمكنه أن يعطى فى مجـال تعليـل الحوادث الظاهرة ، والوصول بها الى مبدأ أول لا علة له ، ولكنه عندمـا يصـل به الامر الى البحث فى طبيعة هـذا المبـدأ - هنا يقف حده الذى لا يستطيع تجاوزه - وهنـا يأتى دور الوحى من قوة عليـا فوق الطبيعة - أحس بهـا الانسان فى جميع أطوار حياته ودان لها (٦٩) .

---

(٦٩) الدكتور محمود عتمان - الفكر المادى الحـديث وموقف الاسـلام منه ص٥١٥ .

هذا وقد عرض المرحــوم الدكتور محمد عبد الله دراز فى كتابه الدين معظم الطرق التى قال بها المفكــرون لاثبات وجود الله تعالى ، وهى ـ المذاهب التجريبية ، او الطبيعيه . والمذاهب الروحية او الحيوية والمذهب النفسية والمذاهب الاخلاقية والمذهب الاجتماعى ، والمذهب التعليمى ثم حللها ونقدها (٧٠) وعقب على ذلك بقوله « ان الذى يستعرض أساليب الهداية القرآنية الى عقيدة الالوهية يجدها قـد أحاطت بأطرافهذه المسالك واشبعت تلك النزعات جميعا ، بل ربما زادت فى كل منهج عناصر جديدة لم يفطن اليهـا الباحثون المذكورون » (٧١) .

ومن ثـم يصبح الطريق الاسلامى هو أسلم الطـرق وأقواها وأبقاها لانه طريق اللطيف الخبير العليم بخائنة الأعين وما تخفى الصدوّر ـ وهو منهج الرؤوف الرحيم ـ جاء ليحمل عن الانسان اصر المتاعب البشرية وأوزارهـا الثقــال .

الطـريق القلبى :

ان النتيجـة الاولى لهذا الطريق هو التكوين الخلقى الذى هو الحصــن المنيع الذى يحمى الامم والمجتمعات من التفكك والضياع ـ فمما لا شك فيـه ان الطريق القلبى هو طريق الطهر النفسى والصفاء القلبى .

والملاحظ الان ان كثيرا من أهل العصـر الراهـن ، لا يعنون بالجانب الروحى بقدر ما يعنون بالجانب المادى ، وهاتيك الزوابــع الالحــادية التى هبت علينـا فى الحقبة

---

(٧٠) الدكتور محمد عبد الله دراز ـ الدين من ص١٢٥ ـ ١٧٥

(٧١) المصدر السابق ص ١٧٦ .

الراهنة من الغـرب بصورة تكـاد تجتاح عقـول شبابنا وقلوبهم ، اذ يعـلن أرباب هذه الزوابـع فى غير خجـل ولا حياء : أن العالم المحس هو حـده الموجـود وأن مـالا يناله الحس بجوهره ففرض وجوده محال ، وان مـالا يكون موضوعا للعلم التجريبى فهو ضرب من الاحلام .

ان هذا النوع من الحياة المادية الهائجة المضطربة التى اجتاحت كثيرا من شعوب أهل العصر الراهن والتى تحاول اقامة الحواجز بين الأرواح البشرية والمثل العليا وحجبها عن التأمل فى منشئها ومصيرها (٧٢) .

ولهذا فان الاسـلام ينبذ هذه الحياة المـادية البحته ، ويدعو الى التعادل بين الكم والكيف ، بين الروح والمادة ، بيـن الغاية والسبب ، بين الدنيـا والآخـرة فلا أفـراط ولا تفريط ، ويدعو الى الاهتمام بالطريق القلبى عن طريق التأمل فى النفس كما جاء فى قوله تعـالى « وفى أنفسكم أفلا تبصـرون » (٧٣) بعين البصيرة القلبيـة أو اللطيفة الربانيـة لكى تنغمس فى بحـار الانوار وتنغمر فى لجج الابهـار ولكن الناظر الى هذا الطـريق والمتطلع الى هذه الانوار ـ عليه مجهودات لابد من بذلها وفى طريقة عقبات لابد من تخطيها ، وأول تلك المجهـودات هو التخلص من عبودية البدن ، والبعد عن الغرور الذى يؤدى الى سـواد القلوب « ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور » (٧٤)

---

(٧٢) الدكتور محمد غـلاب ـ المعـرفة عنـد مفكرى الاسـلام ص ٨١ .

(٧٣) سورة الذاريات الآية رقم ٢١ .

(٧٤) سورة النور الآية رقم ٤٠ ..

فهـذا الطريق هـو طريق الخـواص الذى يعتمد على الطاعة المطلقة لأوامـر الله تعـالى والعبادة الصـافية ، وتخليص النفس من ثقل العالم المادى المحسوس والانغماس فى عالم الشهود يقول الفارابى « ان لك منك غطاء فضـلا عن لباسك من البدن فاجتهد ان ترفـع الحجاب وتتجرد ، فحينئذ تلحق ، فلا تسأل عما تباشرة فان ألمت فويل لك ، وان سلمت فطـوبى لك ، وأنت فى بدنك تكون كأنك لست فى بدنك ، وكأنك فى صقع الملكوت فترى مـا لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطـر على قلب بشر ، فاتخذ لك عنـد الحق عهدا الى أن تأتيه فردا » (٧٥) ٠

فهذا المسلك الذى سلكه الصوفية لا يعتمد على مقدمات بديهية تؤخذ من الواقع — بل اعتمد على المعرفة التى تفيض فى نفوس العارفين — فهم بهذه المعرفة يتطلعون الى التحقيق بهذا اليقين لكى يصلوا منه الى عين اليقين فى الشهود القلبى والبصيرى بعد ما تتجلى عن قلوبهم الغواشى وتزول العوارض وتتفتح مسـام القلب لينظـر المؤمن بنور الله سبحانه وتعالى — ومع كل هذه التطلعات الصوفية — الا أن أصحاب هذا الطريق لم يدعوا أن شهودهم شهود لحقيقـة الذات الالهية ، ولـم يزعمـوا أنهم يطـالعون فى حيـاتهم الروحية كنه الذات وخصـائصها ، لنمـا يعترفون — ان شهودهم لا يعدو شهود الاسـرار ومطالعـة الانوار ، وان رؤيتهم القلبية لا تتجاوز التجليـات الصفاتية لا الخواص الذاتيـة ٠

فالصوفية مع اقرارهـم بالتفـرقة بين العلم الكسبى القـائم على الحـواس والعقل ، وبيـن المعـرفة الوهبيـة

---

(٧٥) الفارابى رسالة نصوص الحكم ضمن المجموع ص ٦١ ٠

القائمة على الفتح والمنح الا أنهم يقولون ان العلم والمعرفة بهذا المعنى الخاص يستويان فى العجز عن دراك الحقيقة (٧٦) .

ويرى الامام الغزالى فى المنقذ من الضلال (٧٧) ان الطريق القلبى الذى سلكه الصوفيه لمعرفة الله سبحانه وتعالى - هو من أهم الطرق وأقربها الى معرفة الله سبحانه وتعالى .

ونود أن ننبه أن هذا الطريق - هو طريق الخواص من أهل الصفوة المختارين فهو طريق اختيارى يسير فيه من يريد فهو خاص بمن ذاق بنفسه ولذلك قالوا « من ذاق عرف ومن حرم انحرف » .

الطريق الذى سلكه المتكلمون :

بالرغم من الطرق المغتاصة التى سلكها المتكلمون فى الدفاع عن العقيدة الاسلامية ، الا أنه كان لجهودهم أثر مشكور فى الدفاع عن العقيدة الاسلامية ، ذلك ان أى جهد يبذل فى سبيل الاستدلال على وجود الله تعالى ، انما هو فى المقام الاول استجابة للاستشعار بحاجة الانسان الى الوجود الالهى فى كل شىء .

لهذا كانت الغاية الاولى من الطريق الذى سلكه المتكلمون - هو معرفة الله تعالى بالبراهين القطعية والفوز

---

(٧٦) الدكتور عبد الله يوسف الشاذلى - الالوهية فى الفكر الاسلامى ص ٤٧ .

(٧٧) الامام الغزالى المنقذ من الضلال ص٣٤٧ تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود .

بالسعادة الابدية ، والتصديق بصفاته الواجب ثبوتها له مع تنزيهه عما يستحيل اتصافه به ٠

وعلى ذلك فقد جعل المتكلمون وسيلتهم الى ذلك هو النظر ، ورأوا أن الطريق الى معرفة الله تعالى ، والى جميع المعارف هو النظر فى العوالم والكائنات ٠

فما هو النظر ، وهل يؤدى النظر الى العلم والمعرفة ، وما هو طريق اثبات وجوبه . وما هو أول واجب على المكلف ؟ ٠

كل هذه أسئلة فى حاجة الى الجواب . نقول بالله التوفيق *

تعريف النظر :

لقد ذكر المتكلمون نظرية المعرفه تحت عنوان أحكام النظر :

فالنظر كما عرفه القاضى الباقلانى : هو الفكر الذى يطلب به علم أو غلبة ظن ، أو هو التأمل فى المنظور فيه ٠

وعرفه صاحب المواقف بأنه : ملاحظة العقل ما عنده لتحصيل غيره وقيل هو ترتيب أمور معلومة أو مظنونة للتأدى الى آخر (٧٨) ٠

وعرفه الجوينى بأنه تردد فى أنحاء الضروريات لتحصيل المجهول ويقول الامام الرازى : النظر ترتيب

---

(٧٨) القاضى الايجى ـ المواقف ص٢٢ عالم الكتب بيروت ٠

تصديقات ليتوصل بها الى تصديقات آخر ، كما يذكر تعريفات أخرى ، وقيل : الفكر تجريد العقل عن الغفلات ، وقيل تحديق العقل نحو المعقولات (٧٩) .

ويلاحظ أن هذه التعريفات متفقة على ان النظر هو حركة الذهن المسماه بالتفكير المستخدمة لما هو معلوم أو مظنون لديه للتوصل بها إلى ما أراد معرفته من ما هو مجهول له .

وهذه الحركة تمر حسبما ذكره البعض بمرحلتين :

أحدهما : ينتقل فيهما الفكر من المطلوب المشعور به على وجه ناقص الى مبادئه .

ثانيتهما : ينتقل فيها الفكر من المبادىء الى المطلوب المشعور به على الوجه الاكمل .

ولذلك يرى بعض مفكرينا (٨٠) ان هذه التعريفات تتفق جمعيها على ان النظر طريق الى القطعى والظنى ، وتختلف بعد ذلك فى مدى ربطها بالقواعد المنطقية المحررة، أو اطلاقها فتشمل « النظر الطبيعى » الذى فيه تحديق العقل فى المعقولات .

وهى على ذلك لا تتفق مع وجهة نظر المعتزلة التى ترى أن النظر الصحيح يحصل عنده العلم ، ولا يتفق ذلك مع الظن .

---

(٧٩) الدكتور يحيى هاشم - الاسس المنهجية لبناء العقيدة الاسلامية ص ١٤١ .

(٨٠) الدكتور يحيى هاشم ، المصدر السابق نفس المكان .

ويرى الامام الغزالى ان الخلاف فى التعريف لفظى فيقول اعلم أنك اذا سمعت واحد يحد النظر بالفكر ، وآخر بالطلب وآخر بالفكر الذى هو يطلب به لم تسترب فى اختلاف اصطلاحاتهم (٨١) ٠

النظر الصحيح والنظر الفاسد :

النظر ينقسم الى صحيح يتضمن العلم ويؤدى الى المطلوب ، وفاسد يقابله لا يتضمن علما ، ولما كان النظر أنه ترتيب العلوم ، ولكل ترتيب مادة وصورة ، فتكون صحته بصحة المادة والصورة معا ، وفساده بفسادهما أو فساد احداهما ذلك ان الدليل قد يعرض له الحالتان :

أحدهما : يحسب الصورة لان الاشكال متفاوته فى الجلاء والخفاء ٠

ثانيهما : يحسب المادة ، فالمطلوب قد يتوقف على مقدمات كثيرة أو أكثر ، قليلة وأقل (٨٢) ٠

فالنظر الصحيح ينظر الناس اليه على وجه الدليل المقتضى للعلم بالمدلول ، ذلك أن الدليل لما دل بصفته النفسيه دل على كل من أحاط به علما على مدلوله ولهذا يعرف ٠

الدليل :

عرف الدليل بأنه البرهان الموصل الى العقيدة ، او انه الذى يتوصل بصحيح النظر فيه الى ما لا يعلم فى مستقر العادة اضطرارا :

---

(٨١) الامام الغزالى - الاقتصاد فى الاعتقاد ص١٣ ٠

(٨٢) الامام الايجى - المواقف ص٢٣ ٠

وهو نوعان : تفصيلي واجمالى :

أما الدليل التفصيلى فهو الذى يعرف الانسان المكلف تفاصيله ومقدماته وأجزائه ونتائجه ، وهو واجب على الكفاية ، يستطيع العالم فيه رد الشبهه التى توجه اليه ، فكما أن هناك جيشا يدافع عن أرض الاسلام كذلك يجب أن يكون هناك علماء يدافعون عن العقيدة الاسلامية والدفاع عن بيضتها من كل معتد أثيم ذلك أن العقيدة تترتب عليها كل العلوم فوجب أن يكون فى كل قطر وبلد من يعلم الأدلة التفصيلية لكى يعلمها للناس ويرد الشبه قال تعالى : « وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون » (٨٣) .

أما الدليل الاجمالي ، فهو واجب عينى ولا يشترط على المكلف معرفة تفاصيله وأجزائه كأن يقول : الدليل على وجود الله تعالى ، وجود ذلك العالم .

أقسام الدليل :

اننا اذا تصحفنا مسائل العقيدة وما يجب الايمان به علمنا أن العقيدة تثبت بطريقين : الأول : الدليل العقلى ، الثانى : الدليل النقلى .

أما الدليل العقلى : هو الذى يقتضى النظر فيه العلم بالمدلولات ، فهو يدل بنفسه وما هو عليه من صفاتها ، وذلك

---

(٨٣) سورة التوبة الآية رقم ١٢٢ .

كالفعل الدال على القادر والتخصيص الدال على المريد والأحكام الدال على العلم ، والعقل يدرك ذلك بداهة والعلم الحاصل منها يكون علما ضروريا ، ولهذا كان القرآن الكريم موقظا للعقل البشرى لينظر فى الكائنات ، والعوالم والنفوس وخصائصها وصفاتها ليعلم العقل ويصل من هذا الطريق الى معرفة الله تعالى والتصديق بوجوده وشمول علمه وقدرته ، وصفاته الكمالية ٠

أما الدليل السمعى : هو الذى يستند فيه الانسان الى خبر صدق أو أمر يجب اتباعه وذلك كما جاء فى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وذلك كقولنا فى الاستدلال على وحدانية الله تعالى « لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا » (٨٤) وقوله تعالى « قل لو كان معه الهة كما يقولون اذن لا بتغوا الى ذى العرش سبيلا » ، وقول رسول الله ﷺ « من قال لا اله الا الله دخل الجنة » ، وكما قال عليه الصلاة والسلام فى حديث جبريل عن الاسلام « أن تشهد أن لا اله الا الله وأن محمد رسول الله » ، الى غير ذلك من الآيات والأحاديث فى هذا المقام وغيره من أمور العقيدة التى يجب الايمان بها من وجود الملائكة والبعث والحشر والنشر ، والجنة ، والنار ، والثواب والعقاب والميزان ، والصراط ، واليوم الآخر بكل ما فيه ، والواجبات الضرورية المعلومة من الدين بالضرورة كالصلاة وعدد ركعاتها والزكاة ومقدارها والحج وكيفيته والصوم وتحديده وغير ذلك من السمعيات فهذه أمور ليس لها طريق الا النقل والسمع ، أما العقل فهو لا يستطيع ادراكها بنفسه ٠

---

(٨٤) سورة الانبياء الآية رقم ٢٢ ٠

مكان النظر من الواجبات :

من المسائل التى اختلف فيها المتكلمين - تعين الواجب على المكلف - هذا على أساس أن المعرفة والنظر الموصل اليها واجبـــان عليه ، الا أنه وقع الخلاف فى تعين الواجب أولا منهما . فمذهب الاشاعرة أن معرفة الله تعالى هى أول واجب على المكلف أى معرفة الله تعالى بصفاته لأنها أساس معرفة الدين ذهب الى ذلك الامام الاشعرى .

وذهب أبو اسحاق الاســفراينى الى أن أول الواجبات النظر الموصل الى المعرفة لأنها تبتنى عليه والمقصود بالنظر الدليل الموصل الى معرفة الله تعالى كقولنـــا العالم حادث . وكل حادث لابد له من محدث ، فالعـــالم لابد له من محدث ، ويخلص من ذلك الى معرفة الله تعالى .

ويقول القاضى الباقلانى أو لما فرض الله عز وجل على جميع العباد النظر فى آياته والاستدلال عليه بآثار قدرته ، لأنه سبحانه غير معلوم باضطرار ولا مشاهدة بالحواس ، وانما يعلم وجوده وكونه على ما تقتضـــيه أفعاله بالأدلة القاهرة والبراهين الباهرة .

وذهب امام الحرمين الجوينى الى أنه القصد الى النظر - وهو تفريغ القلب عن الشواغل حتى يستطيع التفكير فى المخلوقات ليصـــل عن طريقها الى معرفة الله تعالى ، فأول الواجبات هو القصد .

وقال آخرون ان أول واجب هو النطق بالشهادتين والذى أوجب النظر عند الاشاعرة هو الشرع قال تعالى « قل انظروا ماذا فى الســـماوات والأرض » (٨٥) وقوله تعالى « ان فى

خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الالباب » (٨٦) .

وقد قال عليه السلام فى هذه الآية « ويل لمن لاكها بين لحييه ولم يتفكر فيها » .

وهكذا يقرر الايجى ان معرفة الله تعالى واجبة اجماعا ، وهى لا تتم الا بالنظـــر وما لا يتم الـــواجب الا به فهـــو واجب (٨٧) .

وذهب بعض العلماء الى انكار وجوب النظر فى معرفة الله تعالى ، وذلك لتقرير النبى ﷺ والصحبة وأهل الأعصار العوام وهم الاكثرون مع عدم الاستفسار عن الدلائل بل مع العلم بأنهم لا يعلمونها قطعا ، ويرد صاحب المواقف قائلا : قلنـــا كانوا يعلمون الأدلة اجمالا كما قال الأعرابى البعرة تدل على البعير وأثر الاقدام على المسير أفســماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج لا تدل على اللطيف الخبير ..

غايته : أنهم قصروا عن التحرير والتقرير وذلك لا يضر، أو ندعى أنه فرض كفاية فان الوجوب أعم من ذلك (٨٨) .

---

(٨٥) سورة يونس الآية رقم ١٠١ .

(٨٦) سورة آل عمران الآية رقم ١٩٠ .

(٨٧) الامام عضد الدين الا يجى ـ المواقف ص٢٩ .

(٨٨) المصدر السابق ص٣٠ .

الفصل الثالث

وجود الباربى وتوحيده

اثبات وجود الله تعالى

ان اعتقاد الانسان بوجود قوة عليا تسيطر على هذا الكون وجد يوم أن وجد الانسان على ظهر هذه الأرض ، وان لم يعرف حقيقة هذه القوة المغيبة عنه ، ففكرة الألوهية أصيلة فينا وقد طبعت عليها فطرنا ونيطت بها الحكمة من وجودنا حيث تغذت بها أرواحنا منذ أن خاطبها وبها بقوله تعالى « واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين » (١) .

ان تاريخ البشرية يرينا أن جميع الناس من مبدأ فطرتهم أصحاب اتجاه دينى فلا توجد أمة فى أى عصر كان دون ديانة وان كان البعض قد انحرف عنها الا أن معرفة الله تعالى مغروسة فى قلوبهم « فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل للخلق الله » (٢) .

بيد أن هذه المعرفة المتصلة برب العالمين لم تأخذ امتدادها الكامل وسماتها الواشدة ، ولم تبرأ من الأوهام ، وتبعد عن الأهواء الا عندما تلقاها الناس مصفاة من ينابيع الوحى وسمعوا آياتها تتلى من أفواه الأنبياء عليهم أفضل الصلاة والسلام .

فالمعرفة الالهية قد طبعنا عليها فى فطرنا وترسخت فى قلوبنا من خلال استمرارية الخطاب الالهى على لسان الرسل

---

(١) سورة الاعراف الآية رقم ١٧٣ .

(٢) سورة الروم الآية رقم ٣٠ .

عليهم الصلاة والسلام ابتداءا من آدم عليه السلام حتى آخر الانبياء محمد ﷺ ·

فهذا الكون الذى نعيش فيه ونتفيأ ظلاله ونرتجيه ، وكل هذه الكائنات من السماء ، والأرض والنبات ، والحيوان والجبال ، والبحار ، والانهار ، كل هذه الكونيات وغيرها لها مدبر واحد خالق - هو الحق تبارك وتعالى الا انه لما كان لكل انسان موقفه ازاء هذه الموجودات ، وتفسيره السليم أو السقيم لها تشعبت بالناس الطرق التى سلكوها الى الله تعالى كما تعددت وسائلهم فى الاستدلال على الله تبارك وتعالى :

وفى عجالة قصيرة أشير الى نماذج من الأدلة على وجود الله تعالى :

الأدلة القرآنية :

لقد فتح القرآن الكريم عيون الناس وقلوبهم الى آثار صنعة الله تعالى فى كونه الفسيح ، فهذه الآثار هى التى تنبه العقول وتوقظ الصدور وتأخذ بأزمة الضالين ، لتضع أيديهم على هذه الحقيقة التى تقول لهم « أفى الله شك فاطر السموات والأرض » (٣) ·

ولقد أقام القرآن الكريم أدلة كثيرة على وجوده تعالى من الكون والانسان والنبات والحيوان وغير ذلك ، فالعالم العلوى وما فيه من شموس وأقمار ونجوم وكواكب ، والعالم

---

(٣) سورة ابراهيم الآية رقم ١٠ ·

الأرضى وما فيه من انسان وحيوان ونبات وجماد ، والترابط الوثيق ، والتوازن الدقيق الذى يؤلف بين هـــذه العـوالم ويحكم أمرها - ما هو الا آية « وجود الله تعـــالى » ومظهره تفرده بالخلق ، ولا يتصور العقل أن توجد هذه الأشياء بدون موجد كما لا يتصور أن توجد الصــنعة بدون صانع ولهذا كان من أول الظواهر التى تدلنا على وجود الله تعالى .

حدوث الكون :

ان من يتدبر آيات القرآن الكريم يلاحظ ان أول ظاهرة تدلنـــا على الله تعـــالى هى ظاهرة حدوث الكون ، والكون عبارة عن مادة وابداع ، أو عن كثافة وسنن ، وقد صور القرآن الكريم فى أكثر من موضع على أن مادة الكون بذاتهــــا وصفاتها تقف شاهدا ودليلا ساطعا على أن لها بداية ونهاية فى الزمان بالرغم من عدم شـــهود الخلق لهذه البداية قال تعالى « ما أشهدتم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذى المضلين عضدا » (٤) وما على الذين لايؤمنون بذلك الا أن يمعنوا النظر فى مشاهد الكون وشتى صــوره المادية ، من سماء ، وأرض ، ونبـــات ، وماء ، وانســـان ، وحيوان ، وغير ذلك مما خلق الله تعالى وسـوف يعلمون ان الكون متناه حجما وزمنا ، وقد قرر القرآن الكريم فى أكثر من موضع ان الله سـبحانه وتعالى خالق ، وفاطر ، ومبدع السموات والارض بمادتهما وزمانهما .

قال تعالى « الحمد لله الذى خلق الســموات والأرض وجعل الظلمات والنور » (٥) وقال تعالى « الحمد لله فاطر

---

(٤) سورة الكهف الآية رقم ٥١ .
(٥) سورة الانعام الآية رقم ١ .

السموات والأرض » (٦) وقال تعالى « بديع السموات والأرض واذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون » (٧) وقوله تعالى « أو لم ير الذين كفروا ان السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شىء حى » (٨) ٠

ففى هذه الآية الكريمة ينبهنا المولى عز وجل على قدرته التامة وسلطانه العظيم فى خلقه الأشياء وقهره لجميع المخلوقات فقال تعالى « أو لم ير الذين كفروا » ويرى بمعنى يعلم (٩) أى ألم يعلموا ان الله هو المستقل بالخلق المنفرد بالتدبير « أن السموات والأرض كانتا رتقا » أى كان الجميع متلاصق متراكم بعضه فوق بعض فى ابتداء الامر ، ففتق هذه من هذه ، فجعل السموات سبعا والأرض سبعا وفصل بين السماء الدنيا والأرض بالهواء فأمطرت السماء وأنبتت الأرض (١٠) ولهذا قال تعالى « وجعلنا من الماء كل شىء حى » ٠

يقول القرطبى فيه ثلاث تأويلات :

أحدها : أنه خلق كل شىء من الماء ٠

الثانى : حفظ حياة كل شىء بالماء ٠

الثالث : أنه جعل من ماء الصلب كل شىء حى وجعلنا بمعنى خلقنا (١١)

---

(٦) سورة فاطر لآية رقم ١ ٠
(٧) سورة البقرة الآية رقم ١١٧ ٠
(٨) سورة الانبياء الآية رقم ٣٠ ٠
(٩) الامام القرطبى ــ الجامع لاحكام القرآن جـ١ ص٢٨٢ ٠
(١٠) ابن كثير التفسير جـ٣ ص١٧٧ ٠
(١١) القرطبى ــ الجامع لاحكام القرآن جـ١١ ص٢٨٤ ٠

ونحن اذا نظرنا الى آيات الخلق فى القــرآن الكريم نجد أن فعل الخلق الالهى فى القرآن الكريم على نوعين :

الأول : ايجاد شئ لم يكن موجودا من شئ آخر على وجه ينفرد به الحق تعالى ويعجز الغير عن ايجــاد مثله ، وذلك مثل خلق الانسان من نطفة أو خلق آدم من طين قال تعالى « أو لم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين »

الثانى : ايجاد شئ لم يكن موجودا من لا شئ كما فى خلق السموات والارض وغير ذلك من مخلوقات الله تعالى .

والله ســـبحانه وتعالى ما خلق ذلك الا بالحق واظهارا صنعته ودلالة على قدرته وعلمه قال تعالى « خلق السموات والأرض بالحق (١٢) وقوله تعالى « هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون » (١٣)

وهكذا نلاحظ ان القرآن الكريم قد قرر أمر البداية لهذا الكون وبين أيضـــا القرآن الكريم التناهى لهذا الكون فى مادته وزمانه ولهذا فقد جاءت آيات القرآن الكريم تؤكد أمر النهـــاية المحتومة لهذا الكون قال تعالى « كل شئ هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون » (١٤) .

---

(١٢) سورة النحل الآية رقم ٣ .
(١٣) سورة يونس الآية رقم ٥ .
(١٤) سورة القصص الآية رقم ٨٨

وقوله تعـــالى « كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام » (١٥) .

وفى القرآن الكريم مشاهد كثيرة لعملية الفناء الكونى من ذلك تشقق السمـــاء ، وزلزلة الأرض ، وتطاير الجبال ، وتكوير الشمس ، قال تعالى « اذا الســـماء انشقت » (١٦) « اذا زلزلت الأرض زلزالها » (١٧) وقوله تعالى « اذا الشمس كورت ، واذا النجوم انكدرت ، واذا الجبـــال سيرت ، واذا العشار عطلت ، واذا الوحوش حشرت ، واذا البحار سجرت ، واذا النفوس زوجت واذا الموءودة ســـئلت بأى ذنب قتلت واذا الصحف نشرت واذا كشطت » (١٨) .

ولنتأمل ما جـــاء فى قوله تعـــالى « أو لم يتفكروا فى انفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما الا بالحق وأجل مسمى وان كثيرا من النـاس بلقاء ربهم لكافرون »(١٩)

فى هذه الآية الكريمة ينهينا المولى عز وجل الى التفكر فى مخلوقاته الدالة على وجوده تعـــالى وانفراده بخلقها ، وأنه لا اله غيره ولا رب ســـواه فقـــال « أو لم يتفكروا فى أنفسهم » يقول ابن كثير : المقصود به النظر والتدبير لخلق الله الأشياء من العالم العلوى والســـفلى وما بينهمـــا من المخلوقات المتنوعة والأجناس المختلفة ، فيعلموا أنها ما خلقت

---

(١٥) سورة الرحمن الآية رقم ٢٦ ، ٢٧ .

(١٦) أول سورة الانشقاق .

(١٧) أول سورة الزلزله .

(١٨) سورة التكوير من الآية رقم ١ الى رقم ١٠ .

(١٩) سورة الروم الآية رقم ٨ .

سدى ولا باطلا ، والمقصـــود بالحق : هو علم الله وحكمته البالغة فى كل ما خلق ، وانها مؤجلة الى أجل مسمى ، والأجل فى اللغة : هو غاية الوقت ، فاذا كان مسـمى - فان نهايته تكون معلومة ومحتومة - وعلى هذا فالتنـــاهى لهذا الكون حجما وزمانا معلوم بالضرورة فى طريقة تكوينه .

دلالة الوقائع العملية على حدوث العالم :

من المســائل التى دار النقـــاش فيها بين المتكلمين والفلاسفة مسألة القدم والحدوث بالنســـبة للعالم ، وظل النقـــاش بينهم حتى جاء العلم الحديث لكى يحسم هـذه القضية بالبراهين العلميه التى اثبتها المنهج العلمى ، وهذا ما يجعلنا أن نركز الجهود على البراهين العلمية والتجريبية على حدوث العالم . وذلك لان الالحاد العلمى يتبنى قضـية القدم والأزلية ويحاول أن يجعلها سنده فى انكار وجود الله

اذا فلابد أن نواجههم بأســاليبهم وبمنطق العلم الذى يدعون الانتساب اليه (٢٠) .

يقول وحيد الدين خان : اذا كان لا مناص من افتراض أزلية هذا الخالق ، فلماذا لا نؤمن بأزلية هذا الكون ؟ وهذا الكلام لا معنى له ، لاننا لم نعثر على صـفات للكون أية كانت تثبت أنه خالق نفسه .

ولقد كان لهذا الاستدلال حسنة ورواه حتى القرن التاسع عشر ، ولكنا اليوم وبعد كشف « القانون الثـانى للحرارة

---

(٢٠) الدكتور سعد الدين صالح - العقيدة الاسلامية ص ١١٠ .

الديناميكية ، نجد أن هذا الاســـتدلال فقد كل أساس كان يقوم عليه ".

وهذا القانون الذى نسميه « قانون الطاقة المتاحة » أو « ضـابط التغير » يثبت أنه لا يمكن أن يكون وجود الكون أزليا ، فهو يصف لنا أن الحرارة تنتقل دائمـا من « وجود حرارى » الى « عدم حرارى » والعكس غير ممكن - وهو ان تنتقـل هذه الحرارة من « وجود حرارى قليل » أو « وجود حرارى عدم » الى « وجود حرارى أكثر » فان ضابط التغير هو التناسب بين « الطاقة المتاحة » و « الطاقة غير المتاحة »

وبناء على هذا الكشف العلمى الهام فان عدم كفاءه عمل الكون يزداد يوما بعد يوم ، ولابد من وقت تتسـاوى فيه حراره جميع الموجودات ، وحينذاك لا تبقى أية طاقة مفيدة « للحياة والعمل » ".

وسيترتب على ذلك أن تنتهى العمليـات الكيماوية والطبيعية - وتنتهى تلقائيا مع هذه النتيجة « الحياة » .

وانطلاقا من هذه الحقيقة القائلة بأن العمليات الكيماوية والطبيعية جارية وأن الحياة قائمة ، يثبت لدينا قطعا أن الكون ليس بأزلى ، اذ لو كان أزليا لكان من اللازم أن يفقد طاقته منذ زمن بعيد بناء على هذا القانون ولما بقى فى الكون بصيص من الحياة ".

يذكرا هـذا التحقيق العلمى الحديث عالم أمريكى فى علم الحيوان ، هو الاستاذ « ادوارد لوثر كسيل » فيقول :

وهكذا أثبتت البحوث العلمية - دون قصد - ان لهذا الكون « بداية » فأثبت تلقائيا وجود الاله ، لان كل شيء ذى

بداية لا يمكن أن يبتدىء بذاته ، ولابد أن يحتاج الى المحرك الأول - الخالق الاله .

وقد قال نفس الكلام السير جيمس : تؤمن العلوم الحديثة بأن عملية تغير الحرارة - سوف تستمر حتى تنتهى طاقاتها كلية ، ولم تصل هذه العملية حتى الآن الى آخر درجاتها ، لانه لو حدث شىء مثل هذا لما كنا الآن موجودين على ظهر الأرض حتى نفكر فيها ، ان هذه العملية تتقدم بسرعة مع الزمن ومن ثم لابد لها من بداية ، ولابد أنه قد حدثت عملية فى الكون ، يمكن أن نسميها خلقا فى وقت ما حيث لا يمكن أن يكون الكون أزليا (٢١) .

وهناك شواهد طبيعية كثيرة تثبت أن الكون لم يكن موجودا منذ الأزل ، وأن له عمرا محدودا ، وعلى سبيل المثال ، نجد « علم الفلك » يقرر أن الكون يتسع بالتسلسل الدائم ، وأن كل مجاميع النجوم والاجرام والاجسام الفلكية تتباعد بسرعة مدهشة ، بعضها عن بعض ، ويمكن أن نفسر هذه الحالة تفسيرا جيدا ، اذا نحن سلمنا بوقت للبدء ، كانت فيه كل الاجزاء التركيبية مركزة ومجتمعة بعضها مع بعض ، ثم بدأت الحركة والحرارة ويقدر العلماء ان جزا الكون قد وجد نتيجة « لانفجار » فوق العادة وقع منذ ٥٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ سنة .

فالايمان بهذا الكشف العلمى ، وهو أن للكون عمر محدودا يتعارض مع انكار موجده ، ومثل من يؤمن بحدوث الكون

---

(٢١) الاستاذ وحيد الدين خان - الاسلام يتحدى ص ٤٩، ٥٠ الطبعة الرابعة المختار الاسلامى للطباعة والنشر .

مع انكاره لوجـود خـالقه ، كمثل من يزعم أن « تاج محل » قام بنفسه من غير بنائين ومهندسين مع تسليمه بأنه بنى فى القرن الســابع عشر الميلادى ، ولم يكن موجودا منـذ الأزل (٢٢) .

بل هناك دلالات علمية أقوى تدل على أن للعـالم بدايـة تستنتج مما توصلت اليه الفيزياء الحديثة عن تمدد الكون اذا أضيف ذلك .. الى ما نقرره من تناهى الكون حجمـا يقول السير «آرثر ادنجتون» عالم الفلك الانجليزى الكبير من الاستنتاجات التى أخذناها عن النظرية النســبية أنه يجب أن توجد قوة تعرف باسم « التنـافر الكونى » تعمل على نشوء هذا النوع من التشتت الذى معه يتباعد كل جرم عن أى جرم آخر » (٢٣) .

ولم تكن قوة التنافر الكونى هذه مجرد اسـتنتاج من النظرية النسبية ولكنها من المسـائل التى أسفرت عنها الملاحظة والرصد الفلكى فيما تم كشفه أخيرا من التبـاعد بين الاجـرام يقول أدنجتون : « والشىء الملحوظ الذى تم اكتشافه فيما يتعلق بالمجرات هو أنها تجرى متبـاعدة عن مجرتنا وانها كلما ازداد بعدها عنا ازدادت سرعتها وتنطلق المجرات بسرعات عالية جدا » .

ولماذا تجرى كلها متباعدة عنا ؟ اذا ما فكرنا قليلا فسوف نرى ان النفور لا يوجه مباشرة ضدنا ، فانها فى نفس الوقت الذى تتباعد فيه عنا اذا بها تتباعد بعضها عن بعض كذلك

---

(٢٢) المصدر السابق ص ٥١ .

(٢٣) الدكتور يحيى هاشم فرغل ـ مداخل الى العقيدة الاسلامية ص١٧٩ نقلا عنه من العلم وأسراره وخفاياه جا ص٩٧ .

.. وهذا التمدد لا يتجه بعيدا عن مركزه بالذات ولكن يسبب تشتتا عاما ..

ويسير الاتســـاع بالمعدل الحالى الى المدى الذى معه سوف تصل السدم الى ضعف أبعـــادها الحالية فى مدى ١٣٠٠ مليون ســـنة .. ونحن نعتقد أنه جنبا الى جنب مع تمدد اتساع الكون المادى يتمدد الفضـــاء نفسه ، وتتلخص الفكرة فى أن المجرات التى تمثل الجزء تتناثر عبر فضـــاء كروى يتمدد (٢٤) .

يقول سير « آرثر أدنجتون » :

ان فترة ١٣٠٠ مليون سنة تعتبر زمنا قصيرا فى تاريخ الكون فاذا أضفنا ذلك كله الى ما تقرر من تنـــاهى الكون حجما كان لابد من أن نستنتج أن الكون متناه أيضا زمنيا ، وهذا ما عبر عنه آرثر ادنجتون بقوله « ويعنى ذلك بالتـــالى اننـــا لا نســـتطيع أن نرجع القهقرى فى الزمن الى ما لا نهاية » (٢٥) .

وعلى هذا نلاحظ ان العلم الحديث أثبت حدوث العـــالم حيث حدد الزمن الذى وجد فيه الكون وأثبت أن الكون بدأ دفعة واحدة منذ خمسة بلايين سنة .

يقول « رونالد روبرت - «أستاذ الكيمياء الجيولوجية» لقد تمكنا من تحديد عمر التكوينات الجيولوجية باستخدام

---

(٢٤) انظـر العلم أسراره وخفـــاياه جـ١ ص ٩٥، ٩٧ نقـلا عن الدكتور يحيى هاشم - المداخل الى العقيدة الاسلامية ص ١٨٠ .

(٢٥) نقلا عن المصدر السابق ص ١٨٠ .

العلاقات الاشعاعية ، وهناك طرق كثيرة نستخدمها لتقدير عمر الارض ، ولكن نتائج هذه الطرق تشـير كلها الى أن الكون قد نشأ من نحو خمسة بلايين سنة ، وعلى ذلك فان هذا الكون لا يمكن أن يكون أزليا ، ولو كان كذلك لما بقيت فيه أى عناصر اشعاعية (٢٦) ٠

وهكذا اثبتت البحوث العلميـة ان لهذا الكون بداية فاثبتت تلقائيا وجود الاله ـ لان كل شىء ذى بداية لا يمكن أن يبتدىء بذاته ، بل لابد أن يحتـاج الى المحرك الأول ـ الخالق الاله ٠

وهـذا ما يؤكده آيات الخلق التى جاءت فى القرآن الكريم قال تعالى « قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين ، وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيهـا وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين ، فقضاهن سبع سموات فى يومين وأوحى فى كل سـماء أمرها وزينا السـماء الدنيـا بمصـابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم » (٢٧) ٠

وهذا أيضا ما يقرره حديث رسول الله ﷺ : فقد جاء فى الحديث الصحيح عن عمران بن حصين عن النبى ﷺ : « كان الله ولم يكن شىء غيره وكان عرشـه على الماء ، وكتب فى

---

(٢٦) الله يتجلى فى عصر العلم ص ٨٥ مجموعة من العلماء التجريبين ترجمة الدكتور ـ الدمرداش سرحان ـ طبعة القاهرة ٠

(٢٧) سورة فصلت من الآية رقم ٩ الى الآية رقم ١٢ ٠

الذكر كل شيء وخلق السموات والأرض » (٢٨) .

فالحديث الشريف قد نص على أنه ليس هنـــاك شيء يشـــارك الله فى أزليته وانما كل شيء هو خلقه وفق علمه وحكمته الأزلية .

٢ - دقة النظام الكونى :

ان من يتدبر نظام الكون وما فيه من وضع كل شيء فى مكانه بدقة وابداع واعطاء كل شيء ما يحتاجه دون زيادة أو نقصان - لا يمكن أن يفسر تفســـيرا منطقيا الا بالايمان بوجود خـــالق مدبر - خلق فيه وفى جميع موجوداته هــذه الصنعة وهذا النظام الذى نشاهده جميعا .

فاذا لم يجد الانسان فطرته مستقيمة عليه أن ينظر الى هـــذه الدقة فى الكون من حوله ، عليه أن يرفع بصره الى السماء متأملا وأن يعود به الى الارض فاحصا وأن يستجيب لنداء الله وهو يقول له : « أفلا ينظرون الى الأبل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت ، والى الجبال كيف نصبت ، والى الأرض كيف سطحت » (٢٩) وقوله تعالى « أفلم ينظروا الى الســـماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج ، والأرض مددناها والقينـــا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج ، تبصرة وذكرى لكل عبد منيب » (٣٠) .

---

(٢٨) الحديث أخرجه البخارى فى صحيحة فى كتاب بدأ الخلق الباب الاول ..

(٢٩) سورة الغاشية من الآية رقم ١٧ - ٢٠ .

(٣٠) سورة ق من الآية رقم ٦ - ٨ .

فهذه المخلوقات الأرضية والعلوية التى خلقها الخالق ـ دليلا على وجوده تعالى فهى تشمل الأرض بما تحتوى من ، انسان ، وحيوان ، ونبات ، وجماد ، والسماء وما فيها من أجرام ، وكواكب ، ولايزال العلم رغم تقدمه الهائل عاجزا عن ادراك أسرارها ٠

فلينظر الانسان ، كيف اتخذ القرآن الكريم من كل ذلك دليلا على وجوده تعالى ٠

والناظر فى الكون وآفاقه ، والمادة وخصائصها ، يعرف أنها محكومة بقوانين مضبوطة ـ شرحت الكثير منها علوم الطبيعة ، والكيمياء ، والنبات ، والحيوان والطب وأفادت منها الناس أجمل الفوائد ٠

وما وصل اليه علم الانسان من أسرار العالم ، حاسم فى أبعاد كل شبهة توهم أنه وجد كيفما اتفق ٠

دليل هذا ذلك النظام الدقيق المختفى فى طوايا الذرة ـ مطرد فيما بين أفلاك السماء الرحبة من أبعاد (٣١) فقد قال الحق تبارك وتعالى : « تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا ، وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا » (٣٢) وقوله تعالى « الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ، وسخر لكم ما فى

---

(٣١) انظر الشيخ محمد الغزالى ـ عقيدة المسلم ص ١٥ ٠

(٣٢) سورة الفرقان الآية رقم ٦١ ، ٦٢ ٠

السموات وما فى الأرض جميعا منه ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » (٣٣) .

وربما كانت الحكمة الكامنة من وراء هذا الاسلوب هى أن القرآن الكريم كان بصدد علاج أفحش العقائد لدى المشركين وهى عقيدة الشرك - ولا سبيل الى استئصال هذه العقيدة - واقامة صرح التوحيد الا بالنظر الى ما فى الكون الفسيح الارجاء من مشاهد هى خلق الله تعالى وفتح عيونهم على نعم الله وآلائه المحيطة بهم فى الليل والنهار ليصلوا من ذلك الى الايمان بالله وحده - فلا يستحق العبادة حقا الا من كان له أثر الخلق وحده كما قال تعالى « أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الله لغفور رحيم » (٣٤) .

ومن هنا كان عرض المخلوقات على أنظار الجاحدين بعد اقرارهم أنه ليس لها خالق الا الله قال تعالى « ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى تؤفكون » (٣٥) .

وقد كان هذا الزاما بطرح الشك وتحقيق التوحيد لديهم - وهذا هدف أصيل أجاد القرآن الكريم فى أساليب عرض نعم الله تعالى عليهم من أجله فتارة يحدثهم عن خلق السماء والأرض ، وتارة عن أنواع الحيوانات والزرع والثمار ، وثالثة عن أنفسهم وما فيها من أسرار وعجائب ، وأخرى عن الليل والنهار والشمس والقمر وعن ما يكون

---

(٣٣) سورة الجاثية الآية رقم ١٢، ١٣ .

(٣٤) سورة النحل الآية رقم ١٧، ١٨ .

(٣٥) سورة العنكبوت الآية رقم ٦١ .

فيهما من أوقات وأحوال وغير ذلك فقد قال تعالى « والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ، والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ، لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون » (٣٦) .

انظر أيها الانسان الى هذا النظام الدقيق : فمن الذى هيمن على نظامها ، وأشرف على مدارها ؟ بل من الذى امسك بأجرامها الهائلة ، ودفعها تجرى بهذه القوة الهائلة ؟

انها لا ترتكز فى علومها الا على دعائم القدرة الالهية ولا تطير الا بأجنحة أعارها لها القدر الأعلى : « ان الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده انه كان حليما غفورا » (٣٧) .

وهكذا فان القرآن الكريم به الكثير من الآيات الدامغة والأدلة الساطعة على وجود الله سبحانه وتعالى من هذه الآيات تلك التى شملت صورة الجمال الذى يشمل الكون كله كقوله تعالى « ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون » (٣٨) وقوله تعالى « ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى

---

(٣٦) سورة يس الآية رقم ٣٨، ٣٩، ٤٠ .

(٣٧) سورة فاطر الآية رقم ٤١ .

(٣٨) سورة البقرة الآية رقم ١٦٤ .

جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار » (٣٩) وقوله تعالى « قل لمن الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكرون قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون قل من بيده ملكوت كل شىء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون » (٤٠) .

فالقرآن الكريم كله حديث الله عن ذاته ، وعن خلقه ، وعن فعله ، وعن ارادته ، وعلمه بما فعل واختياره لكل مافعل - كل هذا يسوقه المولى جل شأنه على وجه كلى أو جزئى - أى يبين الاحكام كلية كما بينها تفصيلا ، ويبين أنه انما يفعل ذلك كله باختياره وارادته ومشيئته « يخلق ما يشاء ان الله على كل شىء قدير » (٤١) .

---

(٣٩) سورة آل عمران الآية رقم ١٩٠ ، ١٩١ .
(٤٠) سورة المؤمنون الآية رقم ٨٤،٨٥،٨٦،٨٧،٨٨ .
(٤١) سورة النور الآية رقم ٤٥ .

هل الكون وجد بالمصادفة ؟

بعد الاشارة السابقة نلاحظ أن كل ما نشاهده فى الكون من دقة فى الصنع واتقان فى الحركة لا يدل الا على أن الفعل الالهى يتم دائما بعلم ، وقدرة وارادة مخصصة ومشيئة واختيار من ذاته وبلا الزام عليه فى شىء ما ، فهو الذى يعجز ولا يعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء قال تعالى « يخلق ما يشاء ويختار » (٤٢) وقوله تعالى « ولقد اخترناهم على علم على العالمين » (٤٣) ٠

ومن الغريب أن يرى الماديون الملحدون ان هذا يرجع الى المصادفة ٠

ان القول بالصدفة فى خلق الكون لا يتصوره العقل ولا يقره العلم ولا يقوله انسان الا اذا فقد أخص خصائصه من الادراك والتمييز (٤٤) ٠

ذلك ان الحقيقة دائما هى الحقيقة وهى التى تعلن عن نفسها - والحقيقة أن العقل الانسانى لا يملك أساسا عقليا لانكار الاله ، لأن نظام الكون لا يتصور أنه قام بنفسه كآلة التصوير عند علماء الطبيعة ، وعالم الذرة فلو اننا اخذنا صورة مكبرة لجزئين من الالكترون والبروتون فسوف يكون الفاصل بينهما ما يقرب من ثلاثمائة وخمسين ياردة، ولقد نتصور الذرة من حيث هى فى الغبار غير مرئية ، ومع هذا فان حجم دوران الالكترون داخلها يبلغ حجم كرة قدم قطرها ثمانية أقدام ٠

---

(٤٢) سورة القصص الآية رقم ٦٨ ٠

(٤٣) سورة الدخان الآية رقم ٣٢ ٠

(٤٤) الشيخ نديم الجسر - الجواب الالهى ص١١٠ ٠

والالكترون ـ الذى هو الجزء السلبى فى الذرة ـ يدور حول البروتون الذى هو الجزء الايجـــابى فيهـــا ـ وهذه الجزئيات لا حقيقة لها أكثر من نقط وهمية ســـابحة فى الشـــعاع ، تدور حول مركزها بنفس النظام الذى تتبعه الأرض فى مدارها حول الشمس ، بحيث لا يمكن تصـــور وجود الالكترون فى مكان محدود لسرعة دورانه ، وانما هو يتخيـــل فقط موجودا على طول مداره فى وقت واحد ، وذلك لأنه يدور حول مداره بلايين المرات فى الثانية الواحدة .

لن هذا النظام الذرى يستحيل قيامه بنفسه ولا طريق الى مشاهدته ولا يمكن تفسير عمله داخل الذرة بغير العلم. أما وقد تبناه العلم فعلا ، فلماذا لا نأخذ منه دليلا على وجود منظم قائم على هذا التنظيم ؟ انه يســـتحيل قيـــام هذا التنظيم فى الذرة دون منظم قائم عليه .

كذلك أسلاك التليفون - وكذلك النظام العصبى - وهو اشد تعقيدا ان ملايين الأخبار تجرى على أســـلاك نظامنا العصبى .. وهذه الأخبار هى التى توجه القلب فى تدفقها ، وفى حركتها وتتحكم فى حركات الاعضاء المختلفة ، وتتحكم فى الحركات الرئوية ، ولو لم يكن هذا النظام موجودا فى أجسامنا لصارت الأجسام تلفيقا لأشياء مبعثرة تسلك كل منها مسلكها الخاص .

ان مركز هذا النظام مخ الانسان ، وفى هذا المخ يوجد الف مليون خلية ، ومن كل هذه الخلايا تخرج أسلاك تنتشر فى سائر الجسم وتسمى هذه الاسلاك «الأنسجة العصبية» وفى هذه الأنسجة يجرى نظام استقبال وارسال للأخبار . وبوساطة هذه الانسجة نتذوق ، ونسمع ، ونرى ، ونباشر

سائر أعمالنا ، بل هناك أمثلة كثيرة (٤٥) جدا غير هذه . وكلها تؤكد ان علماء الطبيعة والتكنولوجيا يلقون فى تفكيرهم الحديث النماذج الحية فى الطبيعة - وقد شغلت بال العلماء مسائل كثيرة من أزمان مضت على حين حلتها الطبيعة منذ زمن بعيد .

اذن فمن المستحيل أن نتصور ان نظام الكون - الذى هو أكثر تعقيدا من أى نظام أنه قام بنفسه بغير عقل وراءه، بل لابد أن له مهندسا منظما - هو الاله ، ولا يمكن أن يتصور العقل نظاما دون منظم ، فليس من اللا معقول أن نعتقد بوجود منظم للكون ، بل ان من اللا معقول أن ننكر خالق هذا النظام ، فالحقيقة أن العقل الانسانى لا يملك أساسا عقليا لانكار الاله (٤٦) .

وبعد هذا يقولون ان هذا وجد بالصدفة بلا موجد .

كلا : فهذا كله نظام عجيب فى الطبيعة ، والطبيعة نفسها ترد على كل مادى ملحد - فى استراليا مثلا زرعوا الصبار ليحميها - الا أنه سرعان ما تكاثر هذا النوع وعطل الارض الزراعية ، ولم يستطعوا القضاء عليه الا بعد أن اكتشفوا دودة لا تعيش الا على الصبار ، وسرعان ما تغلبت هذه الدودة على جيش الصبار وانتهت مصائب استراليا .

أنظر أيها المادى : هل حدث هذا دون عناية ؟ يجيب على ذلك « ايدوين كونكلين » فيقول « ان القول بأن الحياة وجدت

---

(٤٥) وحيد الدين خان - الاسلام يتحدى ص ٥٣، ٥٤ الطبعة الرابعة المختار الاسلامى للطباعة والنشر .

(٤٦) المصدر السابق ص٥٦ .

نتيجة حادث اتفاقى شبيه فى مغزاه بأن نتوقع اعداد معجم ضخم نتيجة انفجار صدفى يقع فى مطبعة » (٤٧) .

فما بالك بعالم فيه من الدقة والعناية والاتقان والابداع ؟

فهل الصدفة هى التى خلقت الذكر والأنثى ؟

وهل الصدفة هى التى جعلت الليل والنهار خلفة ؟

وهل الصدفة هى التى خلقت الأرض وما فيها من انسان ، وحيوان ونبات وجماد ؟

وهل الصدفة هى التى علقت الأرض فى الهواء ؟

وهل الصدفة هى التى سيرت الكواكب والنجوم مع ضخامتها وكثرتها بهذه السرعة المذهلة دون تصادم ؟

وهل الصدفة هى التى أوجدت العناصر التى يتألف منها الكون ، وهى التى تنسقها تنسيقا دقيقا صالحا للاستمرار والدوام الى المدى الذى أراده الله (٤٨) .

ان العقل المنصف حين يشاهد هذا الابداع العجيب ، والتنظيم الدقيق لا يسعه الا أن يحكم باستحالة وجود هذا النظام بلا منظم حكيم لا نهاية لحكمته وعقله وتدبيره قال تعالى « انا كل شىء خلقناه بقدر » (٤٩) .

---

(٤٧) المصدر السابق ص ٦٥ .

(٤٨) الدكتور احمد ابو السعادات ـ دراسات فى العقيدة الاسلامية ص٢٩٤ .

(٤٩) سورة القمر الآية رقم ٤٩ .

ان مخلوقات الله فى الارض والسماء أكثر من أن تحصى – والصدفة فى هذا الكون العجيب معدومة .

ولنستمع الى أقوال الغربيين أنفسهم :

عذا هو « اللورد كلفن » الذى سخر من فكرة المصادفة ومن القائلين بها ، واستدل بهذا النظام الذى يشمل الكون على وجود الخالق المبدع قال « يتعذر على الانسان أن يتصور بداية الحياة أو استمرارها دون أن تكون هناك قوة خالقه مسـيطرة ، وانى لاعتقد من صميم نفسى ان بعض العلماء فى أبحاثهم الفلسفيه عن الحيوان قد أغضوا أغضاء عظيما مفرط عما فى نظ[illegible] الكون من حجة دامغة ، فان لدينا فيما حولنا براهين قوية قاطعة على وجود نظام صنع [illegible] وحكمة ، وهى براهين تدلنا بواسطة الطبيعه على ما [illegible] من أثر ارادة حرة وتعلمنا أن جميع الاشـياء الحية تعتمد على خالق واحد ، أحدى ، أبدى » (٥٠) .

كما يقول « جورج أدولف لوهلز » أستاذ الكيمياء فى كلية اندرسون « ان الانسان يشاهد التنظيم الدقيق حيث ولى وجهه فى نواحى هذا العالم ، وان القوانين التى تتحكم فى هـذا الكوكب هى نفسـها التى تخضع لهـا النجوم والكواكب الأخرى فى أفلاكها الثابتة ، فحيث اتجهنـا لم نجد الا النظام والتوافق والابداع حتى أنه لم يعد هنـاك مكان للشك فى أن الها قادرا مبدعا وراء هذا الكون » (٥١) .

---

(٥٠) الشيخ نديم الجسر – الجواب الالهى ص ١٠٩،١١٠ نقلا عن الدكتور احمد أبو السعادات – دراسـات فى العقيدة الاسلاميه ص ٣٩٧ .

(٥١) القرآن يتحدى ص ٣٩٧ .

وفى الجزء الأول من دائرة المعارف لفريد وجدى أقوال لكثير من العلماء والفلاسفة منهم الفيلسوف باسكال الذى قال « كل شىء غير الله لا يشفى لنا غليلا » .

وقال الأستاذ « فون باير الالمانى » فى كتابه « دحض مذهب دارون » واذا كانوا يعلنون الآن بصوت جهورى بأنه لا يوجد قصد فى الطبيعة ، وأن الكون لا تقوده ا لاضرورات عمياء ، فأنا أعتقد أن من واجباتى أن أعلن عقيدتى فى ذلك وهى : « انى على العكس - أرى جميع هـذه الضرورات تكشف عن أغراض سامية » (٥١) .

هذا بالاضافة الى الأقوال الكثيرة فى هذا - وعلى ذلك نستطيع أن نقول : ان الصدفة فى الكون معدومة ، والقول بها يسقط تلقائيا - ولا تناقض بين العلم الصحيح والفطرة المستقيمة التى هى من خلق الله تعالى قال تعالى « وماأوتيتم من العلم الا قليلا » (٥٣) .

من خلال وجود الانسان :

ان من أهم الدلائل على وجود الله تعـالى ووحدانيته وبطلان الشرك وأهله - النظر الى آيات الله تعـالى فى الانسـان نفسه كما جاء فى قوله تعـالى « وفى أنفسكم أفلا تبصرون » (٥٤) .

فعلى الانسـان أن ينظر الى خلقه الذى بدأه الله من طين ، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ، حتى بعث فيه

---

(٥٢) الشيخ نديم الجسر - الجواب الالهى ص ١٠٩ .

(٥٣) سورة الاسراء الآية رقم ٨٥ .

(٥٤) سورة الذاريات الآية رقم ٢١ .

الحياة ، فاذا به كائن آخر يعقل ويسمع وفى كثير من آيات القرآن الكريم ـ التنبيه من هذه النقلة من عتمـة الطين المظلم الى نور الحياة ، كما نبه القرآن الكريم أيضـا الى مراحل الخلق من نطفة فعلقة ، فمضغة الى أن خلق انسـانا سويا فقال تعالى « هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سـميعا بصيرا » (٥٥) وقوله تعالى « ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضـغة عظاما فكسونا العظـام لحما ثم انشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين » (٥٦) ٠

ولقد جاء دليل الخلق فى أول آيات أنزلت على رسول الله ﷺ فقـال تعـالى « اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق » (٥٧) ٠

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى فى آيات كثيرة من سور القرآن الكريم أطوار خلق الانسان لنستدل بها على وجود الخالق سـبحانه وتعالى منها قوله جل شأنه « هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ، ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا أجلا مسمى ولعلكم تعقلون » (٥٨) ٠

---

(٥٥) سورة الانسان الآية رقم ١ ـ ٢ ٠
(٥٦) سورة المؤمنون الآية رقم ١٢،١٣،١٤ ٠
(٥٧) سورة العلق الآية رقم ١ ـ ٢ ٠
(٥٨) سورة غافر الآية رقم ٦٧ ٠

فهذا يوضح لنا اعجاز الخلق الالهى الذى يظهر فى تطورات الجنين منذ بدايته فى المرحلة الأولى ، ثم تتعاقب الاطوار المختلفة ، والجنين فى الرحم الذى تحميه عظام الأم ، ويحاط الجنين فيه بالمشيمة ، وبمواد سائلة تحميه من الصدمات التى قد تتعرض لها الأم - بحيث يكون فى مكين ، وفى ظلمات ثلاث كما جاء فى قوله تعالى : « يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث » (٥٩) قال بعض المفسرين : يعنى ظلمة الرحم ، وظلمة المشيمة التى هى كالغشاوة والوقاية على الولد وظلمة البطن (٦٠) .

ان قضية الخلق هذه أقوى دليل على وجود الله سبحانه وتعالى ، والخلق أمر تفرد به الحق تبارك وتعالى ، وهو يقرر ذلك فى كتابه الكريم حيث يقول عز وجل « أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون » (٦٤) وقوله تعالى « أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون » (٦٢) وقوله تعالى « هذا خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين من دونه » (٦٣) وقوله تعالى « أم خلقوا من غير شىء أم هم الخالقون » (٦٤) .

فى هذه الآية استفهام انكارى - يقول الله تعالى للمشركين انهم خلقوا بعد أن لم يكونوا مخلوقين ، فهل خلقوا من غير خالق ؟ أم هل خلقوا أنفسهم ؟ ...

---

(٥٩) سورة الزمر الآية رقم ٦ .

(٦٠) الامام ابن كثير - تفسير القرآن العظيم جـ٤ ص٤٦ .

(٦١) سورة الاعراف الآية رقم ١٩١ .

(٦٢) سورة النحل الآية رقم ١٧ .

(٦٣) سورة لقمان الآية رقم ١١ .

(٦٤) سورة الطور الآية رقم ٣٥ .

والجواب على هذين السؤالين قطعا بالنفى ، أى لا هذا ، ولا هذا ، فمن المستحيل أن يخلقوا من غير خالق ، ومن المستحيل أيضا أن يكونوا قد خلقوا أنفسهم لأن ما لا يقدر أن يزيد فى حياته بعد وجوده وتعاطيه أسباب الحياة ساعة واحدة ، كيف يكون خالقا لنفسه ، واذا بطل القسمان تعين أن لهم خالقا خلقهم وهو الاله الحق (٦٥) ٠

وعن جمال الخلق والتسوية والنفخ فى الروح يقول عز وجل « فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين » (٦٦) وقوله تعالى « يأيها الانسان ما غرك بربك الكريم الذى خلقك فسواك فعدلك فى أى صورة ما شاء ركبك » (٤٨) ، وعن تزويده بالعلم والمعرفة يقول الحق تبارك وتعالى « والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والأفئدة لعلكم تشكرون » (٦٨) وقوله تعالى « الذى أحسن كل شىء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والافئدة قليلا ما تشكرون » (٦٩) ٠

لهذا وغيره فقد فضل الانسان على جميع المخلوقات فقال تعالى « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر

---

(٦٥) ابن قيم الجوزية - الصواعق المرسلة جـ١ ص ٨٤ مكتبة المتنبى ٠

(٦٦) سورة الحجر الآية رقم ٢٩ ٠

(٦٧) سورة الانفطار الآية رقم ٦،٧،٨ ٠

(٦٨) سورة النحل الآية رقم ٧٨ ٠

(٦٩) سورة السجدة الآية رقم ٧،٨،٩ ٠

ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » (٧٠) .

من خلال الحيوان :

ان الله تعالى خالق الكون والانسان ، وهو الخالق ايضا للسنن التى يخضع لها الانسان ، والكون ، ولا يملك الانسان مهما أوتى من علم وقوة وحيلة وذكاء أن يخرج على سنن الله تعالى ، ومن هذه السنن التى خلقها لنا الحق تبارك وتعالى - الحيوانات - بكل أشكالها وانواعها وذلك لكى نتفكر فى أسلوب توالدها وتكاثرها ، وطعامها واسباب عيشها وكفالة رزقها - فكل شىء فى هذا الكون خاضع لله تعالى وسلطانه قال تعالى « وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم ما فرطنا فى الكتاب من شىء » (٧١) .

يقول الزمخشرى فى تفسير الكشاف فان قلت ما الغرض من ذكر ذلك ؟

قلت الدلالة على عظم قدرة الله سبحانه ، وسعة سلطانه وتدبير تلك الخلائق المتفاوتة الأجناس ، المتكاثرة الأصناف، وهو حافظ لما لها وما عليها مهيمن على أحوالها ، لا يشغله شأن عن شأن ، وأن المكلفين ليسوا بمخصوصين بذلك دون من عداهم من سائر الحيوان (٧٢) .

---

(٧٠) سورة الاسراء الآية رقم ٧٠ .
(٧١) سورة الانعام الآية ٣٨ .
(٧٢) الزمخشري - تفسير الكشاف جـ١ ص٢١ .

فالقرآن الكريم يلفت نظر الانسان الى سلطان الله فى كل شىء ، ومنها الحيوان فمنه ما يتدرج كدودة الثلج ، ومنه ما يزحف كدودة الصدف ، ومنه ما ينساب كالحية ، ومنه ما يدب كالعقـــارب ، ومنه ما يعدو كالفار ، ومنه ما يطير كالذباب وغيره ، ومنه ما يدب ويمشى ، ومنه ما له رجلان ، ومنه ما له أربعة أرجل ، ومنه ما له ست أرجل ، ومنه ما له اكثر ، وما يطير من الحشرات ما له جناحان ، وما له أربعة أجنحة ، ومنه ما له ست أرجل وأربعة أجنحة ، ومنه ما له مشـــفر ومخاليب وقرون وخرطوم (٧٣) - والى هذا أشار القرآن الكريم بقوله تعالى « والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه ، ومنهم من يمشى على رجلين ، ومنهم من يمشى على أربع يخلق الله ما يشـــاء ان الله على كل شىء قدير » (٧٤) .

أيضا من العجائب التى خلقها لنا الحق تبارك وتعالى لنســـتمد منها الدلالة على وجوده جل شأنه ووحدانيته - الكثير من الحشرات منها النحل قال تعالى « وأوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشـــجر وممـــا يعرشون ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى ســـبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون » (٧٥) .

فعلى الانســـــان أن يتفكر فى عجائب خلق الله وبدائع صنعه - من ذلك النحل الذى اتخذ من الجبال بيوتا ، ومن الشجر - وفى الخلايا التى يصـــنعها الناس لها ثم كيف

---

(٧٣) الشيخ طنطاوى جوهر - القرآن والعلوم العصرية ص٥٠ .
(٧٤) سورة النور الآية رقم ٤٥ .
(٧٥) سورة النحل الآية ٦٨ ، ٦٩ .

جمعت من الأزهار ما لذ وطاب ، فأحالته عسلا والعسل ألذ ما يأكل الناس وأشفى ما به يستشفون .

أيضـا من الحشرات العنكبوت ـ ذات النسج الجميل والغزل الرقيق ، ولقد ذكر الله تعالى العنكبوت فقال « وان أوهن البيـوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون » (٧٦) ـ هذا وقد سمى لله عز وجل سور من القرآن الكريم باسمها ، فسمى النمل ، والنحل ، والعنكبوت ـ ليكون هذا دالا على أن الحكمة الالهيـة هى التى أبدعت المخـلوقات ونظمت الكائنات فتبارك الله أحسن الخالقين .

من خلال النبات :

لقد لفت القرآن الكريم العقول والأنظـار الى دلائل ابداعه ونظامه المتقن فى الكون ، والانسـان ، والحيوان ، وهنا أيضا يلفت القرآن الكريم الى دلائل وحدانيته تعالى فى النبات .

فاذا نظرنا الى عالم النبات وما اشتمل عليه من غرائب وعجائب وأسرار وحكم تدهش العقول وتأخذ الالباب .

فالقرآن الكريم قد لفت الانظار الى ايجاد النبات واتخذ من ذلك دليلا على وجوده تعالى ، فأنظر أيها العـاقل كيف يضرب النبات فى باطن الأرض بجـذوره ؟ وكيف يمتص الغذاء ؟ وكيف يرسل أغصانه فى الجو يتلقى النور والهواء؟

---

(٧٦) سورة العنكبوت الآية رقم ٤١ .

ثم تأمل ما فيه من ثمار وأزهار مختلفة الأشكال والألوان ، والاقدار ، والاحجام ، والروائح ، والطعوم ، والمضار ، فمنه ما أصله نافع وثمره ضار ، أو يكون النفع والضرر فى زهرة أو ورقة ، فتذكر كل هذه الانواع والاشكال تنبت فى تراب واحد قال تعالى « وفى الأرض قطع متجاورات وجنـات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون » (٧٧) وقوله تعالى « وهو الذى أنزل من السـماء ماء فأخرجنا به نبات كل شىء فأخرجنـا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرومان مشتبها وغير متشـابه ، أنظـروا الى ثمره اذا أثمر وينعـه ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون » (٧٨) .

فالقرآن الكريم يدعو الى مشـاهدة هذا الأثر من آثار الله تعالى الناطقة بوجوده ، وبوحدانيته تعالى : أنظر الى المـاء الذى حمله الرياح اللواقح الى الأرض الجرز فتأتى بأنضر النبات قال تعالى « وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنـا من السـماء ماء » (٧٩) وقوله تعـالى « هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون » (٨٠) .

أنظر أيها العاقل ، كيف يتحول الماء بقدرة الله تعالى فى باطن كل شجرة وكل نبات الأرض الى ثمرة تخالف الاخرى

---

(٧٧) سورة الرعد الآية رقم ٤ .
(٧٨) سورة الانعام الآية رقم ٩٩ .
(٧٩) سورة الحجر الآية رقم ٢٢ .
(٨٠) سورة النحل الآية رقم ١٠ ، ١١ .

طعما ، ولونا ، وحجما ، من الذى وزع هذه الطعوم وقسمها . ومن الذى غاير بين اشكالها وألوانها . « أفرءيتم ما تحرثون ءأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون » (٨١) .

هذا ويصلنا القرآن الكريم بقدرة الله العظيمة فى خلق النبات والشجر وما هيأ للانسان من منافع الرزق على هذه الارض يقول جل شأنه « وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابة كلوا من ثمره اذا أثمر وءاتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين » (٨٢) .

وتأمل أيضا فى قدرة القوى القاهر ـ فلكل نبات ذكور، واناث قال تعالى « وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج » (٨٣) أى من جميع الزروع والنبات ، والانواع فقال تعالى « ومن كل شىء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون » (٨٤) وقوله تعالى « وأنبتنا فيها من كل شىء موزون » (٨٥) .

هذا وقد سئل أحد الشعراء عن وجود الله تعالى فأنشد قائلا :

تأمل فى نبات الأرض وانظر

الى آثار ما صنع المليك

---

(٨١) سورة الواقعة الآية رقم ٦٣،٦٤ .

(٨٢) سورة الانعام الآية رقم ١٤١ .

(٨٣) سورة ق الآية رقم ٧ .

(٨٤) سورة الذاريات الآية رقم ٤٩ .

(٨٥) سورة الحجرات الآية رقم ١٩ .

عيـــون من لجين (٨٦) شـــــاخصات
وازهـــــار كماء الذهب السـبيك

على قصب الزبرجد شــــاهدات
بـــأن الله ليس لـــــه شريـــك

وبعد فهذه نماذج اقتطفناها للدلالة على وجود البـارى جل شانه - ومن تأمل كل هذا وغيره اسـتدل على وجود الصـانع وقدرته العظيمة وحكمته ، ورحمته بخلقه ولطفه بهم واحسانه اليهم وبره بهم ، لا اله غيره ولا رب سواه .

دليلى العناية والاختراع :

ان من تأمل كل الموجودات - العلوية بما فيها والأرض وما علبها - علم قدرة خالقهــا وحكمته ، وعلمه - واتقانه وعظيم ســلطانه يقول بعض المفكرين (٨٧) تحت عنوان الطبيعة تؤكد وجود الخالق . ان وجود الله حقيقة لاشك فى أمرها ، ولا مجال لانكارها . فهو ظاهر كالشمس باهر كفلق الصبح ، وكل ما فى الكون شاهد على هذا الوجود الألهى ومواد الطبيعة وعناصرها تؤكد أن لها خالقا ومدبرا .

فالعالم العلوى ، وما فيه من شـموس ، وأقمار ونجوم وكواكب ، والعالم الأرضى وما فيه من انســان ، وحيوان ، ونبات وجمـــاد ، والترابط الوثيق والتوازن الدقيق الذى

---

(٨٦) لجين - أى من فضــة .

(٨٧) الشيخ السيد سابق العقائد الاسلامية ص ٣٩ - دار الفكر بيروت لبنان - الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٣م - ١٩٨٣م .

يؤلف بين هذه العوالم ويحكم أمرها ـ ما هو الا آية وجود الله ، ومظهر تفرده بالخلق ، ولا يتصور العقل أن توجد هذه الأشياء بدون موجد كما لا يتصور أن توجد الصنعة بدون صانع .

ولهذا فقد أجاد فيلسوف قرطبة ـ ابن رشد حين قال : ان الآيات المنبهة على الادلة المفضية الى وجود الصانع سبحانه في الكتاب العزيز اذا تصفحت وجدت على ثلاثة انواع :

الأول : اما آيات تتضمن التنبيه على دلالة العناية .

الثانى : واما آيات تتضمن التنبيه على دلالة الاختراع

الثالث : واما آيات تجمع الأمرين من الدلالة جميعا .

أما الآيات التى تتضمن دلالة العناية :

أشرنا فيما سبق الى أنه كيف كان خلق الله تعالى للانسان دالا على وجوده وحدانيته فى خلقه ـ هذا وفى القرآن الكريم أيضا آيات كثيرة تدل على العناية بالانسان من هذه الآيات قوله تعالى « ألم نجعل الأرض مهادا والجبال أوتادا .. الى قوله تعالى .. وجنات ألفافا » (٨٨) وقوله تعالى « تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا » (٨٩) وقوله تعالى « فلينظر الانسان الى طعامه » (٩٠) .

---

(٨٨) سورة النبأ من الآية رقم ٦ الى رقم ١٦ .

(٨٩) سورة الفرقان الآية رقم ٦١ .

(٩٠) سورة عبس الآية رقم ٢٤ .

فالمتأمل فى هذه الآيات وغيرها يجد عناية الله بالانسان - وهذه العناية هى الدليل على وجود الصانع الحكيم - ذلك لن جميع الموجودات موافقة لوجود الانسان وهذه الموافقة من قبل فاعل قاصد لذلك مريد ، اذ ليس يمكن أن تكون هذه الموافقة بالاتفاق - فكونها موافقة لوجود الانسان فيحصل اليقين بذلك باعتبار موافقه الليل والنهار ، والشمس ، والقمر لوجود الانسان ، وكذلك موافقة الأزمنة الاربعة له . والمكان الذى هو فيه أيضا وهو الأرض ، وكذلك تظهر أيضا موافقة كثير من الحيوان له ، والنبات والجماد وجزئيات كثيرة مثل الامطار ، والانهار والبحار كذلك تظهر أيضا العناية فى أعضاء الانسان وأعضاء الحيوان أعنى كونها موافقة لحياته ووجوده ، ولذلك وجب على من أراد أن يعرف الله تعالى المعرفة التامة أن يفحص عن منافع جميع الموجودات ٠ (٩١)

الثانى : آيات الاختراع :

لن من يتأمل آيات القرآن الكريم فى هذا المقام يجدها كثيرة - من هذه الآيات قوله تعالى « فلينظر الانسان مم خلق ، خلق من ماء دافق » (٩٢) وقوله تعالى « أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت » (٩٣) وقوله تعالى « ياأيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن

---

(٩١) ابن رشد مناهج الادلة فى عقائد الملة ص ١٥٠،١٥١ ٠ تحقيق الدكتور محمود قاسم الطبعة الثانية نشر مكتبة الانجلو المصرية ٠

(٩٢) سورة الطارق الآية رقم ٥ ، ٦ ٠

(٩٣) سورة الغاشية الآية رقم ١٧ ٠

حنفوا ذبابا ولو اجتمعوا له » (٩٤) وقوله تعالى حكاية عن قول ابراهيم عليه السلام « أنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض » (٩٥) .

ان الناظر الى هذه الآيات يرى أنها تدل على وجود مخترع ، فالكون كله بما فيه وما عليه له موجد أوجده ، وهو الله تعالى ، وأن الله تعالى هو الذى أنشأ كل هذه الموجودات من العدم - فهذه الموجودات مخترعة وكل مخترع لابد له من مخترع فهذه الموجودات مخترعة - ولذلك كان واجبا على من أراد معرفة الله حق معرفة أن يعرف جواهر الاشياء ليقف على الاختراع الحقيقى فى جميع الموجودات لان من لم يعرف حقيقة الشىء لم يعرف حقيقة الاختراع (٩٦) قال تعالى « أولم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شىء » (٩٧) .

ثالثا : الآيات التى تجمع بين الدلالتين :

من هذه الآيات قول الله عز وجل « يأيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ، الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون » (٩٣) وقوله جل شأنه « الذى خلقكم والذين من قبلكم » تنبيه على دلالة الاختراع وقوله « الذى جعل لكم

---

(٩٤) سورة الحج الآية رقم ٧٣ .
(٩٥) سورة الانعام الآية رقم ٧٩ .
(٩٦) ابن رشد مناهج الادلة ص ١٥١ .
(٩٧) سورة الاعراف الآية رقم ١٨٥ .
(٩٨) سورة البقرة الآية رقم ٢١ - ٢٢ .

الأرض فراشا والسماء بناء » تنبيه على دلالة العناية ومثل قوله تعالى « وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون » (٩٩) وقوله جل شأنه « الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار » (١٠٠)

يقول ابن رشد : فهذه الطريق هى الصراط المستقيم التى دعا الله الناس منها الى معرفة وجوده ، ونبهم على ذلك بما جعل فى فطرهم من ادراك هذا المعنى - والى هذه الفطرة الأولى المغروزة فى طباع البشر الاشارة بقوله تعالى « واذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا » (١٠١) -

ولهذا قد يجب على من كان وكده طاعة الله فى الايمان به وامتثال ما جاءت به رسله ، أن يسلك هذه الطريقة ، حتى يكون من العلماء الذين يشهدون لله بالربوبية ، مع شهادته لنفسه وشهادة ملائكته له ، كما قال تبارك وتعالى « شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا اله ا لاهو العزيز الحكيم » (١٠٢) ·

ومن دلالة الموجودات من هاتين الجهتين عليه هو التسبيح المشار اليه فى قوله تعالى « وان من شىء الا يسبح

---

(٩٩) سورة يس الآية رقم ٣٣ ·

(١٠٠) سورة آل عمران الآية رقم ١٩١ ·

(١٠١) سورة الاعراف الآية رقم ١٧٢ ·

(١٠٢) سورة آل عمران الآية رقم ١٨ ·

بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم » : (١٠٣)

وعلى هذا فالكائنات من حيث هى موجودة فيها دليل الاختراع ، ومن حيث كونها خاضعة لله تعالى منقادة لما أراده منها مثل دوران الافلاك وسيلان الماء وهطول الامطار وغير ذلك مما فيه دلالة الغاية والعناية ، ولذلك قد بان من هذه الادلة أن الدلالة على وجود الصانع منحصرة فى دلالة العناية ودلالة الاختراع (١٠٤) .

وبعد هذا العرض القرآنى للكون بكل ما فيه وما عليه من انسان وغيره من مخلوقات الله تعالى نستطيع أن نأخذ ما يلى : -

١ - ان هذا العالم بكل ما فيه ، ومن فيه محدث ، ومحدثه هو الله سبحانه وتعالى .

٢ - ان هذا العالم قائم ، ومتحرك ، ومتطور حسب سنن وقوانين ثابتة كلها من صنع الله الذى اتقن كل شىء .

٣ - القرآن الكريم آيات مقروءة تدلنا على ما فى الكون من آيات محسوسة ذات دلالات علمية لا تحصى ، فواجب المسلمين اليوم أن ينهضوا نهضة علمية تتفق مع توجيه الآيات القرآنية من مدلولات علمية غفل عنها المسلمون طويلا . (١٠٥)

---

(١٠٣) سورة الاسراء الآية رقم ٤٤ .

(١٠٤) ابن رشد مناهج الادلة ص ١٥٣ .

(١٠٥) الدكتور احمد ابو السعادات دراسات فى العقيدة الاسلامية ص ٢٧٥ .

هذا وقد عرض الدكتور محمـــد عبد الله دراز فى كتابه الدين أغلب المذاهب التى قال بها المفكرون لاثبات وجود الله تعـالى وهى : المذاهب الكونية ، أو الطبيعيـــة ، والمذاهب الروحيـــة ، أو الحيوية ، والمذاهب النفســية والمذاهب الأخلاقية ، والمذهب الاجتماعى والمذهب التعليمى ثم حللها ونقدها (١٠٦) .

وعقب على ذلك قائلا « ان الذى يســتعرض أســاليب الهداية القرآنيــة الى عقيــدة الالوهيــة يجدها قد أحاطت بأطراف هذه المسالك ، وأشبعت تلك النزعات جميعا بل ربما زادت فى كل منهج عناصر جديدة لم يفطن اليها البــاحثون المذكورون » (١٠٧) .

ومن ثم يصبح طريق القرآن الكريم - هو أسلم الطرق وابقاها لانه طريق اللطيف الخبير العليم بخـائنة الأعين وما تخفى الصدور - وهو منهج الرؤف الرحيم - جاء ليحمل عن الانسانية أصر المناهج البشرية وأوزارها الثقال .

---

(١٠٦) الدكتــور محمد عبــد الله دراز - الدين من ص ١٢٥ الى ١٧٥ .

(١٠٧) المصدر السابق ص ١٧٦ .

دليل المتكلمين :

استدل علماء الكلام على وجود الله تعالى بأدلة متعددة أشهرها وأكثرها انتشارا عندهم دليل الحدوث ، يقول الامام الأشعرى « من قصد الى برية لم يجد فيها قصرا مبنيا فانتظر أن يتحول الطين الى حالة الآجر ، وينتضد بعضه على بعض بغير صانع ولا بان ، كان جاهلا ، واذا كان تحول النطفة علقة ثم مضغة ، ثم لحما ، ودما ، وعظما ، أعظم فى الاعجوبة ، كان أولى أن يدل على صانع صنع النطفة ونقلها من حال الى حال » (١٠٨) .

وهذا الدليل الذى ذكره الامام الأشعرى لكى يستدل به على حدوث العالم يقول عنه الدكتور حمودة غرابة أنه يمكن وضعه فى كلمات وهو أن جميع الأجسام مكونة من جواهر وأعراض ، بل يوجد تلازم بينهما فلا يوجد الجوهر بدون العرض ، ولا العرض بدون الجوهر ، ولكن الأعراض بالمشاهدة متغيرة فهى اذن حادثة ، واذن فالجواهر أيضا حادثة لان ما لازم الحادث ولم يسبقه زمنا فى الوجود كان بالضرورة حادثا أيضا » (١٠٩) .

وهكذا ظل دليل الحدوث أقوى الادلة وأشهرها عند المتكلمين وصورته : ان العالم حادث : لانه يتكون من

---

(١٠٨) الامام الاشعرى – اللمع فى الرد على أهل الزيغ والبدع ص ١٨ ، ١٩ تحقيق الدكتور حموده غرابه مطبوعات مجمع البحوث الاسلامية ١٩٧٥م .

(١٠٩) الدكتور حموده غرابه – الاشعرى ص ١٤٢ – نشر الخانجى عام ١٩٥٣م .

الجواهر والاعراض وهما حادثان . وعلى هذا نأخذ أن العالم المكون منهما حادث وكل حادث « وهو العالم » يحتــاج الى محدث « وهو الله سبحانه وتعالى » منعا للدور والتسلسل لانهما باطلان .

فالعالم يقصد به كل ما سوى الله تعالى .

والحــادث هو الموجود بعد العدم : أى وجد بعد أن لم يكن موجودا .

والجوهر : هو ما قام بنفسه ، ومعنى قيامه بنفسه : أنه يتحيز فى مكانه بنفسه ، أى يأخذ حيزا يحل فيه دون أن يكون تابعا لغيره فى تحيزه كالاجسام مثلا فانها تشغل حيزها فى مكانها بنفسها .

أما العرض فهو ما لا يتحيز أى لا يشغل مكانا وحيزا بنفسه وانما يقوم دائما بغيره ، أى يكون تابعــا لتحيز الجرم الذى يقوم به وانما سمي العرض كذلك لانه يعرض ولا يدوم ومنه قوله تعالى « تريدون عرض الدنيا » (١١٠) وقوله تعالى حكاية عن قوم عاد « فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما اســتعجلتم به ريح فيها عذا بأليم » (١١١) .

من هذا نلاحظ أن الاعراض حادثة لان حدوثهــا ثابت بالمشــاهدة وذلك كالحركة بعد السكون ، وكالمرض بعــد الصــحة ، والعلم بعد الجهل لان الاعراض تأتى وتذهب

---

(١١٠) سورة الانفال الآية رقم ٦٧ .

(١١١) سورة الاحقاف الآية رقم ٢٤ .

وتتغير - وهذا التغيير علامة الحدوث اذ لا معنى للحدوث عند المتكلمين سوى الوجود بعد العدم .

أما الجواهر فهى لا تخلو أبدا عن الحوادث أى عن الاعراض وكل ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث اذن كل جوهر حادث .

فمثلا ليس هناك جسم لا لون له - وهو اما أن يكون ساكنا أو متحركا وكلاهما عرضان - واذا كانت الجواهر لا تخلو من الاعراض فهى حادثة مثلها ، لان ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث أيضا .

وهكذا كان دليل الحدوث عند المتكلمين أشهر الادلة وأقواها .

دليل الفلاسفة :

اشرنا فيما سبق الى أن أشهر الادلة الكلاميه واهوامها هو دليل الحدوث كذلك فان دليل الامكان هو أهم ما يستدل به الفلاسفة الاسلاميون على وجود الله تعالى ٠

ذلك ان الفلاسفة قسموا الموجودات الى قسمين واجب الوجود وممكن الوجود وأوضحوا ضرورة استناد الممكن الى واجب الوجود - وذلك لاستحالة الدور والتسلسل - بل لابد من استناد الممكنات جميعها الى الله تعالى واجب الوجود ٠

فمثلا نجد أن ابن سينا يبدأ بتقسيم الموجود الى واجب وممكن ثم يبين خصائص الممكن وحاجته الى المرجح الى أن يصل الى اثبات الواجب فنراه يبدأ بهذا التنبيه فيقول كل موجود اذا التفت اليه من حيث ذاته من غير التفات الى غيره فاما أن يكون بحيث يجب له الوجود فى نفسه أو لا يكون ، فان وجب فهو الحق بذاته الواجب وجوده من ذاته وهو القيوم ، والا لم يجب لم يجز أن يقال أنه ممتنع بذاته بعد ما فرض موجودا بل ان قرن باعتبار ذاته شرط مثل شرط عدم علته صار ممتنعا أو مثل شرط وجود علته صار واجبا ، وان لم يقرن بها شرط لا حصول علة ولا عدمها - بقى له فى ذاته الأمر الثالث وهو الامكان ، فيكون باعتبار ذاته الشىء الذى لا يجب ولا يمتنع ، فكل موجود اما واجب الوجود بذاته أو ممكن الوجود بحيث ذاته » (١١٢) ٠

---

(١١٢) ابن سينا - الاشارات بشرحى الطوسى والرازى ج١ ص ١٩٤ المطبعة الخيرية ١٣٢٥هـ ٠

فهذا الدليل من ابن سينا يعتمد على فكرة تقسيم الوجود الى واجب وممكن ثم يبين خصائص الممكن من حيث احتياجه الى المرجح فيقول : اشارة ما حقه فى نفسه الامكان فليس يصير موجودا من ذاته فانه ليس وجوده من ذاته أولى من عدمه من حيث هو ممكن ، فان صار أحدهما أولى فلحضور الشىء أو غيبته ـ فوجود كل ممكن الوجود هو من غيره » (١١٣) .

فالعقل يحكم بداهة بأن معنى الوجود ينحصر فى ثلاثة أحوال :

الوجوب ، والامكان ، والاستحالة ـ وهذا ما يجرنا الى أن نشير الى معنى كل :

الوجوب : يمكن تعريف الواجب العقلى بأحد تعريفين: الأول : أنه ما لا يتصور فى العقل عدمه ، والثانى أنه ما لا يقبل الانتفاء .

وفى التعريف الأول ثغرة يسدها التعريف الثانى . فالتعريف الأول قد ربط بين الواجب وبين تصور العقل له، مع أن الواجب واجب فى نفسه ، سواء وجد عقل أو لم يوجد، وسواء أدركه عقل أم لم يدركه ولذلك هدف التعريف الثانى الى جعل الواجب ثابتا فى نفسه متحققا فى حد ذاته ، أى فى الواقع ونفس الأمر ومن ثم فهو غير مرتبط بوجود العقل المدرك أو بادراكه له (١١٤) .

---

(١١٣) المصدر السابق ص ١٩٥ .

(١١٤) امام الحرمين الجوينى ـ العقيدة النظامية ص ٣١ تحقيق الدكتور محمد عبد الفضيل القوصى .

المستحيل : أيضا يمكن تعريف المستحيل بأحد تعريفين يسد الثاني منهما ثغرة في الأول : فهو ما لا يتصور في العقل وجوده ، أو هو ما لا يقبل الثبوت

أما الجائز : فهو ما يصح في العقل وجوده تارة وعدمه تارة أخرى .

أما الامكان فهو قسمان : امكان عام بمعنى عدم الاستحالة الصادق بالوجوب أو بالجواز ، أو بتعبير الجرجاني : سلب الضرورة عن أحد الطرفين .

وامكان خاص : ومعناه : عدم ضروره الوجوب والامتناع معا ، أو بتعبير الجرجاني أيضا : سلب الضرورة عن الطرفين ولعل من الواضح : ان الجواز هنا مساو للامكان الخاص الذي سلبت فيه الضرورة عن الطرفين معا (١١٥) .

وعلى هذا يمكننا أن نوضح دليل الامكان . فقد رأى الفلاسفة أن هناك موجودا في الكون - وهذا الموجود اما أن يكون واجبا أو ممكنا ، فاذا كان واجبا ثبت وجوبه واجب الوجود واذا كان ممكنا ، والممكن حسب التعريف ، ما استوى فيه : الوجود والعدم ، فاذا وجد فعلا لابد أن يكون هناك سبب لوجوده فالموجود الممكن الذي أمامنا لابد أن يكون له سبب ، جعله يخرج من حيز الامكان الذهني الى الوجود (١١٦) الخارجي .

---

(١١٥) المصدر السابق ص ٣٢ .

(١١٦) الدكتور عبد الحليم احمدي - العقيدة الاسلامية ص ١٠٥ .

وهذا السبب ، اما أن يكون ممكنا آخر فيحتاج بدوره الى السبب وهكذا تتسلسل الأسـباب أو تـدور والدور والتسلسـل باطلان واما أن تنتهى السلسـلة الى واجب ضرورى الوجود لا يحتـاج فى وجوده الى سبب أو علة ـ فهو الواجب الوجود وهو الله الصانع .

وبعد هذه اشارة الى نماذج من أدلة المتكلمين والفلاسفة اتضح لنا من خلالها أنها تقنع الانسان وتريح فؤاده كلما اقتربت الى منهج القـرآن الكريم ؛ والقـرآن الكريم قد استوعب هذه الأدلة جميعا اذ أمر بالتفكر والنظر فى ملكوت السموات والأرض حتى نعرف مافيهما من دقة الصنع والاتقان هذا ويجب أن نعلم أن الأدلة القرآنية بوضوحها واشارتها الى ما فى هذا الكون من النظام البديع والصنع العجيب كما أشرنا الى ذلك فى الاستدلال على وجود الله تعـالى ـ تخاطب العقل والوجدان معـا كما أنهـا تخاطب الكيان الانسـانى وتدفعه الى الايمان ثم الى العمل ـ فيسـتقر الدليل فى الضـمير كعقيدة راسـخة لا تزلزله العواصف الهوجاء .

وفى النظر الى دليل الحدوث والامكان نلاحظ أن الأثر فيه يدل على المؤثر والسبب يـدل على المسبب ـ وهذا فى النهاية يعود الى النقطـة التى آثارها القرآن الكريم ، من النظر فى ملكوت السـموات والأرض وما فيهما من الصنع العجيب والاتقان البديع حتى نصل الى الصانع نفسه وهو الله تبارك وتعالى .

صفات الله تعالى

ان الناظر فى آيات القرآن الكريم التى تبين صفات الله تعالى يجد أنه قد قدس الألوهية ونزهها عن كل ما لا يليق بهذا الكمال ـ وأساس الأمر فى هذا التنزيه قوله تبارك وتعالى « ليس كمثله شيء » (١١٧) ٠

فالله هو : الأحد الصمد ، الذى لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد وله جل شأنه « المثل الأعلى » (١١٨) لا ند له ، ولا شريك ، ولا شبيه ، ولا صاحبة ، ولا ولد ، فالله فى الاسلام واحد فى ذاته ، وصفاته ، وأفعاله تنزه عن الشبيه، والمماثلة ، وكل صفات الصنف البشرى التى ألحقتها به بعض الديانات ٠

فالله فى العقيدة الاسلامية : « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير » « وهو الذى فى السماء اله وفى الأرض اله » (١١٩) وهو الواحد الصمد ، الذى لا يحيط به الزمان؛ والمكان ، وهو محيط بالزمان ، والمكان و « هو الأول والآخر والظاهر والباطن » (١٢٠) « وسع كرسيه السموات والأرض » (١٢١) ٠

---

(١١٧) سورة الشورى الآية رقم ١١

(١١٨) سورة الروم الآية رقم ٢٧ ٠

(١١٩) سورة الزخرف الآية رقم ٨٤

(١٢٠) سورة الحديد الآية رقم ٣ ٠

(١٢١) سورة البقرة الآية رقم ٢٥٥ ٠

فالله هو الحى الذى لا يموت ، وهو الذى يحيى ويميت « كل شىء هالك الا وجهه » (١٢٢) ولا بقاء على الدوام الا لمن له الدوام ومنه الابتداء واليه الانتهاء ٠

فمن صفات الله تعالى فى الاسلام ما يعتبر ردا على زعم اليهود الذين قالوا « يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان » (١٢٣) ٠

كما نفى القرآن الكريم كذلك عن المسـيح وأمه صفة الألوهية التى وصفه بها النصارى « واذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للنـاس اتخذونى وأمى الهين من دون الله » (١٢٤) ٠

فالله فى الاسلام « عالم الغيب والشهادة » « ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة » « ولا تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمـات الأرض ولا رطب ولا يـابس الا فى كتـاب مبين » (١٢٥) ٠

فكل صفة وصف الله سبحانه وتعالى به ذاته لايشبهها شىء من صفات المخلوقين ، بل هى صفة تليق بذاته وتنزه عن صفات خلقه ، وصفات الكمال التى وصف بها الحق تبارك وتعالى نفسه نجدها فى آيات كثيرة من سور القرآن الكريم من ذلك مثلا ما جاء فى قوله تعالى « الله لا اله الا هو

(١٢٢) سورة القصص الآية رقم ٨٨ ٠
(١٢٣) سورة المائدة الآية رقم ٦٤ ٠
(١٢٤) سورة المائدة الآية رقم ١١٦ ٠
(١٢٥) سورة الانعام الآية رقم ٥٩ ٠

الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السموات وما فى الأرض من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشىء من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلى العظيم » (١٢٦) ٠

لقد ورد فى فضل تلاوة آية الكرسى الكثير من الآثار وما ذاك الا لانها تجمع الكمالات التى يتصف بها الخلاق العظيم ، وتنفى عنه سبحانه كل ما لا يليق بكماله وجلاله فقوله تعالى « الله لا اله الا هو » اخبار بأنه المنفرد بالالهية لجميع الخلائق « الحى » هو المتصف بالحياة الأزلية الأبدية لا يشاركه فى الاتصاف بها أحد ، أى الحى فى نفسه الذى لا يموت أبدا ٠

« القيوم » فهو قائم بذاته لا يحتاج الى غيره ، وقائم بشئون غيره ، لا شريك له فى ذلك - فجميع الموجودات مفتقرة اليه وهو غنى عنها ، ولا قوام لها بدون أمره كقوله تعالى « ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره » (١٢٧)

« لا تأخذه سنة ولا نوم » أى لا يعتريه نقص ولا غفلة ولا ذهول عن خلقه ، بل هو قائم على كل نفس بما كسبت ، شهيد على كل شىء ، ولا يغيب عنه شىء ، ولا يخفى عليه خافية ، ولا تعجزه نفس عاصية ٠

ومن تمام القيومية المستلزمة لأزليته وبقائه - ذكر انتفاء جميع الآفات عنه من السنة والنوم فقوله « لا تأخذه ،

---

(١٢٦) سورة البقرة الآية رقم ٢٥٥ ٠

(١٢٧) سورة الروم الآية رقم ٢٥ ٠

أى لا تغلبه سنة وهى الوسن والنعاس ولهذا قال « ولا نوم » لأنه أقوى من السنة (١٢٨) .

« له ما فى السموات والأرض » اخبار بأن الجميع عبيده وفى ملكه وتحت قهره وسلطانه « يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم » فى هذا النص اثبات صفة العلم له تعالى — وعلمه تعالى لا يشبهه علم فلا أول لعلمه ، ولا نهاية له ، لا يسبقه جهل ولا يلحقه نسيان ، ويحيط بالجزئيات والكليات احاطة انكشاف بخلاف علم المخلوقات ، فانه يسبقه الجهل ويلحقه النسيان .

« ولا يحيطون بشىء من علمه الا بما شاء » فى هذا اثبات صفة المشيئة لله تعالى ، أى لا يطلع أحد من علم الله على شىء الا بما أعلمه الله عز وجل ويطلعه عليه ، ويحتمل أن يكون المراد — لا يطلعون على شىء من علم ذاته وصفاته الا بما أطلعه الله عليه كقوله تعالى « ولا يحيطون به علما » .

« ولا يئوده حفظهما » أى لا يثقله ولا يكترثه حفظ السموات والأرض ومن فيهما ومن بينهما — بل ذلك سهل عليه يسير لديه ، وهو القائم على كل نفس بما كسبت الرقيب على جميع الأشياء فلا يعزب عنه شىء ولا يغيب عنه شىء — والأشياء كلها بين يديه متواضعة ذليلة صغيرة بالنسبة اليه محتاجة فقيرة ، وهو الغنى ، الحميد ، الفعال لما يريد ، الذى لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، وهو القاهر لكل شىء الحسيب على كل شىء .

« وهو العلى العظيم » العلى بذاته فوق خلقه ، وبقدرته ، وقهره ، والعظيم بذاته وبجميع صفات كمالاته .

---

(١٢٨) الامام ابن كثير — تفسير القرآن العظيم جـ١ ص٣٠٨ .

فلا يلحقه نقص ، ولا يفارقه كمال ، لأن الكمال - صفاته الذاتية التى لا تفارقه ، وأنه المحيط بكل شىء .

وهكذا فقد تضمنت هذه الآية الكريمة اثبات صفات الكمال لله تعالى ونفى صفات النقص عنه فهى بحق آية التوحيد الخالص ، ولهذا كانت أفضل آية فى القرآن الكريم (١٢٩) .

ذلك ان اختصاصه جل شأنه بصفات الكمال وتنزهه عن صفات النقص دال على تفرده بالالهية - واختصاصه بالاسماء دل على تفرده بالالهية كما جاء فى قوله تعالى « هو الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة ، هو الرحمن الرحيم ، هو الله الذى لا اله الا هو الملك ، القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر ، سبحان الله عما يشركون ، هو الله ، الخالق ، البارىء المصور ، له الاسماء الحسنى ، يسبح له ما فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم » (١٣٠) .

فى هذه الآية الكريمة ذكر لعدد من الأسماء التى تشتمل على صفات الكمال فى سياق متتابع جميل : الله ، الرحمن ، الرحيم ، الملك ، القدوس ، السلام المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر ، الخالق ، البارىء ، المصور العزيز ، الحكيم .

---

(١٢٩) ابن تيمية - المنحة الالهية فى شرح العقيدة الوسطية ص ٢١ تحقيق الدكتور على مصطفى الغرابى - مكتبة صبيح سنة ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م .

(١٣٠) سورة الحشر الآية رقم ٢٢، ٢٣، ٢٤ .

هذا وقد عنى شراح العقيدة والمفسرون بشرح معـانى هذه الأسماء كما فعل الامام الرازى فى كتابه (١٣١) « شرح أسماء الله الحسنى » ، والامام القرطبى صاحب التفسير - فألف كتابا سماه « المقصد الأسنى فى شرح أسـماء الله الحسنى » .

وقد قال أهل السنة ان أسـماء الله تعـالى على ثلاثة أقسام :

قسم منها يدل على ذاته كالواحد ، والغنى ، والأول والآخر ، والجليل ، والجميل وسـائر ما يسـتحقه من الأوصاف لنفسه .

وقسم منها يفيد صفاته الأزلية القائمة بذاته ، كالحى، والقادر ، والعالم والمريد ، والسميع ، والبصير ، وسـائر الأوصاف المشتقة من صفاته القائمة بذاته .

وهذا القسم من أسـمائه مع القسم الذى قبله لم يزل الله تعالى بهما موصوفا وكلاهما من أوصافه الأزلية .

وقسم منها مشتق من أفعاله ، كالخـالق ، والرازق ، والعـادل ، ونحو ذلك وكل اسم اشـتق من فعله لم يكن موصوفا به قبل وجود أفعاله .

وقد يكون من أسمائه من يحتمل معنين أحدهما : صفة أزلية ، والآخر فعل له كالحكيم ، ان أخذناه من الحكمة التى

---

(١٣١) الامـام الرازى - شرح أسماء الله الحسنى من ص١٥٣ الى ٢٠٠ .

هى العلم كان من أسمائه الأزلية ، وان أخذناه من أحكام أفعاله واتقانها كان مشتقا من فعله ولم يكن من أوصافه الأزلية (١٣٢) ـ

وفى اشارة خفيفة نشير الى أنواع الصفات فى الصفحات التالية باذن الله تعالى ٠

---

(١٣٢) الامام عبد القادر بن طاهر البغدادى الفرق بين الفرق ص ٣٣٨ ٠

انواع الصفات

بعد أن شرنا الى أدلة اثبات الصانع جل شأنه ، وأنه تعالى ذات لها صفات الجلال والجمال والكمال ومنزه عن كل نقص .

فللحق جل شأنه صفات أتصف بها سبحانه وتعالى وتعالى فما هي هذه الصفات ؟

قسم علماء الكلام هذه الصفات الى أربعة أقسام :

١ - نفسية وهي الوجود .

٢ - سلبية - وهي التي تسلب عن الحق تعالى كل نقص لا يليق بذاته المقدسة ، من هذه الصفات القدم ، والبقاء ، والمخالفة للحوادث ، والقيام بالنفس ، والوحدانية .

٣ - ثبوتية - وهي التي تثبت له سبحانه وتعالى معان تليق بذاته المقدسة وهي صفات ، القدرة ، والارادة ، والعلم ، والحياة ، والسمع والبصر ، والكلام .

افعال أو معنوية - وهي كونه تعالى قادرا ، مريد ، عالما .. الخ هذه الصفات .

وفيما يلى نتحدث عن كل صفة من هذه الصفات .

الوجـــود

الوجود ـ هو الصـــفة النفســـية التى يتصف بها الموجود ، ومعناه التحقق والثبوت والوجود ما يقابل العدم فمعنى كونه تعـــالى واجب الوجود : أنه موجود فلا يقبل العـدم لا أزلا ولا أبدا ، ووجوده من ذاته ، ووجوده قديم ، ووجوده باق ، وأنه مخالف لجميع الحوادث .

أو هى الحال الواجبة للذات مادامت الذات حال كون تلك الحال غير معللة بعلة ، فوجوبها من ذات الحق تعالى لا من أمر خارج عنه ، والا احتـــاج الى من يمنحه الوجود فيكون مفتقرا الى موجد والموجد محتـــاج الى موجد وهكذا حتى يلزم الدور والتسلسل وهما باطلان ، واذا بطـل كل منهما لزم أن يكون وجوده تعالى من ذاته ، كما لزم أن يلازم الوجود الذات فى أزليتها وأبديتها .

فالوجود صفة نفســية وانما نسبت للنفس أى الذات لانها لا تتعقل نفس الا بوجودها ـ والمراد بالصفة النفسية صفة ثبوتية يدل الوصف بها على نفس الذات دون معنى زائد عليها .

ولـــا كان الوجود ليس زائد على الذات ، وهو ثابت للذات فقد يرد هنا السؤال : هو هو عين الذات أو غيرها ؟ أو بمعنى آخـــر هل الوجود عين الموجـــود أو الوجود غير الموجود ؟

يقول صاحب جوهرة التوحيد وقد اختلف فى الوجود هل هو عين الموجود أو غيره فقال الامام الأشـــعرى الوجود عين الموجود ، واختلف فى فهم المراد من عبارة الأشـــعرى فبعضهم أبقـــاها على ظاهرها وعليه يكون فى عد الوجود

صفة تسامح لانه يقع صفة فى مجرد اللفظ كأن يقال الله موجود ، والمحققون كالسعد واضرابه أولوا عبارة الأشعرى فقالوا ليس المراد العينية الحقيقية بل المراد أنه ليس زائدا على الذات فى الخارج بحيث تصح رؤيته فلا ينافى أنه أمر اعتبارى وهو الذى لا محيص عنه ، وعليه فلا يكون فى الوجود صفة تسامح لان الصفة يكفى فيها مغايرة الموصوف وان لم تكن زائدة فى الخارج كيف وقد عدوا السلوب صفات كالقدم ، والبقاء .

وقال الرازى وجماعة : الوجود غير الموجود ضرورة مغايرة الصفة للموصوف وعليه فقد عرفوا الوجود بأنه الحال الواجبة للذات ما دامت الذات حال كون تلك الحال غير معللة بعلة .

والمراد بكونها حالا : انها واسطة بين الموجود والمعدوم هذا على القول بثبوت الواسطة التى هى الحال ـ ومعنى كونها واجبة للذات مادامت الذات أنها ثابتة للذات مدة دوام الذات .

وهكذا نشط الخلاف بين المتكلمين ازاء هذه المسألة وكان من الواجب ازاء هذه البحوث التى تقترب من الاكتناه البعد عنها ولذلك فقد استشعر بعض المتكلمين البعد عنها ، وأنه لا يجب على المكلف اعتقاد شىء من ذلك بل يكفى أن يعتقد أن الله موجود ـ ولا يجب عليه معرفة أن وجوده تعالى عين ذاته أو غير ذاته لان ذلك من غوامض علم الكلام (١٣٣)

---

(١٣٣) الامام ابراهيم البيجورى ـ على الجوهرة ص٦٥،٦٦

ذلك ان العقل البشرى مهما بلغ من الذكاء وقوة الادراك قاصر غاية القصور وعاجز غاية العجز عن معرفة حقـائق الأشياء ٠

فهو عاجز عن معرفة النفس الانسانية ، ومعرفة النفس لا تزال من أعقد مسائل العلم والفلسفة ، وهو عاجز عن معرفة حقيقة الضوء والضوء من أظهر الأشياء وأوضحها ، وعاجز عن معرفة حقيقة المادة ، وحقيقة الذرات التى تتألف منها ، والمادة الصق شيء بالانسان ٠

ولا يزال العلم يقف عاجزا أمام كثير من حقائق الكون والطبيعة لا يستطيع أن يقول فيها الكلمة الأخيرة ٠

فاذا كان موقف العقل هكذا حيال النفس ، والضـوء والمادة ، وما فى الكون ، المنظور ، وغير المنظور من أشـياء فكيف يتطلع الى معرفة ذات البارى جل شأنه ويحـاول ادراك كنهه ان ذات الله تعالى أكبر من أن تدركها العقول ، أو تحيط بها الأفكار وما أصدق قول الله سـبحانه وتعالى « لا تدركه الأبصـار وهو يدرك الأبصـار وهو اللطيف الخبير »(١٣٤) ٠

وقصور العقل وعجزه عن ادراك حقيقة الاشياء لا ينفى وجودها فعجزه عن ادراك حقيقة النفس لا ينفى أنها موجودة، وعجزه عن ادراك حقيقة الضـوء لا ينفى وجود ضـوء يعم الآفاق ، وعجزه عن ادراك كنه الذرة لا ينفى أن ثمـة ذرات

---

(١٣٤) سورة الانعام الآية رقم ١٠٣ ٠

تتكون منها المادة ، وهكذا سائر الأشياء التى يقصر العقل عن ادراك حقيقتها ويعجز عن معرفة كنهها (١٣٥) .

ومثل ذلك الذات الالهية اذا عجز الانســـان عن ادراك حقيقتها فليس معنى ذلك أنها غير موجودة بل هى موجودة كأقوى ما يكون الوجود .

(١٣٥) الشيخ سيد سابق - العقائد الاسلامية ص ٣٧، ٣٨ .

الصفات السـلبية

بعد أن أشرنا الى أدلة وجوب الله سـبحانه وتعالى ، وتحدثنا عن صفة الوجود لله سبحانه وتعالى نشـير هنا أيضـا عما يجب أن يتنزه عنه جل شأنه من نقص وهى الصـفات السلبية وهى ما سلبت عن الله تعالى كل معنى لا يليق بذاته المقدسة ٠

وعلى هذا فالمقصود من هذه الصفات : تنزيه الله تعالى عن أمور تتنافى مع وجوب وجوده بمعنى أنهـا تنفى عنه صفات النقص فالصفات السلبية بهذا المعنى غير منحصرة فى صفات معينة ٠ وذلك كنفى الشريك والصاحب والمعين ٠٠ الخ ٠

ولكن الواجب علينا معرفة بعض هذه الصفات ـ وهذه الصفات هى : القدم ، والبقاء ، والقيام بالنفس ، ومخالفته للحوادث ، والوحدانية ٠

فهذه الصفات تعتبر أسـاسا لغيرها وما عداها يمكن ارجاعها اليها ـ وسميت هذه الصفات بالصفات السلبية ـ مع أنها ثابتة له سبحانه وتعالى لا مسـلوبة عنه ، لأنها مفسرة بالسلب ، اذ القدم سلب أولية الوجود ، والبقـاء سلب آخرية الوجود له سبحانه ـ والمخالفة للحوادث سلب المماثلة لها ، والقيام بالنفس ، سلب الافتقـار والوحدانية سلب التعدد ٠

فهذه الصـفات على ما تبدو وان كانت ثبوتية الا أن معانيها تسلب أمورا عن الله تعالى لا تليق بذاته المقدسـة لهذا عبر عنها المتكلمون بالصفات السلبية ٠

القــدم

معناه : أن الله سبحانه وتعالى قديم لأول لوجوده .
ليس مسبوقا بعدم ، فقدم الله تعالى واجب لذاته ، والقدم
الذى يوصف به الله سبحانه وتعالى ، صفة سلبية تدل على
عدم أولية الوجود أو على أنه لم يسبق بعدم ، وهذا الوصف
من لوازم الوجود الذاتى فمعنى الوجود الذاتى : أن غيره لم
يؤثر فيه فلم يسبق بعدم .

فالموجودات لابد أن تنتهى الى واجب الوجود لذاته
قطعا للتسلسل ، فأنت تشاهد حدوث الحيوان والنبات ،
والمعادن ، وحوادث الجو كالسحاب والمطر وغير ذلك ، وهذه
الحوادث وغيرها ليست ممتنعة ، فان الممتنع لا يوجد
ولا واجبة الوجود بنفسها ، فان واجب الوجود بنفسه
لا يقبل العدم ، وهذه كانت معدومة ثم وجدت ، فعدمها ينفى
وجودها ووجودها ينفى امتناعها ، وما كان قابلا للوجود
والعدم لم يكن وجوده بنفسه .

فالممكن الذى ليس له من نفسه وجود ولا عدم لا يكون
موجودا بنفسه بل أن حصل ما يوجده ، والا كان معدوما ،
وكل ما أمكن وجوده بدلا عن عدمه وعدمه بدلا عن وجوده
فليس له من نفسه وجود ولا عدم لازم » (١٣٦) .

---

(١٣٦) لامام على ابن ابى العز الحنفى - شرح الطحاوية
ص ٥٧ تحقيق أحمد محمد شاكر - مطبوعات جامعة الامام محمد
بن سعود الاسلامية الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ .

والقدم أقسام ثلاثة :

١ - قدم ذاتى : وهو عدم المسبوقية بالعدم ، أو عدم الأولية للوجود وهو الذى يوصف به الله تعالى ٠

٢ - قدم زمانى - وهو طول المدة الدالة على التقادم ومرور الزمن ٠

٣ - قدم اضافى - كتقدم الأب بالنسبة للأبن ٠

والقسم الأول من هذه الثلاثة هو الذى يوصف به الله تعالى أما القسم الثانى ، والثالث فيستحيلان فى حقه تعالى لانهما من صفات الحوادث كما أن القسم الاول مستحيل بالنسبة للمخلوقات والحوادث يقول الشهرستانى ان وجود البارى تعالى لا يقال متقدم بالزمان كما لا يقال أيضا فوق بالمكان ، ولا يقال مقارن بالزمان كما لا يقال مجاور للعالم بالمكن ، فالتقدم ، والتأخر والمعية الزمانية تمتنع فى حق البارى سبحانه (١٣٧) ٠

وضد القدم الحدوث وهو مستحيل على الله تعالى - ذلك أنه تعالى لو لم يكن قديما لكان حادثا ، ولو كان حادثا لاحتاج الى محدث - والاحتياج يتنافى وجوب الوجود الذاتى الثابت لله تعالى فتبطل كونه حادثا وثبت أنه تعالى قديم ٠

قال تعالى « نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين » (١٣٨) ٠

---

(١٣٧) الشهرستانى - نهاية الاقدام ص٣١ ٠

(١٣٨) سورة الواقعة الآية رقم ٦٠ ٠

وقال تعالى « هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم » (١٣٩) ٠

فمعنى الاول – هو الذى لابتداء لوجوده ، وهو سابق فى وجوده كل حادث فيكون وجوده من ذاته فوجوده سبحانه وتعالى أزلى لا يسبقه عدم ولا علة لوجوده « الآخر » الباقى بعد فناء الموجودات ٠

الفرق بين القديم والأزلى :

لقد فرق العلماء بينهما على النحو التالى

١ – ذهب البعض الى أن القديم هو الموجود الذى لا ابتداء لوجوده ٠

وأما الأزلى فهو ما لا أول له عدميا أو وجوديا ، فكل قديم أزلى ولا عكس ، وعليه فذات الله تعالى وصفاته الثبوتية توصف بالقدم والأزلية أما الصفات السلبية فلا توصف الا بالأزلية فقط ٠

٢ – ان القديم هو القائم بنفسه الذى لا أول لوجوده، والأزلى ما لا أول له عدميا أو وجوديا قائما بنفسه أو بغيره – وهذا هو الذى يفهم من كلام السعد (١٤٠) وعليه فالصفات مطلقا لا توصف بالقدم وتوصف بالأزلية بخلاف الذات العليا فانها توصف بكل منهما ٠

---

(١٣٩) سورة الحديد الآية رقم ٣ ٠

(١٤٠) الامام ابراهيم البيجوى – شرح البيجوى على الجوهرة ص ٦٩ ٠

٣ ـ ان كلا من القديم والأزلى مترادفان : معنـــاهما واحد وهو : ما لا أول له وجوديا كان أو عدميا ، ســواء كان قائما بنفسه أو بغيره ، وعليه فكل قديم أزلى ، وليس كل أزلى قديما ، وعليه فالصفات مطلقا والذات العلية توصف بهما ٠

وبعض أن قام الدليل النقلى والعقلى على قدمه تعالى وأزليته الا أنه ربما قد تعرض للانســـان بعض الهواجس تسأله عن هذا الأزل الممتد فى جانب الماضى الى ما لا نهاية ـ ولا ضير فقد كان ذلك يحدث لاصحاب رســـول الله ﷺ ، وهم الذين امتلأ قلبهم ايمانا به ســبحانه وتعالى فقد قال النبى ﷺ فى الحديث الذى رواه مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال هذا : خلق الله الخلق ، فمن خلق الله : فمن وجد من ذلك شيئا فليقل آمنت بالله » (١٤١) ولعل هذا ناتج من قياس الوجود المطلق على المحدود ـ وهذا خطأ ٠

فوجودنا ، ووجود العالم من حولنا مســتمد من وجود غيرنا ـ وهو الله سبحانه وتعالى ، فوجودنا ووجود العالم من حولنـــا له بداية ونهاية ، أما وجوده جل شأنه من ذاته سبحانه وتعالى ـ فهو غير مسبوق بعدم أو هدرك بعدم ـ تعالى عن ذلك علوا كبيرا ٠

بذلك فانه لا مكان للهواجس التى تعترى العقل الانسانى عن قدم الله سبحانه وتعالى ٠

---

(١٤١) الامـام مسـلم ـ شرح صحيح مسـلم جـ٢ ص ١٥٣ باب الوسوسه فى لايمـان ٠

البقـــاء

من الصفات التنزيهية صـــفة البقـاء ـ ومعنى هذه الصفة ان الله ســـبحانه وتعالى باق لا آخر لوجوده ، بل البقاء ملازم له أبدا فلا يعتريه فناء ـ ذلك لأنه ســبحانه وتعـالى واجب الوجود ـ فوجوده من ذاته ومن كان هكذا شانه لم يحركه فناء . ؟

وهذا حق وحقيقة فى بناء العقيدة الصحيحة فكل خطوة نبها تسلم الى الخطوة التى تليها فى اتســاق واحكام ، فحدوث العالم واحتياجه الى صـــانع يسلمنا الى اثبات القدم لبارئه القدير ، واثبـــات القدم للبارى يسلمنا الى اثبات صفة البقاء له جل اسمه ..

والعقل الصريح يقضى بصدق تلك القضـية المتماسكة « ما وجب قدمه استحال عدمه » (١٤٢) .

وضد البقاء الفناء قال تعالى « كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجـلال والاكرام » (١٤٣) جاء في تفســير القرطبى ـ قال ابن عباس لما نزلت هذه الآية قالت الملائكة هلك أهل الأرض فنزلت « كل شىء هالك الا وجه » فأيقنت الملائكة بالهلاك ، ووجه النعمة فى فناء الخلق بالتســوية بينهم فى الموت ـ ومع الموت تســتوى الاقدام وقيـل وجه النعمة أن الموت سبب النقل الى دار الجزاء والثواب « ويبقى وجه ربك » أى ويبقى الله فالوجه عبـــارة عن وجوده وذاته قال الشاعر :

---

(١٤٢) امام الحرمين ـ العقيدة النظامية ص١٦٤ تحقيق الدكتور محمد عبد الفضيل .

(١٤٣) سورة الرحمن الآية ٢٦، ٢٧ .

قضى على خلقــه المنــايا
فكل شيء ســـواه فــانى

قال أبو المعالى ان المراد بالوجه عند معظم أئمتنا وجود البارى تعالى والدليل على ذلك قوله تعــالى « ويبقى وجه ربك » ان الموصوف بالبقاء عند تعرض الخلق للفنــاء وجرد البارىء تعالى (١٤٤) .

وقوله تعالى « كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون » .

يقول ابن كثير فى تفسـير هذه الآية هذا اخبار بأنه الدائم ، البـــاقى ، الحى ، القيوم ، الذى تموت الخلائق ولا يموت فقوله تعالى « كل شيء هالك الا وجهه » أى الا ذاته فعبر بالوجه عن الذات (١٤٥) .

أما الدليل العقلى ، فلو لم يجب له تعــالى البقاء لجاز عليه الفنـــاء ، ولو جاز عليه الفناء لما كان واجب الوجود ، وقد ثبت أنه تعــالى واجب الوجود فبطل ما أدى اليه من كون ذاته يلحقها الفناء ، وثبت أنه تعالى باق لا يلحق ذاته عدم [illegible]

[illegible]

فالله سبحانه وتعالى ، باق لا يلحقه الفنــاء لأنه لو كان فانيا لكان حادثا ، ولو كان حادثا لاحتاج الى محدث ومحدثه الى محدث وهكذا فيلزم الدور والتسلسل وهمـــا باطلان ، فما أدينا اليه وهو فناؤه تعالى يكون باطل فثبت له تعالى — البقاء .

---

(١٤٤) الامام القرطبى — الجامع لأحكام القرآن ج١٧ ص١٦٥ — دار الكتاب العربى القاهرة سنة ١٣٨٧هـ — ١٩٦٧م .

(١٤٥) ابن كثير تفسير القرآن العظيم ج٣ ص ٤٠٣ .

القيـــام بالنفس

من الصفات التنزيهية - القيام بالنفس ، وهى تعبير عن كونه تعالى ، الغنى بالاطلاق ، والمتعـــالى عن الافتقار لشىء من الأشـياء ، القيوم بذاته ، والذى تقوم السـماء والأرض بأمره ، فالحق جل شأنه هو الغنى المطلق ، وليست سعة غناه راجعة الى أنه يملك هذا العالم بسماواته وأرضه ، وما حوى من معادن نفيسة وعنـاصر غالية ، ولا لانه يملك عددا لا يحصى من الجن والأنس ، والملائكة ، لا ، لا ، فالغنى الالهى أقعد من ذلك وأمجد (١٤٦) .

وعلى هذا كان المقصـــود بالنفس فى اللغة : الذات ، ومعنى القيـــام بالنفس سلب الاحتياج عمـــا عداه ، فهو سبحانه وتعالى غير محتاج الى محل أى ذات يقوم بهـــا مثلما تقوم الاعراض بالاجسام .

كما أنه جل شأنه لا يحتاج الى مكان يحـــل فيه لأن المكان يحدد ما يكون فيه ، فيكون ما فى المحل محدودا بحدود المكان ، والله عز وجل كما لا يجـرى عليه زمان لا يحـويه ولا يحصره مكان - كما أنه لا يحتـاج الى مخصص خارجى - لانه لو احتاج الى مخصص لاحتاج الى مؤثر وموجد والحق جل شأنه موجود بنفسه غنى بذاته عن كل ما عداه .

وانما قيدنا المخصص هنا بكونه خارجيا - لان هنـــا مخصصات لله تعالى من الداخل مثل صـــفاته تعالى - من العلم ، والقدرة ، والارادة وغيرها .

---

(١٤٦) الشيخ محمد الغزالى - عقيدة لمسلم ص [illegible]

كما لا يحتاج أيضا الى فاعل يخصصه ببعض ما يجوز عليه كتخصيص الممكنات ببعض ما يجوز عليها من الأمور المتقابلة ـ لما ثبت من غناه سبحانه وتعالى المطلق عن كل ما سواه ، فالمخلوقات جليلها ودقيقها تقوم بالله عز وجل ، أما الله تعالى فقائم بنفسه مستغن بذاته عما سواه (١٤٧) قال تعالى « يا أيها النـاس أنتم الفقراء الى الله والله هو الغنى الحميد » (١٤٨) ٠

وقوله تعالى فى حديثه القدسى « يا عبادى لو أن أولكم وأخـركم وانسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل منكم ما زاد ذلك فى ملكى شيئا ، يا عبادى لو أن أولكم وأخركم وانسكم وجنكم كانوا على أفجـر قلب رجل منكم ما نقص ذلك من ملكى شيئا » ٠

وضد قيامه تعالى بنفسه احتياجه الى غيره ، وقد ثبت بطلان احتياجه سبحانه وتعالى الى غيره ولم يبق الا قيامه تعـالى بنفسه وعدم احتياجه الى غيره ـ لانه تعـالى لو احتاج الى غيره لما كان واجب الوجود وقد ثبت أنه تعالى واجب الوجود فبطل ما أدى اليه ، وهو احتياجه تعالى الى الغير وثبت قيامه تعالى بنفسه ٠

---

(١٤٧) المصدر السابق ص ٣ ٠

(١٤٨) سورة الفاطر الآية رقم ١٥ ٠

المخـــالفة للحوادث

بعد أن ثبت قيامه تعالى بنفسه وأنه تعالى قديمـــا وباقيا ـ وما كان هذا شأنه فانه لا يمكن أن يكون مشـــابها للمخلوقات أو أن يشـــبهه شيء منها اذ أن هـذه المخلوقات حادثة وتفنى .

فمعنى مخالفته تعـالى للحوادث : ان الله ســبحانه وتعالى لا يماثل الحوادث « المخلوقات » لا فى ذاته ، ولا فى صفاته ، وأفعاله ، فلا تشـــبه ذاته ذوات الحوادث ، ولا تشبه صفاته صفات الحوادث ، ولا تشـــبه أفعـاله أفعال الحوادث ـ ســواء أكانت هذه الحوادث موجودة خارجا أم كانت ذهنية بحتة مثل الخواطر النفســية التى تخطر فى النفس لانها حاصلة بعد أن لم تكن اذا فهى حادثة .

ولذلك قيل فى هذا الباب :

كل ما خطر ببالك فالله ســبحانه وتعالى بخلاف ذلك ، وكل ما خطر فى الأوهام فغير ذى الجلال والاكرام .

كل ما ترتقى اليـــه بوهم
من جلال وقدرة وســـناء
فالذى أبدع البـــرية أعلى
منه سبحانه مبدع الأشياء

فالحق جل شأنه لا يشبه شيئا من الحوادث كما أنها لا تشبه فى شيء ، ولذلك نرى الامام الأشعرى يستدل على كونه تعالى مخالفا للحوادث ـ بارجاع المسألة الى قضـية التخالف بين القديم والمحدث قائلا فان قال قائل : لم زعمتم أن البارى سبحانه لا يشـــبه المخلوقات ؟ قيل له : لانه لو

أشبهها لكان حكمه فى الحدث حكمها ، ولو أشبهها لم يخل من أن يشبهها من كل الجهات أو من بعضها ، فان أشبهها من جميع الجهات كان محدثا مثلها من جميع الجهات ، وان أشبهها من بعضها كان محدثا من حيث أشبهها ، ويستحيل أن يكون المحدث لم يزل قديما (١٤٩) .

قال تعالى «ليس كمثله شىء وهو السميع البصير»(١٥٠)

يقول الامام القرطبى : أى ليس مثله شىء ، والذى يعتقد فى هذا الباب أن الله جل اسمه فى عظمته وكبريائه وملكوته وحسنى أسمائه وعلى صفاته ، لا يشبه شيئا من مخلوقاته ولا يشبه به ، وانما جاء مما أطلقه الشرع على الخالق ، والمخلوق ، فلا تشابه بينهما فى المعنى الحقيقى ، اذ صفات القديم جل وعز بخلاف صفات المخلوق ، اذ صفاتهم لا تنفك عن الأغراض والأعراض ، وهو تعالى منزه عن ذلك ، بل لم يزل بأسمائه وبصفاته وكفى فى هذا قوله الحق « ليس كمثله شىء » وقد قال بعض العلماء المحققين : التوحيد اثبات ذات غير مشبهة للذوات ولا معطلة من الصفات ، وزاد الواسطى رحمه الله بيانا فقال : ليس كذاته ذات ولا كأسمه اسم ، ولا كفعله فعل ، ولا كصفته صفة الا من جهة موافقة اللفظ وجلت الذات القديمة أن يكون لها صفة حديثة ، كما استحال أن يكون للذات المحدثة صفة قديمة (١٥١) .

---

(١٤٩) الاشعرى اللمع فى الرد على اهل البدع ص ١٩-٢٠ ، تحقيق الدكتور حموده غرابه .

(١٥٠) سورة الشورى الآية رقم ١١ .

(١٥١) لامام القرطبى - الجامع لاحكام القرآن جـ١٦ ص٨-٩ .

وقال تعالى « قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ، ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد » (١٥٢) أى لم يكن هناك مشابها لله تعالى فى أى شىء ، ومن هنا نحرك ونعرف أنه قد وجب له تعالى مخالفته للحوادث ويستحيل عقلا وشرعا مشابهته لها تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

يقول شارح الطحاوية : اتفق أهل السنة على أن الله ليس كمثله شىء لا فى ذاته ، ولا فى صفاته ، ولا فى أفعاله ، ولكن لفظ « التشبيه » قد صار فى كلام الناس لفظ مجملا يراد به المعنى الصحيح ، وهو ما نفاه القرآن ودل عليه العقل من أن خصائص الرب تعالى لا يوصف بها شىء من المخلوقات ولا يماثله شىء من المخلوقات فى شىء من صفاته (١٥٣) ، فاذا قيل أن فلان عالم وموجود مثلا : فالمشابهة من حيث التسمية وحدها ، أما حقيقة الصفة فشتان بين علم الله تعالى وعلم البشر وقدرة الله وقدرة البشر .

وهذا أمر ينبغى ألا يشك فيه المرء مع نفسه ، فمن الواضح أن تخالف الذات الالهية غيرها من الذوات المحدثة ، ومن البين أن يكون هناك بونا شاسعا بين الخالق ، والمخلوق ، ذاتا ، وصفاتا ، وأفعالا .

فالعقيدة التى جاء بها الاسلام توضح أن صفات المحدثين وأحوالهم لا يجوز أن تنسب الى الله سبحانه وتعالى فهو جل شأنه غير مخلوقاته .

---

(١٥٢) سورة الاخلاص

(١٥٣) ابن أبى العز الطحاويه ص.....

هذا وقد ثبت بالدليل النقلى أن الحق جل شأنه مخالف للحوادث ، أما الدليـــل العقلى فهو أن الله تعالى لو لم يكن مخالفا للحوادث لكان مماثلا لها ، ولو كان مماثلا لها لكان حادثا مثلها ـ فيحتاج الى محدث ، ومحدثه كذلك الى محدث، فيلزم الدور والتسلسل وكلاهما باطل ـ فما أدى اليه ـ وهو كونه تعـــالى مماثلا للحوادث يكون باطل ـ فثبت بذلك النقيض وهو كونه تعالى مخالف للحوادث ٠

فهو سبحانه وتعـالى ليس بجسم ، ولا فى مكان ، ولا متجزىء ، ولا مركب ، اذ أن هذه الأشـــياء من لوازمهـــا الاحتياج ، اذ لو كان جســما لكان محتــاجا الى أجزائه ، والاحتياج ينافى الوجوب ، وكذلك يحتاج الحال فى مكان الى مكانه الذى يحل فيه ويشغله وهكذا ٠

هذا وقد ثبت أن الله سبحانه وتعالى لا يشبه الحوادث أما ما جاء به القرآن الكريم وأحاديث رسول الله ﷺ مما يوهم بالمماثلة ٠

مثل قوله تعـــالى : « ويبقى وجه ربك ذو الجـــلال والاكرام » (١٥٤) ٠

وقوله تعالى : « وجاء ربك والملك صفا صفا » (١٥٥) ٠

وقوله تعالى « ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم » (١٥٦) ٠

---

(١٥٤) سورة الرحمن الآية رقم ٢٧ ٠
(١٥٥) سور الفجر الآية رقم ٢٢ ٠
(١٥٦) سورة الفتح الآية رقم ١٠ ٠

وقوله تعالى : « الرحمن على العرش استوى » (١٥٧).
الى غير ذلك من الآيات .

وكذا قول الرسول ﷺ فى الحديث الذى رواه أبو هريرة رضى الله عنه « ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر ، فيقول : من يدعونى فأستجيب له ، من يسألنى فأعطيه من يستغفرنى فأغفر له » (١٥٨) .

أمام هذه النصوص الشريفة كان هناك رأيان :

لقد كان للمتقدمين من علماء الأمة رأى - وهم الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين والتابعين واتباع التابعين - وقيل هم من عاشوا فى الخمسمائة سنة الأولى من هجرة النبى ﷺ ، وقيل هم من كانوا قبل القرن الثالث الهجرى ، وهم المعبر عنهم باسم السلف - رضى الله عنهم أجمعين .

وهذا الرأى هو الذى نرتضيه وندافع عنه ، وندين الله به عقيدة ، فالأولى الاتباع ، وترك الابتداع .

كما كان للعلماء الذين جاءوا بعد القرن الخامس الهجرى أو الثالث الهجرى ، أو بعد عصر الصحابة والتابعين رأى - وهم المعبر عنهم باسم الخلف .

وقبل أن نذكر رأى كل من علماء السلف والخلف نشير أولا الى : منشأ الخلاف بين السلف والخلف .

---

(١٥٧) سورة طه الآية رقم ٥ .
(١٥٨) ابن حجر العسقلانى - فتح البارى شرح صحيح البخارى جـ١١ ص١٢٩ باب الدعاء نصف الليل .

كان اختلاف وجهة نظر كل من علماء السلف والخلف ناشىء من اختلافهم فى موطن الوقف فى قوله تعالى « هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وآخر متشابهات ، فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولون أمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولوا الألباب » (١٥٩) .

هل هو ابتداء كلام مقطوع مما قبله ، أو هو معطوف على ما قبله فتكون الواو للجمع ، فالذى عليه الاكثر أنه مقطوع مما قبله ، وأن الكلام تم عند قوله « الا الله » هذا قول ابن عمر ، وابن عباس ، وعائشة ، وعروة بن الزبير وعمر ابن عبد العزيز ، وغيرهم ، قال الخطابى وقد جعل الله تعالى آيات كتابه الذى أمرنا بالايمان به والتصديق بما فيه قسمين : محكما ومتشابها فقال عز من قائل « هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وآخر متشابهات .. الى قوله : كل من عند ربنا » .

فأعلم أن المتشابه من الكتاب قد استأثر الله بعلمه ، فلا يعلم تأويله أحد غيره ، ثم أثنى الله على الراسخين فى العلم بأنهم يقولون « آمنا به » ، ولولا صحة الايمان منهم لم يستحقوا الثناء عليه — ومذهب أكثر العلماء أن الوقف التام في هذه الآية انما هو عند قوله تعالى « وما يعلم تأويله الا الله » وان ما بعده استئناف كلام آخر وهو قوله « والراسخون فى العلم يقولون آمنا به » .

الا أنه روي عن مجاهد أنه نسق « الراسخون » على

---

(١٥٩) سورة آل عمران الآية رقم ٧

ما قبله وزعم أنهم يعلمونه - واحتج له بعض أهل اللغة : فقال : معناه والراسخون فى العلم يعلمونه قائلين آمنا (١٦٠)

وفى هذا ما يجرنا الى أن نشير الى :

المحكم والمتشابه .

جاء فى كتاب الله تبـــارك وتعالى بعض الآيات تصف القـــرآن الكريم بأنه محكم وذلك كقوله تعالى « الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لـدن حكيم خبير » (١٦١) كما جاء أيضـــا بعض الآيات تصف القـــرآن الكريم بأن منه متشـــابه كقوله تعـــالى « الله الذى أحسن الحديث كتابا متشـــابها مثانى تقشـــعر منه جلود الذين يخشـــون ربهم » (١٦٢) .

كما جاء بعض الآيات أيضـــا تصف القرآن الكريم بأن منه المحكم والمتشابه كما جاء فى قوله تعـــالى « هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وآخر متشابهات » .

ولهذا فان المقام يقتضينا الى أن نشـــير الى تعريف المحكم والمتشابه .

أما تعريف المحكم فى اللغـــة ، فالعرب تقول : حاكمت وأحكمت بمعنى رددت ومنعت والحاكم يمنع الظـــالم عن الظلم ، وحكمة اللجام هى التى تمنع الفرس عن الاضطراب

---

(١٦٠) الامام القرطبى - الجامع لاحكام القرآن جـ٤ ص١٦ .
(١٦١) سورة هود الآية رقم ١ .
(١٦٢) سورة الزمر الآية رقم ٢٣ .

وفى حديث النخعى « احكم اليتيم كما تحكم ولدك » أى أمنعه عن الفساد .

وقال جرير : احكموا سفهاءكم أى امنعوهم - وبناء محكم أى وثيق يمنع من التعرض له وسميت الحكمة لانها تمنع عما لا ينبغى (١٦٣) .

أما فى الاصطلاح : فهو ما احكم المراد به عن التبديل والتغيير ، أى التخصيص والتأويل والنسخ مأخوذ من قولهم بناء محكم أى مأمون الانتقاض وذلك مثل قوله تعالى « ان الله بكل شىء عليم » والنصوص الدالة على ذات الله تعالى وصفاته لان ذلك لا يحتمل النسخ فان اللفظ اذا ظهر منه المراد فان لم يحتمل النسخ فهو محكم والا فان لم يحتمل التأويل فمفسر (١٦٤) .

أما المتشابه فيعرف فى اللغة . بأنه ما لم يمكن التمييز بينه وبين غيره ، وذلك بأن يكون أحد الشيئين مشابها للآخر بحيث يعجز الذهن عن التمييز بينهما قال تعالى « ان البقر تشابه علينا » وقال تعالى فى وصف ثمار الجنة « وأوتوا به متشابها » أى متفق المنظر مختلف الطعوم وقال تعالى « تشابهت قلوبهم » ومنه يقال : اشتبه على الأمران اذا لم يفرق بينهما - ويقال لأصحاب المخاريف أصحاب الشبه .. ثم لما كان من شأن المتشابهين عجز الانسان عن

---

(١٦٣) الامام فخر الدين الرازى - التفسير الكبير جـ٢ ص٤١٥ .

(١٦٤) السيد الشريف الجرجانى - التعريفات ص ١٨١ طبعة الحلبى ١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م .

التمييز بينهما سمى كل ما لا يهتدى اليه بالمتشابه اطلاقا لاسم السبب على المسبب (١٦٥) ٠

أما فى الاصطلاح : فهو ما خفى بنفس اللفظ ولا يرجى دركه أصلا كالمقطعات فى أوائل السور (١٦٦) ٠

وأما قوله تعالى « وما يعلم تأويله الا الله » يقول الامام القرطبى :

التأويل يكون بمعنى التفسير كقولك : تأويل هذه الكلمة على كذا ، ويكون بمعنى ما يؤول الامر اليه ، واشتقاقه من آل الامر الى كذا يؤول اليه أى صار ، وأولته تأويلا أى صيرته ، وقد حده بعض الفقهاء فقالوا هو ابداء احتمال فى اللفظ مقصود بدليل خارج عنه – فالتفسير ببيان اللفظ (١٦٧) ٠٠ « والراسخون فى العلم » اختلف العلماء فى « والراسخون فى العلم » ٠

من هنا نلاحظ أن علماء السلف يقفون على قوله تعالى « وما يعلم تأويله الا الله » ويجعلون جملة « والراسخون فى العلم » كلاما مستأنفا مقابلا فى المعنى لقوله تعالى « فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله » ٠

اما علماء الخلف فيفصلون بين قوله تعالى « وما يعلم تأويله الا الله » ويعطفون عليه قوله تعالى « والراسخون فى العلم » ٠

---

(١٦٥) الامام الرازى – التفسير جـ٢ ص٤١٥ ٠
(١٦٦) الجرجانى – التعريفات ص ١٧٦ ٠
(١٦٧) الامام القرطبى الجامع لاحكام القرآن جـ٤ ص١٥ ٠

فيقولون : كل من له قدم راسخة فى العلم يستطيع بواسطة القرائن القوية أن يدرك معنى يصح حمل اللفظ عليه وهذا بسبب التماس التأويل .

وهو : صرف اللفظ عن ظاهره المتبادر منه ، والذين اقروا التأويل بهذا المعنى رأوه ضروريا لان اللغة تقتضيه، والعقل يؤيده ، مع الاعتراف بأن كتاب الله تعالى يشتمل على ما تقصر العقول عن ادراكه فهم لجأوا الى التأويل لغاية حميدة ، وهى تنزيه الذات الالهية - فلا يصح ايهام العقول . ان الله تعالى ، جسم ، أو أنه متصف بصفات الحوادث - كما رأوا أن التأويل هنا ضرورى - والا كان القرآن الكريم متناقضا بحسب الظاهر فالله سبحانه وتعالى يقول فى كتابه الكريم « وهو معكم أينما كنتم » (١٦٨) - وقوله تعالى « الرحمن على العرش استوى » (١٦٩) .

فكيف يكون سبحانه وتعالى مستويا على العرش - - مع كونه موجودا مع كل واحد ؟

من هنا رأى أصحاب هذا الرأى بأن معنى المعية فى الآية الأولى هى العلم ، وعليه فليس المقصود بالاستواء فى قوله تعالى الرحمن على العرش استوى استواءا حقيقيا كما ذهب المشبهة وانما المراد بالاستواء هو الملك والقهر والغلبة ومنه قول الشاعر :

قد استوى بشر على العراق
من غير سيف ودم مهراق

---

(١٦٨) سورة الحديد الآية رقم ٤
(١٦٩) سورة طه الآية رقم ٥

وعلى هذا النحو أولوا « الوجه » فى قوله تعالى « ويبقى وجه ربك » الى وتبقى ذات ربك كما أولوا قوله تعالى « وجاء ربك والملك صفا صفا » الى وجاء أمر ربك .

أما اليد فتارة يؤولونها بالقدرة كما فى الآية التى ذكر فيها خلق الله لآدم بيده ، وتارة تؤول بالنعمة أو النصرة كما فى قوله تعالى « يد الله فوق أيديهم » .

أما الحديث النبوى الشريف « ينزل ربنا » رأوا أنه ليس المراد بالنزول حقيقته التى نعرفها ، وانما الأمر على تقدير محذوف ، وعليه يكون المعنى « ينزل ملك ربنا » أو المراد قرب أجابته تعالى لمن دعاه أو سأله فى هذه الفترة من الليل ، حيث لا يتضرع اليه ولا يسأله تعالى الا من كان أقرب الى اجابته وأرجى لقبول دعائه ممن عداه من الذين يكونون فى هذا الوقت فى نوم وغفلة عن ذكر الله تعالى وعبادته .

رأى السلف :

ذهب السلف الصالح رضى الله عنهم أجمعين الى أن المعنى الظاهر غير مراد ، ومن هنا كان مبدأ التفويض لله تبارك وتعالى فمثلا يقولون فى قوله تعالى «يد الله فوق أيديهم» لله يد ليست كأيدينا ، الله تعالى أعلم بها - ووجهة نظرهم فى هذا المقام - أن الله تعالى نسب لنفسه وجها ، ويدا .. الخ .

فالنسبة صحيحة لكن لا على المعنى الحقيقى المتبادر الى الذهن من هذه الالفاظ لوجود مانع هو قوله عز وجل « ليس كمثله شىء » .

وفى هذا المفهوم عاش الصحابة والتابعون وأتباعهم رضى الله عنهم أجمعين لا يسألون ما يـد الله ؟ وما قدرته ؟ وما علمه ؟ وما عينه ؟

ولهذا كان الامام الشافعى رضى الله عنه يقول : أمنت بالله ، وبما جاء عن الله ، وعلى مراد الله ، وأمنت برسول ، وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله ﷺ ٠

وعلى هذا : درج السلف ، ومن حذا حذوهم من أئمة الخلف رضى الله عنهم وكلهم متفقون على الاقرار ، والاثبات لما ورد من الصفات فى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ من غير تعرض لتأويله ٠

وقد أمرنا باقتفاء آثارهم ، والاهتداء بمنارهم ، وحذرنا من المحدثات وأخبرنا أنها من الضلالات فقال : النبى ﷺ : « عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهدين من بعدى، عضوا عليها بالنواجد ، واياكم ومحدثات الأمور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة » (١٧٠) ٠

وقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه « اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم » ٠

وسأل رجل الامام مالك بن انس رضى الله عنه قائلا : يا أبا عبد الله «الرحمن على العرش استوى» - كيف استوى؟ فقال له : الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، والايمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ، ثم أمر بالرجل فأخرج » ٠

---

(١٧٠) الاماذ احمد بن حنبل المسند جـ٤ ص ١٢٦ ٠

فلقد هدوا بفطرتهم الى أن العقل لا يستطيع أن يدرك كنه صـــفة من هذه الصـــفات ، ولا أن يمسك بها على آية صورة لن تكون هى أبدا ، مادام الكمال المطلق هو صفتها ٠

يقول الشيخ محمد الغزالى (١٧١) فان مفهوم الالوهية يعرف الانسان الطريق اليه ، وحين يلقاه بقلبه ، ويستقبله بفطرته ، لواضح أشد الوضوح ، اذ هو الكمال المطلق ، الذى يسمح للانسان أن ينطلق الى ما لا نهـــاية فى الســـمو والارتفاع بمقام الذات ٠ وكلما انتهى الى غاية مد بصره الى غيرها ، وهكذا أبد « ليس كمثله شىء وهو الســـميع البصير » ٠

(١٧١) عقيدة المسلم ص٤٥ ٠

الوحـــدانية

ان التوحيد هو الهدف الســـامى المشترك من أهداف الرسالات الســـماوية التى اتفق فى الدعوة اليهـا جميع الأنبياء والمرسلين ٠

لهذا يعتبر مبحث الوحدانيـــة من أهم مبـــاحث علم التوحيد قال تعالى « وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه أنه لا اله الا أنا فأعبدون » (١٧٢) وقال تعالى « واسئل من أرسـلنا قبلك من رســلنا أجعلنا من دون الرحمن الهة يعبدون » (١٧٣) ٠

وفى القرآن الكريم العرض الحـــافل لمظاهر قدرة الله تعالى فى كونه وآياته فى خلقه وكلها داعية الى وحدانيته تعالى ، قال تعالى « أمن خلق السموات والأرض وأنزل من الســـماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أءله مع الله بل هم قوم يعدلون » (١٧٤) ٠

وقد قيل : ـ

وﷲ فى كـــل تحـــريكة
وتسكينة فى الورى شاهد
وفى كـــل شىء له آيـــة
تـــدل على أنه الواحـــد

فالوحدانية من الصفات السلبية أو التنزيهية الواجبة لله سبحانه وتعالى ٠

---

(١٧٢) سورة الانبياء الآية رقم ٢٥ ٠
(١٧٣) سورة الزخرف الآية رقم ٤٥ ٠
(١٧٤) سورة النمل الآية رقم ٦٠ ٠

ومعنى الوحدانية الواجبة لله تعالى : هو عدم التعدد فى الذات أو الصفات أو الافعال ، فالله سبحانه وتعالى واحد فى ذاته ، وفى صفاته ، وفى أفعاله .

فمعنى وحدة الذات .

فقد ثبت بالأدلة القاطعة أنه سبحانه وتعالى مخالف للحوادث ، ولأنه وحده هو الاول بلا بداية كما أشرنا الى ذلك سابقا - فيتأكد أنه ذاته سبحانه ليست مركبة من أجزاء وليست لغيره ذات تشبه ذاته تعالى ، فهو سبحانه واحد في ذاته ، لا شريك له ، ولا ند ، ولا شبيه ، ولا مثيل - فذاته سبحانه وتعالى واحدة وحدة مطلقة فليست مركبة من أجزاء .

ووحدة الصفات :

معناها : عرفنا أن الوحدة شاملة للذات والصفات والافعال ، فوحدة الصفات معناها : أن الله سبحانه وتعالى ليس له صفتان أو أكثر من نوع واحد كعلمين ، أو قدرتين أو أكثر وليس لغيره صفة كصفته تعالى .

ووحدة الأفعال :

معناها : أنه ليس لغيره فعل يشبه فعله تعالى ، فالسموات وما فيها والأرض وما عليها - كل ذلك مخلوق لله تعالى وحده لا شريك له فى ذلك فليس لأحد غيره فعل من الافعال - فهو جل شأنه الخالق لا خالق غيره . وليس لغيره فعل من الافعال على وجه الايجاد .

هذا وقد عرفت أن الوحدانية تنفى كموما (١٧) خمسة وهى :

١ - الكم المتصل فى الذات : معناه : أن ذاته مركبة من أجزاء ·

٢ - الكم المنفصل فى الذات أيضا : معناه : تعدد ذات الواجب بحيث يكون هناك اله ثان أو أكثر ·

وهذا الكمان منفيان بوحدة الذات ·

٣ - الكم المتصل فى الصفات : ومعناه : التعدد فى صفاته تعالى من جنس واحد كقدرتين ، وارادتين ·

٤ - الكم المنفصل فى الصفات : ومعناه : أن يكون لغير الله صفة تشبه صفته تعالى ، كأن يكون لزيد قدرة يوجد بها ويعدم بها كقدرته تعالى أو ارادة تخصص الشىء ببعض الممكنات - وهذان الكمان منفيان بوحدانية الصفات

٥ - الكم المنفصل فى الافعال - ومعناه : أن يكون لغير الله فعل من الافعال على وجه الايجاد - وانما يكتسب له الفعل على وجه الكسب والاختيار - وهذا الكم منفى بوحدانية الافعال (١٧٦) ·

---

(١٧٥) كموم - جمع كم بفتح الكاف وتشديد الميم مصروف والكم هو كمية الشىء ومقداره ·

(١٧٦) الامام ابراهيم البيجورى - شرح البيجورى على الجوهرة ص٧٣ ·

الدليل على وحدانية الله تعالى :

أولا الدليل النقلى :

ان الادلة النقلية على الوحدانية فى ذاته وصفاته وأفعاله كثيرة وكلها تدل على أن الفاعل ، واجب الوجود قديم - وهذا الواجب لا يتعدد والا تعدد القدماء بل هو واحد لا شريك له فى ذاته ، وفى صفاته ، وأفعاله قال تعالى « قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحدا » (١٧٧) .

فهو تعالى « أحد » أى واحد فى ذاته ، وفى صفاته ، وفى أفعاله ، وهو « الصمد » أى الغنى الذى يقصده الناس فى حوائجهم لاحتياجهم اليه وغناه عنهم ، « لم يلد » أى لم ينبثق عنه ولد فهو جل شأنه فى غاية الكمال « ولم يولد » أى لم ينبثق عن غيره لأنه لا أول لوجوده « ولم يكن له كفوا أحد » أى لم يكن ولم يوجد أحد يساويه ويماثله ، فقد تقدست عن الاشباه ذاته ، وتعالت عن النظائر صفاته ، وتفردت بالوحدانية هويته ، واحد بلا عدد ، واحد بلا خفاء واحد فى ظهور ، وأحد فى بطون ظهوره لا يشبهه وبطونه لا يخفيه ، ظهوره لا يجتنبه ، وبطونه لا يبديه ، ظهوره لا يحده ، وبطونه لا يقطعه ، ظهوره بأمره ، وبطونه بحقيقته ، ظهوره بفعله ، وبطونه بسر غيبه ، ظهوره بكمالاته ، وبطونه بحقائق صفاته ، ظهوره بتدبيره وبطونه بذاتية أنواره ، ظهوره بتقديره ، وبطونه بحقيق حكمه (١٧٨)

---

(١٧٧) سورة الاخلاص .

(١٧٨) الدكتور عبد الله الشاذلى - الالوهية فى الفكر الاسلامى ص ١٢٥ .

قال تعـــالى « والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم » (١٧٩) .

وقال تعالى : « انما الله اله واحد » (١٨٠) وقال « ما من اله الا اله واحد » (١٨١) وقال تعالى « قل انمـــا هو اله واحـد » (١٨٢) وقال « قل الله خـالق كل شىء وهو الواحد القهار » (١٨٣) وقال « وبرزوا الله الواحد القهار » (١٨٤) .

وقال تعالى « وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد » (١٨٥) .

وهكذا نلاحظ تعدد الآيات القرآنية ـ وكلها دالة على نفى كل ألوهية ســوى الواحد ـ وما ذلك الا لان الله يؤكد على وحدانيتــه وعلى نفي الشريك بكل معنى وصـــيغة يليقان بذاته ، ويبين أن الشريك منفى بكل وجه من الوجوه العقلية واللغوية وبكل صـيغة دالة على ذلك ذلك أن الادلة العقلية نفسها تمنع من وجود شريك لله تعالى فى الذات وفى الصفات وفى الافعال .

فالدليل العقلي على عدم تركب ذاته هو أنه لو تركبت ذاته تعالى من أجزاء لكانت الذات محتاجة فى تحققها الى جميع

(١٧٩) سورة البقرة الآية رقم ١٦٣ .
(١٨٠) سورة النساء الآية رقم ١٧١ .
(١٨١) سورة المـائدة رقم ٧٣ .
(١٨٢) سورة الانعام الآية رقم ١٩ .
(١٨٣) سورة الرعـد الآية رقم ١٦
(١٨٤) سورة ابراهيم الآية رقم ٤٨
(١٨٥) سورة النحل الآية رقم ٥١ .

أجزائها – والاحتياج نقص وهو محال عليه تعالى ، فتركيب ذاته محال .

والدليل على عدم وجود ذات تشبه ذاته تعالى ، فلو وجدت ذات غير ذات الله تعالى متصفة بصفات الالوهية – لو وجد الهين متصفان بصفات الالوهية من العلم ، والقدرة ، والارادة وغير ذلك – فاذا قصدا الى ايجاد مقدور معين كحركة جسم معين في زمان معين فوقوعه اما أن يكون بهما فيلزم مقدور بين قادرين مستقلين بمعنى استقلال كل منهما بايجاده – وهذا ممتنع ، واما أن يكون بأحدهما فيلزم الترجيح بلا مرجح ، لان المقتضى للقادرية ذات الاله ، وللمقدرية امكان الممكن ، فنسبة الممكنات الى الالهين المفروضين على السوية من غير رجحان ، وهذا البرهان يسمى برهان التمانع (١٨٦) وهو البرهان الذى ارتضاه أغلب المتكلمون بل كلهم ولذلك يلخص الامام الأشعرى هذا البرهان بقوله : فان قال قائل : لم قلتم ان صانع الاشياء واحد ؟ قيل له : لان الاثنين لا يجرى تدبيرهما على نظام ولا يتسق على احكام ، ولابد أن يلحقهما العجز أو واحدا منهما ، لان أحدهما اذا أراد أن يحيى انسانا وأراد الآخر أن يميته لم يخل أن يتم مرادهما جميعا أو لا يتم مرادهما ، أو يتم مراد أحدهما دون الآخر ويستحيل أن يتم مرادهما جميعا ، لأنه يستحيل أن يكون الجسم حيا ميتا في حال واحدة ، وان لم يتم مرادهما جميعا وجب عجزهما ، والعاجز لا يكون الها ولا قديما ، وان تم مراد أحدهما دون الآخر وجب عجز من لم يتم مراده منهما والعاجز لا يكون الها ولا قديما،

---

(١٨٦) الامام سعد الدين للتفتازانى – شرح المقاصد جـ٢ ص٤٦، ٤٧ .

فدل ما قلناه على أن صانع الاشياء واحد » (١٨٧) وقد قال الله تعالى « لو كان فيهما الهه الا الله لفسدتا » (١٨٨) فان أريد بالفســـاد عدم التكوين فتقديره : أنه لو تعدد الآله لم تتكون السماء والارض ، لان تكونهما اما بمجموع القدرتين أو بكل منهما ، أو بأحدهمـــا ، والكل باطل . لان من شأن الآله كمال القدرة ، وعليه فلو فرض الهـان لهما صـــفات الالوهية لما أمكن الاتفاق بينهما ، بل لابد من وقوع التنازع ، والتغالب بينهما ، فيدافع كل منهما عن سلطانه وعن مملكته ، وعندئذ لا يوجد شيء من العـالم كما قال تعالى « قل لو كان معه الهه كما يقولون اذاً لابتغوا الى ذى العرش ســـبيلا سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا » (١٨٩) وقال تعالى « ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون » (١٩٠)

الدليل على وحدانية الصفات :

عرفنا أن الوحدة شاملة للذات ، والصفات ، والأفعال بمعنى أنه لا توجد ذات مثل ذاته تعالى ، ولا صـــفة مثل صفاته تعالى ، ولا فعل مثل فعله تعالى .

وعرفنا أيضـا أن وحدة الذات تنفى التعدد فى الالهة ، وتنفى التركيب فى الذات الالهية الواحدة ، كذا فان وحدة الصفات تعنى عدم المشابهة فى الصفة ، وعدم التعدد فى الصفة الواحدة ، الدليل على ذلك .

---

(١٨٧) الامام الاشعرى ـ اللمع ص ٢٠ ، ٢١ .
(١٨٨) سورة الانبياء الآية رقم ٢٢ .
(١٨٩) سورة الاسراء الآية رقم ٤٢ ، ٤٣ .
(١٩٠) سورة المؤمنون الآية رقم ٩١ .

فلو كان له تعالى صفتان من نوع واحد ، فاما أن تكون الصفة الواحدة كافية فى التأثير والايجاد ، وحينئذ يكون وجود الثانية عبثا ، واما أن تكون غير كافية بل محتاجة لاخرى من جنسها ، فتكون كل منهما صفة ناقصة وهذا محال لما يلزم عليه من كون صفة البارى ناقصة ، حيث أن الصفة تابعة لدرجة الموصوف ، وبما أن وجوده تعالى أكمل وأسمى أنواع الوجود فيجب تبعا لذلك أن تكون صفاته تعالى أكمل الصفات ، وأسمى أنواع الوجود فيجب تبعا لذلك أن تكون صفاته تعالى أكمل الصفات .

وان كانت الصفة المتعددة من صفات الكمال ، كالعلم والبصر ، والسمع فان الامر لا يخلو - اما أن يكون الكمال الحاصل بالثانية هو عين الكمال الحاصل بالأولى - وعندئذ يكون وجود الثانية عبثا ذلك أنها لم تثبت كمالا زائد عما ثبت بالأولى - وهذا باطل . وان كان الكمال الحاصل بالثانية غير الكمال الحاصل بالاولى ، فلا يكون هناك تعدد - لانهما حينئذ يكونان صفتان مختلفتان .

هذا بالاضافة الى أنه ليس هناك صفة تشبه صفاته تعالى - لان الصفة تتبع الموصوف فى مرتبة الوجود - والحق تبارك وتعالى واجب الوجود وما عداه ممكن الوجود، فقد قام الدليل على استحالة وجود ذات تشبه ذات الله تعالى - فلا يمكن أن يكون لغيره صفة تشبه صفته تعالى فالله سبحانه وتعالى ، قادر بقدرة واحدة ، لا بقدرتين ، مريد بارادة واحدة بارادتين - وهكذا فالصفة الواحدة لا تتعدد أبدا .

وحدانية الأفعـــال :

معنى وحدانية الأفعال : هو أن الله تعـــالى واحد فى أفعاله ، فليس لغيره فعل فعل يشبه فعله تعالى ، فالعرش ، والسموات والارض وما فيها من جرم أو عرض كله مخلوق لله تعالى وحده - لا شريك له فى ذلك فليس لاحد غيره فعل من الافعال - فهو جل شأنه الخالق فلا خالق غيره .

فهذه الوحدة الفعلية تنفى أن يكون لغيره فعل مع فعله جل جلاله فلا تأثير لشىء فى شىء أبدا سواء كان هذا التأثير عن طريق الاختيار أو عن طريق العلة والمعلوليه ، أو عن طريق الطبع ، بمعنى أنه ليس هناك صـــاحب فعل مختار فيه الا لله تعالى - كما أنه ليس هناك تأثيرات عليه ، فالعـلاقة بين العلة والمعلول لا توجد الا بأمر الله تعالى ولا يحدث فعلها الا باذنه تعالى - ولو شاء لابطل عمل العلة فلا يوجد المعلول

ومن هنا يتضح لنا أن عقيدة الاسلام تهتف بالانسان فى كل لحظـة أنه ليس لهذا الكون الا اله واحد - وأن ما سواه عبد له .

يقول الحق تبارك وتعالى « ان كل من فى السـموات والأرض الا آتى الرحمن عبدا ، لقد أحصـاهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيامة فردا » (١٩١) .

هذا وقد ثبت أن الله تعالى واحد فى ذاته ، وصـفاته ، وافعاله ، وأنه تعالى مخالف للحوادث ، فهو واجب الوجود لا أول لوجوده ، ولا آخر لبقائه ، فهو الأول ، والآخر ، المنزه

---

(١٩١) سورة مريم الآية رقم ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ .

عن شـوائب النقص المتصف بكل كمال لائق بذاته العلية فهو سبحانه منزه عن :

الضد : لانه لو كان له ضد للزم ارتفاع الذات الالهيـة دائما ، ان كان وجود الضد دائما ، ومدة وجود الضد ان لم يكن وجوده دائما - واذا جاز ارتفاع الذات الالهية دائما أو مدة من الوقت لم يكن والحالة هذه واجب الوجود وقد ثبت أنه تعالى واجب الوجود فيثبت انتفاء الضد لله تعالى ومنزه أيضا عن الشريك - المشارك في القدم ، والخلق ، والايجاد - وهذا مستحيل لثبوت الوحدانية له تعالى .

ومنزه عن الشبيه ، والنظير والمثيل ، فكل ذلك منفى ، فليس هناك شبيه ، ولا نظير ، ولا مثيل له تعالى لا فى ذاته ولا فى صفاته ، ولا فى أفعاله ، فقد ثبت أنه تعـالى واجب الوجود وحده وأنه مخالف للحوادث فلا يشـــبهه شىء من خلقه .

ومنزه عن الوالد ، والولد ، والصـاحبة والصديق قال تعالى « بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شىء وهو بكل شىء عليم » (١٩٢) .

وقوله جل شأنه « قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد » (١٩٣) .

فبسورة الاخلاص يتم تنزيه البارى جل شأنه فقوله « قل هو الله أحد » اشارة الى نفى الكثرة والتركيب - كما

---

(١٩٢) سورة الانعم الآية رقم ١٠١ .
(١٩٣) سـورة الاخلاص .

أنها تنفى تعدد الالهية ، وقوله « الله الصمد » أى المصمود فى ذاته المقصود فى الحوائج والمهمات ، وهذا اشــارة الى نفى النقص والقلة ، وقــوله « لم يلد ولم يولد » اشــارة الى نفى العلة والمعلولية وقوله « ولم يكن له كفوا أحد » اشــارة الى نفى الشبيه والنظير ٠

هذا وقد جمع صاحب جوهرة التوحيد كل ذلك فى قوله

قيامه بالنفس وحــــدانية
منزها أو صـــافه ســـنية

عن ضد أو شبه شريك مطلقا
ووالد كذا الولد والاصــدقاء

وبعـــد : هذا نلحظ ان دعوى اليهود أن العزيز ابن الله ودعوى النصارى أن المسيح ابن الله دعوى باطلة من أساسها بل ان فيها افتراء واجتراء على الله ـ تعالى عما يقولون علوا كبيرا ٠

صـــفات المعانى

الصـــفات جمع صـــفة وهى بمعناها العام تطلق على الاسم الدال على بعض أحـــوال اى ذات وذلك نحو طويل وقصير وعاقل وغير ذلك ٠

أما صفات المعانى : فهى من صفات الذات وتطلق على الصفات التى يوصف بها الله تعالى دون أضدادها ، وتمتاز عن الصـــفات الخبرية بأن طريق ثبوتها السـمع والعقل معا ، أما الصـــفات الخبرية فطريق ثبوتها السمع وحده وسميت بصفات المعانى لانها تفيد معنى قائم بالذات العلية لا ينفك عنها وهى القدرة ، والارادة ، والعلم ، والحيـــاة ، والسمع ، والبصر ، والكلام ٠ وزاد بعضهم صـفة البقاء ، وبعضهم صفة التكوين على انها غير القدرة ٠

وفى اشارة خفيفة نشير الى بعض هذه الصفات :

١ ـ القـــدرة :

ان كل ما فى هذا ـ الكون يدل على قدرة الله تعـالى فكل ما يراه الانسان ويشاهده كل ذلك بقدرة الله تعالى ـ فليس هناك قادر فى المخلوقات بنفسه وانما قدرته تستمد من قدرة الله سبحانه وتعالى ، فقدرة الله سـبحانه وتعالى لا يعتريها قصور ولا عجز ، ولا يعزب عن قدرته شىء ولا تحد مقدوراته تعالى :

فالقدرة لغة القوة والاستطاعة ٠

وفى اصطلاح علماء الكلام : صـــفة أزلية قائمة بذاته تعالى زائدة عليها يتأتى بها ايجـاد كل ممكن واعدامه على وفق الأرادة والعلم ٠

وعلى هذا يكون ما خصصه الله تعالى بارادته أبرزه بقدرته ، فالقدرة عامة التعلق بالممكنات ، ولا تتعلق ، ولا تعمل فى الواجبات ولا فى المستحيلات فلو تعلقت القدرة ، أو الارادة بالواجب لتنزيل ثبوته لم يكن واجب عقلى لان الواجب العقلى : هو الامر الثابت الذى لا يقبل الانتفاء والعدم ولو تعلقت القدرة والارادة بالمستحيل لتنزيل انتفاءه لم يكن مستحيلاً عقلى لان المستحيل العقلى هو : الامر المنفى الذى لا يقبل الثبوت بحال من الاحوال .

وعلى هذا تشمل القدرة والارادة جميع الممكنات فلا دخلق فى ملكه أمرا لم يرده ، فالله سبحانه وتعالى له الخلق والامر وأن أمره اذا أراد الشىء أن يقول له كن فيكون .

فتعلق القدرة بايجاد الاشياء أمر متفق عليه - وذهب الامام الأشعرى الى أنها لا تتعلق باعدامنا بعد وجودنا ، بل اذا أراد الله عدم الممكن قطع عنه الامدادات فينعدم بنفسه كالفتيلة اذا انقطع عنها الزيت انطفأت بنفسها (١٩٤) .

فوظيفة القدرة عند أغلب الاشاعرة هى الايجاد ، أما الاعدام فلا يحتاج الى تأثير سواء فى الجواهر أو الاعراض يقول امام الحرمين :

ان الاعدام هو العدم ، والعدم نفى محض ، ويستحيل أن يكون المقدور نفيا (١٩٥) ، ولكن ليس معنى هذا أن العدم

---

(١٩٤) الامام ابراهيم البجورى - شرح البجورى على الجوهرة ص ٧٨ .

(١٩٥) امام الحرمين الجوينى - الارشاد ص ٢١٨ . تحقيق الدكتور محمد يوسف موسى وآخر نشر مكتبة الخانجى مطبعة السعادة ١٣٦٩هـ .

غير مقدور للبارى تعالى فهو جل شأنه إن شاء الفعل فعل ، وإن شاء أن لا يفعل لم يفعل فهو ان شاء فعل العدم (١٩٦) ، وعليه فتعلق القدرة بالاعدام كتعلقها بالايحاء يشـــير الى ذلك قوله تعالى « تبـارك الذى بيده الملك وهو على كل شيء قدير الذى خلق الموت والحيـاة ليبلوكم أيكم أحسن عمـلا وهو العزيز الغفور » (١٩٧) فالموت اعـدام وقع على الخلق وهو من عمل القدرة .

الدليل على قدرة الله تعالى :

لقد ثبت أن العالم حادث ، وأن الذى أوجد هذا العـالم هو الله تعـالى فلابد أن يكون قادر ، فلو لم يكن قادرا لكان عاجزا ، ولو كان عاجزا لما استطاع ايجاد هذه المخلوقات بهذا النظام البديع لكن وجود هذه المخلوقات ثابت بالمشاهدة - فثبت أنه تعالى قادر وبطل نقيضه وهو العجز .

الدليـــل النقلى قوله تعـــالى « ان الله على كل شيء قدير » (١٩٨) وقوله تعالى « وما كان الله ليعجزه من شيء فى السموات ولا فى الأرض انه كان عليما قديرا » (١٩٩) وقوله تعالى « تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شيء قدير الذى خلق الموت والحيـاة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور » (٢٠٠) .

---

(١٩٦) الامام سعد الدين التفتازانى - شرح المقاصد جـ٢ ص٦١ .
(١٩٧) سـورة الملك الآية رقم ١ ، ٢ .
(١٩٨) سورة البقرة الآية رقم ٢٠ .
(١٩٩) سورة فاطر الآية رقم ٤٤ .
(٢٠٠) سورة الملك الآية رقم ١ ، ٢ .

وقوله تعالى « قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شـــيعا ويـــذيق بعضكم بأس بعض » (٢٠١) .

---

(٢٠١) سورة الانعام الآية رقم ٦٥ .

الارادة

ان الله سبحانه وتعالى مريد للكائنات ، وان ارادته قائمة بذاته فى جملة صفاته وهو مدبر للحادثات ، مريدا فى الأزل لوجود الاشياء فى أوقاتها التى قدرها ، فوجدت فى أوقاتها كما أراد فى الأزل من غير تقدم ولا تأخر بل وقعت على وفق علمه وارادته من غير تبدل ولا تغير .

فالارادة من الصفات الثبوتية وهى فى اللغة القصد والطلب .

وفى اصطلاح علماء الكلام صفه ثبوتيه قديمة زائدة على الذات قائمة بها ، تخصص الممكن ببعض ما يجوز عليه من الأمور المتقابلة وذلك كالوجود والعدم .

وليست مهمة الارادة قاصرة على الايجاد والاعدام فحسب بل تتعدى ذلك الى بقية الممكنات كما أشار الى ذلك صاحب جوهرة التوحيد فقال :

الممكنات المتقابلات
وجودنا والعدم الصفات
أزمنة أمكنة جهات
كذا المقادير روى الثقات

ومعنى كونها متقابلات متنافيات ، فالوجود يقابل العدم وبالعكس .

وبعض الصفات يقابل بعضا فكونه أبيض مثلا يقابل كونه أسود ، وبعض الازمنة يقابل بعضا فكونه فى زمن الطوفان مثلا يقابل كونه فى زمن سيدنا محمد ﷺ ، وبعض

الامكنة يقابل بعضا فكونه فى مكان كذا كمصر يقابل كونه فى مكان غيره كالسعودية مثلا ، وبعض الجهات يقابل بعضا فكونه فى جهة المشرق يقابل كونه فى جهة المغرب ، وبعض المقادير يقابل بعضا فكونه طويلا مثلا يقابل كونه قصيرا (٢٠٢) ٠

هذا والارادة ثابتة لله تعالى بالدليل العقلى والنقلى ٠

أما الدليل العقلى : لو لم تجب له تعالى الارادة لكان مكرها ، ولو كان مكرها لما وجد شىء من هذا العالم ، لان ايجاد العالم لا يصح بدون الارادة ، لان المكره لا يقوى على فعل ما يريد ، لكن العالم موجود بالمشاهدة والعيان . فثبت كونه سبحانه متصفا بالارادة ، وضد الارادة الكراهية ، والكراهية مستحيلة على تعالى ٠

ومن الأدلة النقلية قوله تعالى « انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون » (٢٠٣) ٠

وقوله تعالى « ان ربك فعال لما يريد » (٢٠٤) وقوله تعالى « وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون » (٢٠٥) ٠

وقوله تعالى « ان الله يحكم ما يريد » (٢٠٦) وقوله تعالى « انما قولنا لشىء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون » (٢٠٧) ٠

---

(٢٠٢) انظر جوهرة التوحيد ص٧٩ ٠
(٢٠٣) سورة يس الآية رقم ٨٣ ٠
(٢٠٤) سورة هود الآية رقم ١ ٠
(٢٠٥) سورة القصص الآية رقم ٦٨ ٠
(٢٠٦) سورة المائدة الآية رقم ١ ٠
(٢٠٧) سورة النحل الآية رقم ٤٠ ٠

العلم

من الصفات الواجب اتصافه بها جل شأنه العلم ، وعلم الله سبحانه وتعالى شامل لجميع الازمنة ، والامكنة ، وان الأشياء والمعلومات كلها مكشوفة لديه سواء أكانت فى الماضى أو الحال أو المستقبل ولهذا تعرف صفة العلم بأنها صفة ثبوتية قديمة قائمة بذاته تعالى زائدة عليها متعلقة بجميع الواجبات ، والجائزات والمستحيلات على وجه الاحاطة على ما هى عليه من غير سبق خفاء ، أى تنكشف بها جميع الاشياء انكشافا تاما لم يسبق بخفاء ، وهذا الانكشاف يغاير الانكشاف بصفتى السمع ، والبصر ، فصفة العلم تحيط بكل موجود – واجبا كان ، أو جائزا وبكل معدوم مستحيل كان أو ممكنا ، فالله تعالى يعلم كل شئ على ما هو عليه فى الواقع ، وعلمه سبحانه وتعالى لم يسبق بجهل ولا يعتريه نسيان ولا يتقيد بزمان ولا مكان .

وعلمه تعالى بالكليات كعلمه بالجزئيات – وما يبدو فى الكون من نظام واتقان واحكام ما هو الا برهان ساطع على شمول علمه وكمال حكمته سبحانه وتعالى .

فعلم الله سبحانه وتعالى لا يتغير بتغير المعلوم ، فالله سبحانه وتعالى يعلم الشئ الموجود على ما هو عليه – فاذا تغير الموجود – وحصل له تغير لم يحصل لله علم جديد غير العلم القديم ، لان تغير العلم لا يليق بالله تعالى المحيط بكل ما كان ، وما قد يكون ، وما هو كائن ، فالله سبحانه وتعالى يعلم كل شئ قبل وجوده ، وبعد وجوده ، وحال وجوده بدرجة واحدة ، فالماضى ، والحاضر ، والمستقبل – أطوار

وتغيرات تحصل للمعلوم (٢٠٨) — ولا يترتب عليها تغير فى علم الله تعالى لان الله تعـــالى علم كل شىء فى الازل ، وكل ما يحدث ، فانه يحدث حسب علم الله الازلى ·

فعلم الله تعالى شامل لكل شىء اجمالا وتفصـــيلا ، كليا وجزئيا ، حسيا ومعنويا متناهيا وغير متناه ·

الدليل على ذلك :

أما الدليل العقلى : بعد ثبت [illegible] ان جميع الكائنات حادثة وأن محدثها هو الله تعـــالى ، وان من يتأمل فى هذه الكائنات يجد أنها قد اشتملت على نظام بديع وصنع عجيب وترتيب دقيق ، وأودع فى كل نوع منها خصـــائص ما جعله مستعدا لاداء ما خلق لاجله فى هذه الحياة ·· وكل فعل هذا شأنه يدل على أن فاعله عالم — فهذه الكائنات مع مااشتملت عليه تدل على أن فاعلها وهو الله عالم ·

ولزيادة الايضاح نقول : لو لم يكن الله تعالى عالما لكان جاهلا ولو كان جاهلا لما وجد العالم على هذا النظام البديع — وعدم وجود العالم على نظام بديع باطل بالمشاهدة فبطل ما أدى اليه وهو الجهل وثبت نقيضه وهو العلم له سبحانه وتعالى ·

هـذا وقـد جاء فى القرآن الكريم والســنة النبوية الصحيحة — الكثير من الآيات والأحاديث التى ثبت العلم له ســبحانه وتعالى منها قوله تعـــالى « وأسروا قولكم أو اجهروا به انه عليم بذات الصـــدور ألا يعلم من خلق وهو

---

(٢٠٨) الدكتـــور احمد ابو الســعادات — دراســات فى العقيدة الاسلامية ص٣٨٠ ·

اللطيف الخبير » (٢٠٩) وقوله تعالى « قل ان تخفوا ما فى صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ويعلم ما فى السموات وما فى الارض والله على كل شىء قدير » (٢١٠) وقوله تعالى « وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين » (٢١١) .

وروى الامام البخارى عن جابر رضى الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة فى الامر كما يعلمنا السورة فى القرآن يقول لنا : اذا هم أحدكم بالامر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم يقل : اللهم انى استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم ، فانك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ، ولا أعلم وأنت علام الغيوب ، اللهم ان كنت تعلم هذا الامر « يسميه بعينه » خيرا لى فى دينى ومعاشى ومعادى وعاقبة أمرى فاقدره لى ويسره لى وبارك لى فيه ، وان كنت تعلمه شرا لى فاصرفه عنى واصرفنى عنه واقدر لى الخير حيث كان فى عاجل أمرى وآجله » (٢١٢)

---

(٢٠٩) سورة الملك الآية رقم ١٣ ، ١٤ .

(٢١٠) سورة آل عمران الآية رقم ٢٩ .

(٢١١) سورة الانعام الآية رقم ٥٩ .

(٢١٢) الامام البخارى - صحيح البخارى - كتاب الدعاء عند الاستخارة جـ٨ ص ١٠٢ .

الحيـــاة

بت واضـــحا ان وجوده جل شأنه قد بلغ الغايه فى عظمته وآثاره فهو جل شأنه موجـود ويعطى الوجود لغيره عن ارادة واختيـــار وادراك ، فوجود كل حى منه . وليس وجوده من شىء بل وجوده من ذاته ، ولهذا فقد عرف العلماء صفة الحياة : بأنها صفة وجودية قديمة قائمة بذاته تعالى زائدة عليها ، تقتضى صحة اتصـــافه تعالى بنحو الارادة . والعلم ، والقدرة ، والسمع ، والبصر والكلام .

هذا وقد عرف الشيخ السنوسى الحياة بتعريف يشمل الحياة القديمة وهى الخاصة بذاته تعالى ، والحياة الحادثة وهى الخاصة بالمخلوقات فقال : هى صفة تصحح لمن قامت به أن يتصف بصفات-الادراك (٢١٣) .

وعرف بعضهم كلا منهما بتعريف يخصه فعرف الحياة القديمة وهى الخاصـــة بذاته تعالى : بأنها صـفة أزلية تقتضى صحة الاتصاف بغيره من الصفات الواجبة ـ وانما اقتصر على العلم لانه شرط فى غيره ، اذ القـدرة ، والارادة وغيرهما من الصـــفات لا تتحقق الا بالعلم ، فالعلم شرط فيها ، وجعل الحياة شرط فى الاتصاف بالعلم يســتدعى كونها شرطا فى الانصاف بالصـــفات الاخرى ، لان شرط الشرط شرط (٢١٤) .

هذا وعرف الحياة الحـــادثة بأنها كيفية يلزمها قبول الحس والحركة الارادية .

---

(٢١٣) انظر شرح البيجورى ص ٨٥ .

(٢١٤) المصدر السابق نفس المكان .

وعلى هذا فهناك فرق بين الحيـاتين : الحياة القديمة والحادثة .

١ - حياته جل شأنه بذاته أما حياة الحوادث فليست بذاتها .

٢ - حياته جل شأنه ليست بروح أما حيـاتنا فهى مرتبطة بالروح .

٣ - الحياة فى الممكن صفة طبيعية هى منشأ الحركة والحس أما حيـاته جل شأنه فهى تابعـة لذاته الكريمة المباينة لذوات الحوادث والممكنات .

الدليل على ثبوت الحياة لله تعالى :

الدليل النقلى قوله تعـالى « الله لا اله الا هو الحى القيـوم » (٢١٥) وقوله تعـالى « وتوكل على الحى الذى لا يموت » (٢١٦) وقوله تعالى « هو الحى لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العـالمين » (٢١٧) الى غير ذلك من الآيات فى هذا .

الدليل العقلى : لو لم يكن تعالى حيا لكان ميتا ، ولو كان ميتا لما صح اتصافه جل شأنه بصفات المعانى والتى هى ، العلم والقدرة ، والارادة وغيرها - لكن عدم اتصـافه سبحانه بصفات المعانى باطل - لانها ثابتة له سـبحانه

---

(٢١٥) سورة البقرة الآية رقم ٢٥٥ .
(٢١٦) سورة الفرقان الآية رقم ٥٨ .
(٢١٧) سورة غافر الآية رقم ٦٥ .

وتعالى بالادلة كما أشرنا الى ذلك فبطل ما أدى اليه - وهو كونه تعالى ميتا وثبت نقيضه وهو الحياة ٠

يقول الشيخ محمد الغزالى وهو يتحدث عن صفة الحياة (٢١٨) ، أطلق لخيالك العنان ، وتصور كل ما تنتجه الايدى « الحية » من أعمال ، وما تنشئه العقول « الحية » من افكا روما تهتز به الافئدة « الحية » من مشاعر ، واجعل هذا الخيال يضم أشتات ذلك من مشارق الارض ومغاربها ويستجمع ما حدث فى الاعصار الخالية ، وما يحدث اليوم وما سوف يحدث غدا - الى أن يرث الله الارض ومن عليها ٠

ان مظاهر هذه الحياة المفعمة بالقوة والانتاج ، لا تعد شيئا مذكورا بالنسبة الى الحياة الالهية الواسعة ، بل هى أثر ضئيل من أعمال الحى الذى لا يموت ، الحى الذى ينفخ من روحه فى الموات فيهتز وفى الجماد فيتحرك قال تعالى « ان الله فالق الحب والنوى يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ذلكم الله فانى تؤفكون » (٢١٩) ٠

---

(٢١٨) عقيدة المسلم ص٩٠ ٠

(٢١٩) سورة الانعام الآية رقم ٩٥ ٠

السمع

من صفات المعانى الواجب اتصاف الله تعالى بها صفة السمع ، وهى صفة وجودية قديمة قائمة بذاته تعالى زائدة عليها تنكشف بها الموجودات انكشافا يغاير الانكشاف بصفى العلم والبصر .

ومعنى هذه الصفة ان الله سبحانه وتعالى يسمع كل شئ ، « يسمع دبيب النملة السوداء على الصخرة الملساء فى الليلة الظلماء » فلا يشغله سماع عن سماع ولا يبعد عن سمعه شئ فى الأرض ولا فى السماء ، ولا يتوقف سمعه على آلة ومسافة وجهة ومقابلة من الشروط العادية بالنسبة للحوادث لانه مخالف لها . وهو سبحانه لا يسمع بجارحة ولا بأذن ولا بصماخ .

فسمعه سبحانه وتعالى مما يليق بذاته المقدسة فلا تشبه صفاته صفات الخلق كما لا تشبه ذاته ويتعلق سمعه بجميع الموجودات والدليل على ذلك قوله تعالى « قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى الى الله والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير » (٢٢١) وقوله تعالى « لا تخافا اننى معكما أسمع وأرى » (٢٢٢) .

أما الدليل العقلى فهو أنه تعالى لو لم يكن سميعا لكان أصما ، ولو كان أصما لكان ناقصا ، ولو كان ناقصا لكان

---

(٢٢٠) سورة النبأ الآية رقم ٥٨ .
(٢٢١) سورة المجادلة الآية رقم ١ .
(٢٢٢) سورة طه الآية رقم ٤٦ .

عاجزا والعجز عليه تعالى محـــال فبطل ما أدى اليه وهو الصمم وثبت نقيضه وهو السمع ٠

والذى يدل على أن صفة السمع صفة كمال ، والسميع أكمل ممن لا يسمع هو أن سيدنا ابراهيم عليه السلام اتخذ من فقد السمع موطن ذم للأصنام حين كان يندد بها قومه العابدين لها فقال « هل يسمعونكم اذ تدعون » (٢٢٣) وقوله « يأبت لم تعبــد ما لا يســمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا » (٢٢٤) فدل ذلك على أن المودع فى الفطر أن من شأن الاله أن يكون سميعا يجيب من دعاه ويســمع نجوى من ناجاه ٠

---

(٢٢٣) سورة الشعراء الآية رقم ٧٢ ٠

(٢٢٤) سورة مريم الآية رقم ٤٢ ٠

البصـــر

من الصفات الواجب اتصافه بها جل شأنه صفة البصر، وهى صفة وجودية قديمة قائمة بذاته تعـالى وزائدة عليها تنكشف بها جميع الموجودات انكشافا تاما يغاير الانكشاف بصفتى العلم والسمع .

وكما أن الحق جل شأنه يسمع كل شئ فهو يرى كل شئ فالرؤية الالهية تستـــوعب جميع الحركات من جميع الجهات فى وقت واحد ، وأنها غير محجوبة بظلام أو ببعد مسافة ، فالله يرى المخلوقات جميعها فى وقت واحد لا تشغله رؤية عن رؤية ، وبصره تعـــالى لا يشـــبه فى شئ بصر مخلوقاته ، فهو لا يرى بحدقة ، وانما له جل شأنه بصر يليق بذاته جل شأنه - هذا ويتعلق بصره بجميع الموجودات كما يتعلق السمع .

الدليل :

الدليل العقلى قوله تعـــالى « وأن تعفو أقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم ان الله بما تعملون بصير » (٢٢٥) وقوله تعـــالى « له غيب الســـموات والأرض أبصر به وأسمع » (٢٢٦) وقوله تعالى « وهو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن والله بما تعملون بصير » (٢٢٧) .

أما الدليل العقلى : فلو لم يكن الله تعالى بصيرا لكان أعمى ، ولو كان أعمى لكان ناقصـا ، ولو كان ناقصـا لكان

---

(٢٢٥) سورة البقرة الآية رقم ٢٣٧ .
(٢٢٦) سور الكهف الآية رقم ٢٦ .
(٢٢٧) سورة التغابن الآية رقم ٢ .

عاجزا عن دفع النقص عنه ، والعجز على الله محـــال فبطل ما أدى اليه وثبت نقيضه وهو البصر ٠

ولذلك يقول الامام الأشعرى أنه تعالى لما كان لم يزل حيا ، فهو لم يزل سميعا بصيرا ، لانه لو كان لم يزل حيـا وهو غير سميع ولا بصير ، لكان لم يزل موصـــوفا بضد السمع من الصمم والآفات ، وبضد البصر من العمى والآفات وهو محال عليه تعالى فصح أنه لم يزل سميعا بصيرا (٢٢٨)

---

(٢٢٨) الامام الاشعرى اللمع ص ٢٦ ٠

الكــلام

من صفات المعانى ــ الكلام ، فالله ســبحانه وتعالى متصف بصفة الكلام فمن صفاته أنه جل شأنه متكلم ، آمر ناه ، واعد ــ بكلام أزلى قديم قائم بذاته ، فلا يشبه كلامه كلام الخلق كما لا تشبه ذاته ذات الخلق .

والكلام : صفة وجودية ، قديمة قائمة بذاته تعـالى . وزائد عليها منزهة عن الترتيب والتقديم والتأخير ، تـدل على جميع الواجبات والمسـتحيلات ، والجائزات ، منزهة عن السكوت النفسى والآفة الباطنية .

وتدل صفة الكلام أيضا على الامر بالطـاعات ، وعلى النهى عن المحرمات ، وعلى الوعـد بالثواب للمطيع ، وعلى الوعيد بالعقاب للعـاصى ، وعلى الاخبـار بجميع ما كان وما يكون ، وعلى أن الله هو الاله ، الواحد ، القاهر ، القادر العالم ، المتصف بكل كلام ، والمنزه عن كل نقص ، المختـار فى جميع شئونه ، وأنه الخالق لجميع الكائنـات ، وأن لله رسلا ، وأنبياء وملائكة ، وكتبا ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن هناك بعثا ، وحشرا ، وحساب ، وجنة ، ونارا ، وثوابا ، وعقابا .

فكلام الله تعالى هو ما أوحاه الى رسـله الكرام كى يبلغوه للبشر مشتملا على ما فيه سعادتهم فى شئون معاشهم ونجاتهم يوم يلقون الله تعالى فى الدار الآخرة .

هذا وقد وقع خلاف كبير حول صـفة الكلام ــ هل هو قديم قدم الذات الالهية التى صدر عنها هذا الكلام ؟ أم حادث مخلوق ؟

هذا هو جوهر مشكلة صـــفة الكلام والتى لعبت دورا هاما فى الفكر الاسلامى حتى أنهم ســموا علم العقائد علم الكلام ٠

وكان مدار الخلاف كما قلنا هو بيان حقيقة الكلام :

فأهل السنة يرون أن الله تعالى متصف بصفة الكلام ، الذى هو صفة أزلية قائمة بذاته تعـــالى ليست بحرف ولا صوت ، منزهه عن التقدم والتأخر ، ومنزهه عن السكوت النفسى وعن الآفة الباطنية ٠

فهو يطلق كذلك على المعنى القائم بالنفس الذى يعبر عنه بهذه الالفـــاظ ويسمى الكلام النفسى يقول جل شأنه « ويقولون فى أنفسهم لولا يعذبنـــا الله بما نقول » (٢٢٩) ويقول سبحانه وتعـــالى « وأسروا قولكم أو اجهروا به انه عليم بذات الصدور » (٢٣٠) ٠

ومن ذلك قول الأخطل التغلبى :

لا يعجبنك من خطيب خطبة
حتى يكون مع الكلام أصيلا
ان الكلام لفى الفؤاد وانما
جعل اللسان على الفؤاد دليلا

ان المقصود من كلام أهل السنة الكلام النفسى الذى هو صفة قائمة بذاته سبحانه كبقية صفات المعانى ٠

---

(٢٢٩) سورة المجادلة الآية رقم ٨ ٠
(٢٣٠) سورة الملك الآية رقم ١٣

هذا وتتعلق صفة الكلام بأنواع الحكم العقلى الثلاثة ، الواجب ، المستحيل الجائز ، وذلك لتعبر عن حكم كل منها وهى صفة واحدة لا تعدد فيها الا أن هذه الصفة لها أقسام اعتبارية من حيث متعلقـــاتها فاذا تعلقت بطلب فهى أمر ، وان تعلقت بمنع فهى نهى ، وان تعلقت بالاخبار فهى خبر ، وبالتبشير والانذار فهى وعد ووعيد .

ومن الذين خالفوا أهل السنة على هذا المعتزلة وقصروا الكلام بالحروف والاصـــوات الحادثة أى الكلام اللفظى ، ونفوا أن يكون الكلام بهذا المعنى وصفا لله لانه ســـبحانه لا يتصف بالحوادث وانما المقصود أنه خالق الكلام .

ومن المخالفين لاهل السنة أيضا : الكرامية ، والحنابلة قالوا ان كلام الله تعالى هو الحروف والاصوات المتوالية وهى فى رأيهم قديمة .

هذا ويرى صاحب شرح الطحاوية أن الناس فى مسألة الكلام على تسعة أقوال وهى :

احـــدها : أن كلام الله هو ما يفيض على النفـــوس من المعانى ، اما من العقل الفعال عند بعضهم أو من غيره - وهذا قول الصابئة والمتفلسفة .

ثانيها : أنه مخلوق خلقه الله منفصلا عنه - وهذا قول المعتزلة .

ثالثهـــا : أنه معنى واحد قائم بذات الله ، هو الامر ، والنهى ، والخبر ، والاستخبار ، وان عبر عنه بالعربية كان

قرآنا ، وان عبر عنه بالعبرانية كان توراة - وهذا قول ابن كلاب ومن وافقه كالاشعرى وغيره ·

رابعها : أنه حروف وأصوات أزلية مجتمعة فى الأزل - وهذا قول طائفة من أهل الكلام وأهل الحديث ·

خامسها : أنه حروف وأصوات ، لكن تكلم الله بها بعد أن لم يكن متكلما - وهذا قول الكرامية وغيرهم ·

سادسها : أن كلامه يرجع الى ما يحدثه من علمه ، وارادته ، القائم بذاته وهذا يقوله صاحب المعتبر ، ويميل اليه الرازى فى المطالب العالية ·

سابعها : أن كلامه يتضمن معنى قائما بذاته هو ماخلقه فى غيره - وهذا قول أبى منصور الماتريدى ·

ثامنها : أنه مشترك بين المعنى القديم القائم بالذات ، وبين ما يخلقه فى غيره من الاصوات ، وهذا قول أبى المعالى ومن اتبعه ·

تاسعها : أنه تعالى لم يزل متكلما اذا شاء ومتى شاء وكيف شاء وهو يتكلم به بصوت يسمع ، وأن نوع الكلام قديم وان لم يكن الصوت المعين قديما - وهذا المأثور عن أئمة الحديث والسنة (٢٣١) ·

ثم قال صاحب الطحاوية أيضا وللناس فى مسمى الكلام عند الاطلاق أربعة أقوال :

---

(٢٣١) الامام ابن أبى العز شرح الطحاوية ص١١٣ ·

احدها : أنه يتناول اللفظ والمعنى جميعـــا كما يتناول لفظ الانسان الروح والبدن معا - وهذا قول السلف .

الثانى : اسم « اللفظ » فقط والمعنى ليس جزء مسماه بل هو مدلول مسماه - وهذا قول جماعة من المعتزلة وغيرهم .

الثالث : أنه اسم للمعنى فقط واطلاقه على اللفظ مجاز لانه دال عليه - وهذا قول ابن كلاب ومن اتبعه .

الرابع : أنه مشـــترك بين اللفظ والمعنى - وهذا قول بعض المتأخرين من الكلابية ، ولهم قول خامس - يروى عن أبى الحسن - أنه مجاز فى كلام الله حقيقة فى كلام الادميين - لان حروف الآدميين تقوم بهم فلا يكون الكلام قائما بغير المتكلم بخـــلاف كلام الله فانه لا يقوم عنده بالله فيمتنع أن يكون كلامه (٢٣٢) .

بعد عرضنا لهذه الآراء نرى أن الرأى المختار هو الرأى القائل بأن الكلام صفة وجودية قديمة قائمة بذات الله تعالى وزائدة عليها وطريقة ايصال الله تعالى كلامه للملك أو للنبى أو لغيرهمـــا نحن لا نعلمهـا لعدم ورود ما يدل عليها ، ولا يشرحها من الادلة الصحيحة - وهى كغيرها من الصـفات الكمالية الالهية التى أثبتها سبحانه لذاته ، والتى لايمكننا الوصول الى العلم بحقائقها - كما أنها لا تشبه كلام الناس فى شىء مثلها فى ذلك مثل جميع صفات الله تعالى وما خالف هذا فهو مردود عنـــدنا (٢٣٣) لان الرأى الذى اخترناه هو رأى أهل السـنة والجماعة - وهو ما عليه سلف الامة ومن سار على نهجهم من خلفهم الاخيار .

---

(٢٣٢) المصدر السابق ص ١٢٩ ، ١٣٠ .

(٢٣٣) الدكتـور احمد ابو السـعادات - دراسـات فى العقيدة الاسلامية ص ٤٢٩ .

الأدلة على ثبوت الكلام لله تعـالى

من الادلة النقلية على ثبوت الكلام لله تعـالى قوله جل شأنه « وكلم الله موسى تكليما » (٢٣٤) وقوله تعالى « وماكان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسـل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء انه عليم حكيم » (٢٣٥) ٠

وقوله تعالى « ولو انما فى الأرض من شـجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ان الله عزيز حكيم » (٢٣٦) ٠

فكلامه جل شأنه لا يدخل تحت الحد والاحصاء والحصر والعد ، فالنظم القرآنى الشريف دال على صفة الكلام ٠

أما الدليل العقلى هو أنه تعالى لو لم يتصف بصـفة الكـلام لاتصف بالبكم ، والبكم نقص ، والنقص على الله محال ، فاستحال ما أدى اليه وهو البكم وثبت نقيضه وهو الكلام ٠

---

(٢٣٤) سورة النساء الآية رقم ١٦٤ ٠

(٢٣٥) سورة الشورى الآية رقم ٥١ ٠

(٢٣٦) سورة لقمان الآية رقم ٢٧ ٠

الفصل الرابع

العدالة الإلهية

توطئـــة :

أشرنا فيما سبق الى كثير من مظـاهر التدبير الالهى لامر الكائنات جميعا ، فقد أحاط الله بالكون علما ، وقدرة ، وارادة ومشيئة ، فكذلك ينبغى أن يخضع الناس لامر الله تعالى وشرعه ، فقد أحاط بهم أيضا علما وقدرة قال تعـالى « يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون » (١) وقوله تعالى « ألا له الخلق والأمر » (٢) .

فواحدانية الله تعالى التى تقتضى هيمنة الله على خلقه تدبيرا ورعاية تقتضى أيضا عبودية خلقه له تعالى بالانقياد لامره ، واتباع شرعه وحده جل شأنه ، كما تحقق للانسان كيانه ، فهى لا تتركه يسير بغير انضباط ، أو يتوجه لغير غاية ، أو يضرب بلا رقابة ، أو يتحرك فى غير سلوك محدد أو يعمل وهو غير مؤمن بالحســـاب ، فهى قائمة على قاعدة العمل والجزاء والشـــعور بالمسئولية تجاه نفسه وتجاه الآخرين قال تعـــالى « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » (٣) .

وبالنظر الى حكمة الله تعالى فى خلقه وتدبيره لشئون عباده يلاحظ أن أمور العالم كلها ، سواء أكانت فى نفوس الناس أو ما حولها فى الكون تجرى وفق عدالة الله البالغة ومشيئته الحكيمة ، فالعدل وضع الشىء فى موضعـــه ، وهو التصرف فى الملك على مقتضى المشيئة والعلم .

---

(١) سورة الانعام الآية رقم ٣ .
(٢) سورة الاعراف الآية رقم ٧ ، ٨
(٣) سورة الزلزلة الآية رقم ٥٤ .

يقول الشهرستاني ، وأما العدل ، فعلى مذهب أهل السنة ان الله تعالى عدل في أفعاله ، بمعنى انه منصرف في ملكه ومليكه ، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد (٤) ٠

فهو جل شأنه حكيم في جميع أفعاله ، وحقيقة الحكمة في أفعاله سبحانه وتعالى وقوعها موافقة لعلمه وارادته ، وهو الحكمة في أفعال الحكماء في الشاهد ، لان من فعل فعلا لا يقع على موافقة ارادته ـ يقال أنه لم يرتبه على حكمة منه فيه ، فاذا حصل مراده فيه يقال انه حكيم في فعله ، ولايمكن أن يقال في شيء من أفعاله أنه كان ينبغي أن يوقعه على خلاف ما أوقعه ، لانه يتصرف في ملكه ومن تصرف في ملكه لم يتقرو عليه الاعتراض في فعله (٥) قال تعالى « لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون » (٦) وقال تعالى « وكان الله بكل شيء عليما » (٧) ٠

فعلمه جل شأنه عام في جميع المعلومات ، وقدرته عامة في جميع المقدورات وارادته عامة في جميع الارادات ، علمها على ما هي عليه ، وأراد أن يكون ما علم أن يكون ، وأراد أن لا يكون ما علم أن لا يكون ، ولا يجرى في مملكته ما لا يريد كونه (٨) ٠

فالاسلام دين تطابق تكاليفه للانسان فطرة هذا الانسان ، بحيث تعمل جميع الطاقات الانسانية عملها الذى

---

(٤) الشهرستاني ـ الملل والنحل جـ١ ص٤٢ ٠
(٥) الاسفرايني ـ التبصير في الدين ص١٠٣ ٠
(٦) سورة الأنبياء الآية رقم ٢٣ ٠
(٧) سورة الاحزاب الآية رقم ٤٠ ٠
(٨) الاسفرايني ـ التبصير في الدين ص١٠١

خلقت من أجله ، فالاسلام دين للواقع ، والحركة والعمل ، بحيث يبلغ الانسان كماله الانسانى المقدر له عن طريق العمل والحركة (٩) .

من هنا نلاحظ أن القرآن الكريم قد ربط ربطا قويا بين عقيدة التوحيد وبين مقتضياتها فى الضمير والحياة والحركة ، فكان من العقائد التى أسست عليها الاسلام على الايمان بالله عز وجل - عقيدة الايمان بالقضاء والقدر .

والايمان بالقدر - هو الايمان بتقدم علم الله تعالى لكل ما كان وما هو كائن وما سيكون ، وأنه جل شأنه قد كتب كل شئ فى كتاب محفوظ ، وأنه لا يقع شئ الا بمشيئته تعالى ، وارادته ، وأنه تعالى رب كل شئ وخالقه ، فلا رب غيره ، ولا خالق سواه ، ولا مدبر الا هو ، وقد نص على ذلك قوله تعالى « الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الارحام وما تزداد وكل شئ عنده بمقدار عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال » (١٠) وقوله تعالى « وكل شئ أحصيناه فى امام مبين » (١١) وقوله تعالى « ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم الا فى كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير » (١٢) .

الى غير ذلك من الآيات الكثيرة فى هذا المقام ، ولهذا سوف نقصر حديثنا على القرآن الكريم دون التعرض لآراء الفرق أو غيرهم .

---

(٩) الاستاذ سيد قطب - خصائص التصور الاسلامى ص١٨٠ .
(١٠) سورة الرعد الآية رقم ٨ ، ٩ .
(١١) سور يس الآية رقم ١٢ .
(١٢) سورة الحديد الآية رقم ٢٢

أولا : القضاء فى القرآن الكريم :

كما لفت القرآن الكريم العقول الى دلائل وحدانية الله تعالى فى الكون والانسان والنبات والحيوان وغير ذلك ، لفتها كذلك الى قضاء الله تعالى فى الكون والانسان وغير ذلك ، فالقضاء : هو علم الله تعالى المتعلق بالكل على النظام الاكمل الذى يكون فى الوجود (١٣) قال تعالى « بديع السموات والأرض واذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون » (١٤) يقول الامام القرطبى أى اذا أراد احكامه واتقانه كما سبق فى علمه - قال له كن - قال ابن عرفة : قضاء الشىء أحكامه وامضاؤه والفراغ منه ، ومنه سمى القاضى : لانه اذا حكم فقد فرغ مما بين الخصمين .

وقال الأزهرى : قضى فى اللغة على وجوه : مرجعها آلى انقطاع الشىء وتمامه :

قال الشماخ فى عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

قضيت أمورا ثم غادرت بعدها
بوائق فى أكمامها لم تفتق

قال العلماء : قضى : لفظ مشترك ، يكون بمعنى الخلق قال الله تعالى « فقضاهن سبع سموات فى يومين » (١٥) أى خلقهن ، وعلمهن وصنعهن وأحكم خلقهن ، ويكون بمعنى الصنع والتقدير قال تعالى « فاقض ما أنت قاض » (١٦) .

---

(١٣) الاستاذ عبد الكريم الخطيب - القضاء والقدر ص ١٥٠ .
(١٤) سورة البقرة الآية رقم ١١٧ .
(١٥) سورفة فصلت الآية رقم ١٢ .
(١٦) سورة طه الآية رقم ٧٢ .

قال ابن عباس ، فاصنع ما أنت صانع وقيل فاحكم ما أنت حاكم ، أى من القطع والصلب (١٧) .

ويكون بمعنى الاعلام قال تعالى « وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب » (١٨) أى أعلمنا ، ويكون بمعنى الامر قال تعالى « وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه » (١٩) ويكون بمعنى الالزام وامضاء الاحكام ، ومنه سمى الحاكم قاضيا قال تعالى « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » (٢٠) .

ويكون بمعنى توفية الحق قال تعالى « فلما قضى موسى الآجل » (٢١) .

ويكون بمعنى الارادة كقوله تعالى « واذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون » ، أى اذا أراد خلق شىء ، قال ابن عطية « قضى » معناه « قدر » وقد يجىء بمعنى أمضى ، يقول القرطبى ويتجه فى هذه الآية المعنيان على مذهب أهل السنة قدر فى الازل وأمضى فيه (٢٢) ويكون أيضا بمعنى يبرم كما فى قوله تعالى « ليقضى الله أمرا كان مفعولا » (٢٣) وقوله

---

(١٧) الامام القرطبى الجامع لاحكام القرآن جـ١١ ص ٢٢٩ .
(١٨) سورة الاسراء الآية رقم ٤ .
(١٩) سورة الاسراء الآية رقم ٢٣ .
(٢٠) سورة النساء الآية رقم ٦٥ .
(٢١) سور القصص الآية رقم ٢٩ .
(٢٢) الامام القرطبى ـ الجامع لاحكام القرآن جـ٢
(٢٣) سورة الانفال الآية رقم ٤٢ .

تعالى « وكان أمرا مقضيا » (٢٤) ، أى وكان امرا مبرما من الله وحكما قد حكم بوجوده ، ويكون أيضا بمعنى العهد كما فى قوله تعالى « وما كنت بجانبى الغربى اذ قضينا الى موسى الامر » (٢٥) ويكون أيضا بمعنى الحكم كما فى قوله تعالى « والله يقضى بالحق ، والذين يدعون من دونه لا يقضون بشىء » (٢٦) .

لذلك يقول الإمام ابن منظور فى لسان العرب مادة « قضى » : القضاء : الحكم ، يقال : قضى ، يقضى ، قضاء فهو قاض ، اذا حكم وفصل ، وقضاء الشىء احكامه وامضاؤه والفراغ منه ، فيكون بمعنى الخلق .

قال الزهرى : القضاء فى اللغة على وجوه : مرجعها الى انقطاع الشىء وتمامه ، وكل ما أحكم عمله او أتم ، أو ختم ، أو أدى ، أداء ، أو أوجب ، أو علم ، او انفذ ، او امضى .

فقد قضى ، قال وقد جاءت هذه الوجوه فى الحديث ، ومنه القضاء المقرون بالقدر .

والمراد بالقدر : التقدير ، وبالقضاء الخلق ، كقوله تعالى « فقضاهن سبع سموات » أى فخلقهن ، فالقضاء والقدر أمران متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر ، لان أحدهما بمنزلة الاساس ، وهو القدر والآخر بمنزلة البناء ، وهو القضاء فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه .

---

(٢٤) سورة مريم الآية رقم ٢١ .
(٢٥) سورة القصص الآية رقم ٤٤ .
(٢٦) سورة غافر الآية رقم ٢٠ .

والقضاء الحتم والامر ، وقضى : أى حكم ، ومنه القضاء والقدر وقوله تعـالى « وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه » اى أمر ربك وحتم ، وهو أمر قاطع حتم قال تعالى « فلما قضينا عليه الموت » .

وقضى فى اللغـة على ضروب كلها تـرجع الى معنى انقطاع الشىء وتمـامه ومنه قوله تعالى « ثم قضى أجلا » معناه ثم حتم بذلك وأتمه ومنه الاعلام ومنه قوله تعـالى « وقضـينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب » أى أعلمناهم اعلاما قاطعا ، ومنه القضـاء للفصل فى الحكم وهو قوله « ولولا أجل مسمى لقضى بينهم » أى لفصـل الحكم بينهم ومثل ذلك قولهم قد قضى القاضى بين الخصـوم ، أى قطع بينهم فى الحكم .. فكل ما أحكم فقد قضى (٢٧) .

وهكذا نلاحظ أن الذى ينظر الى المعـانى التى ذكرها الامام القرطبى وابن منظور يجد أنها جميعـا تنزع منزعا واحدا ، وتلتقى عند معنى واحد ، وهو الفصل ، أو الحسم ، أو الانجاز .

فالامر ، والخلق ، والحكم ، والفراغ ، والارادة ، والعهد كلها تنبىء عن حسم الامر وانجازه .

فأمر الله لا يقع الا ومعه الحسم والانجاز ، وكذلك خلقه وحكمه ، وارادته وعهده كلها تقع فى حسم وانجاز (٢٨) .

---

(٢٧) الامـام ابن منظور لسـان العـرب ـ المجلد الرابـع ص ٣٦٦٥ ـ ٣٦٦٦ .

(٢٨) الاستاذ عبد الكريم الخطيب ـ القضـاء والقدر بين الدين والفلسفة ص ١٤٩ .

وقد وردت أحاديث كثيرة عن الرســول ﷺ تشير الى معنى القضاء من ذلك ما روى عن سعد بن أبى وقاص : قال : قال : رسول الله ﷺ عجبت من قضاء الله سبحانه للمؤمن ٠ ان أصابه خير حمد ربه وشكر ، وان أصابته مصيبه حمد ربه وصبر ، المؤمن يؤجر فى كل شىء » (٢٩) ٠

فعلى ضوء ما تقدم من المعانى لكلمة القضـاء نلاحظ أن لفظ القضاء قد جاء فى كتاب الله تعالى وسنة رســوله ﷺ بمشـــتقاته لا بلفظه ، وعليه نجد أن هذا اللفظ من الالفاظ المشتركة المتنوعة ، الا أن الذى ينظر الى معانى هذه الكلمة يلاحظ أنها جميعهـــا تنزع منزع واحد وتلتقى عنـد معنى واحد ، وهو الفصـل ، أو الحسم ، أو الانجاز ، فأمر الله لا يقع الا ومعه الحسم والانجـــاز ، وكذلك خلقه ، وحكمه ، وارادته وعهده ، كلها تقع فى حسم وانجاز ٠

ثانيا : القدر فى القرآن الكريم :

يقول الامام ابن منظور فى لســان العرب مادة « قدر » القدير ، والقادر من صفات الله عز وجل ، يكونان من القدرة، ويكون من التقـــدير ، وقوله تعالى « ان الله على كل شىء قدير » ٠

من القـــدرة ، فالله عز وجل على كل شىء قـدير ، والله سبحانه وتعالى مقدر كل شىء وقاضيه ٠٠

يقول ابن الأثير : فى أســـماء الله تعـــالى ، القادر ، والمقتدر ، والقدير ، فالقادر اسم فاعل من قدر يقدر ، والقدير

---

(٢٩) الامام الحافظ الهيثمى ـ مجمع الزوائد وطبع الفوائد ـ باب قضاء الله سبحانه للمؤمن جـ٧ ص٢٠٩ ٠

فعيل منه وهو للمبالغة ، والمقتدر مفتعـــل من اقتـــدر وهو أبلغ يقول الليث وهو ينقل عن التهذيب : القدر : القضـــاء الموفق ، يقال قدر الاله كذا تقديرا ، واذا وافق الشيء ، الشيء قلت : جاءه قدره - يقول ابن سيده ، القدر والقدر : القضاء والحكم وهو ما يقدره الله عز وجل من القضاء ويحكم به من الامور - قال الله عز وجل « انا أنزلنـــــاه فى ليلة القدر » أى الحكم كما قال تعالى « فيها يفرق كل أمر حكيم » .

قال : أبو منصور : وتقدير الله الخلق - تيســـيره كلا منهم لما علم أنهم صائرون اليه من السعادة والشقاء ، وذلك أنه علم منهم قبل خلقه اياهم ، فكتب علمه الازلى السابق فيهم وقدره تقديرا ، وقدر عليه ، وفى حديث الاســـتخارة « اللهم انى استقدرك بقدرتك » أى أطلب منك أن تجعل لى عليه قدرة ، وقدر الرزق يقدره ، قسمة (٣٠)

وتأتى كلمة القدر ويقصـــد بها العلم فى الازل والحتم والحتم فى الانجاز كما جاء فى قوله تعـــالى « انا كل شيء خلقناه بقدر » (٣١) .

فالمولى عز وجل هو الذى قدر الاشياء ، أى علم مقاديرها وأحوالها وأزمانها قبل ايجادها ، ثم أوجد منها ما سبق فى علمه أنه يوجده على نحو ما سبق فى علمه ، فلا يحدث حدث فى العالم العلوى والسفلى الا وهو صـــادر عن علمه تعالى وقدرته وارادته دون خلقه ، وأن الخلق ليس لهم فيها الانوع

---

(٣٠) الامام ابن منظور - لسان العرب مادة قدر المجلد الرابع ص ٣٥٤٥ - ٣٥٤٨ نشر مكتبة الصحابة بطنطا دون تاريخ .
(٣١) سورة القمر الآية رقم ٤٩ .

اكتسباب ومحاولة ونسبة واضافة ، وأن ذلك كله انما حصل لهم بتيسير الله تعالى وبقدرته وتوفيقه والهامه (٣٢) ، كما جاء فى قوله تعالى « وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر » (٣٣) أى على أمر قد علم فى سابق علم الله تعالى كما جاء فى قوله تعالى « فأنجيناه وأهله الا أمرأته قدرناها من الغابرين » (٣٤) وقوله تعالى « الاءال لوط انا لمنجوهم أجمعين الا أمرأته قدرنا انها لمن الغابرين » (٣٥) .

فمعنى القدر الذى جاء فى الآيتين السابقتين ، التقدير الذى كان فى علم الله تعالى وتحقق وقوعه وانجازه كما جاء فى قوله تعـــالى « وكان أمر الله قدرا مقدورا » (٣٦) فمعنى « قدرا » هنـــا : أى أمرا جرى تقـــديرا فى الازل ، ومعنى « مقدورا » أى حتمى الوقوع والانجاز ، وهذا المعنى قد جاء فى قول الله تعالى « فلبثت سنين فى أهل مدين ثم جئت على قدر يا موسى » (٣٧) .

قال محمد بن كعب : ثم جئت على القدر الذى قدرت لك أن تجىء فيه ، أى جئت فى الوقت الذى أردنا ارسالك فيه وقال الشاعر :

نال الخـــلافة أو كانت له قدرا
كما أتى ربه موسى على قـــدر

---

(٣٢) القرطبى ـ التفسير ج١٧ ص ١٤٨ .
(٣٣) سورة القمر الآية رقم ١٢ .
(٣٤) سورة النمل الآية رقم ٥٧
(٣٥) سورة الحجر الآية رقم ٥٩ ، ٦٠ .
(٣٦) سورة الاحزاب الآية رقم ٣٨ .
(٣٧) القرطبى ـ التفسير ج١١ ص ١٩٨ .

وتأتى كلمة القدر بمعنى التقدير أى القسمة قال تعالى « وقدر فيها أقواتها » (٣٨) .

قال عكرمة والضحاك : معنى قدر فيها أقواتها أى أرزاق أهلها وما يصلح لمعايشهم من التجارات والاشجار والمنافع فى كل بلدة ما لم يجعله فى الاخرى ليعيش بعضهم من بعض بالتجارة والاسفار من بلد الى بلد (٣٩) .

وهذا المعنى أى التقدير ووضع الشىء فى موضعه المناسب ورد فى قوله تعالى «وخلق كل شىء فقدره تقديرا» (٤٠) وقوله تعالى « والذى قدر فهدى » (٤١) وغير ذلك مما جاء فى كتاب الله تعالى .

أما فى السنة النبوية الشريفة ففيها أحاديث كثيرة توجب الايمان بالقدر وتبين أن الحق تبارك وتعالى قد قدر فى علمه الازلى أقدار تتحقق كما شاء لها وقدر من ذلك : حديث سيدنا جبريل عليه السلام قال : يا رسول الله ما الايمان ؟ قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتابه ولقائه ورسله وتؤمن بالبعث وتؤمن بالقدر كله .. » (٤٢) .

ومن ذلك أيضا : وصية عبادة بن الصامت لابنه حيث قال : يابنى : اتق الله ، واعلم أنك لن تتقى الله حتى تؤمن

---

(٣٨) سورة فصلت الآية رقم ١٠ .

(٣٩) القرطبى - التفسير جـ١٥ ص ٣٤٣ .

(٤٠) سورة الفرقان الآية رقم ٣ .

(٤١) سورة الاعلى الآية رقم ٣ .

(٤٢) الامام مسلم - صحيح كتاب الايمان - باب الايمان ما هو وبيان خصاله .

بالله وتؤمن بالقدر كله خيره وشره ، وان مت على غير هذا دخلت النار ، انى سمعت رســـول الله ﷺ يقول : « ان أول ما خلق الله القلم ، فقـــال له اكتب قال : ما أكتب ؟ قال : أكتب القدر ، فكتب ما كان وما هو كائن الى الابد » (٤٣) ٠

وعلى هذا فالقدر الذى جاء فى القرآن الكريم والحديث الشريف هو الذى يجب الايمان به ، فمن لم يؤمن بالقدر فقد دخل فيمن يخاصم ربه تعالى فى قدره ، فقد روى - الامام مسلم فى صـــحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : جاء مشركو قريش يخاصـمون رســـول الله ﷺ فى القدر فنزل قوله تعالى « ان المجرمين فى ضلال وسعر يوم يسحبون فى النار على وجوههم ذوقوا مس ســـقر انا كل شىء خلقنـــاه بقدر » (٤٤) ٠

العمل بين الله والانسان

ان النظر فى هــذه المسألة يكون من منطلق الايمـــان بالقدر ، لان الايمان بالقدر مرتبط بالعقيدة ، أما النظر في أعمـــال الانســـان فهو مرتبط بالاحكام الشرعية ، كالاوامر والنواهى ، والحلال والحرام ٠

لان ما كان للاصول فهو للاصـــول كالايمان بالقدر ، وما كان للفروع فهو للفروع كأعمال الانسان ٠

---

(٤٣) الامـــام احمد - المســند جـ٥ ص ٢١٧ - ورواه ابو داود والترمذى فى سننهما ٠

(٤٤) سورة القمر الآيه رقم ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ٠

وقد سبق أن بينا أن علم الله سبحانه وتعالى عام فى جميع المعلومات ، وأن قدرته عامة فى جميع المقدورات ، وارادته عامة فى جميع الارادات علمها على ما هى عليه وأراد أن يكون ما علم أن يكون ، وأراد أن لا يكون ما علم أن لايكون (٤٥) مصدقا لقوله تعالى « انما قولنا لشىء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون » (٤٦) .

ويعلق أحد مفكرينا على النص السابق قائلا ، ومعنى هذا أنه لا يجرى فى العالم العلوى أو السفلى ، عالم الملائكة أو الانسان أو الحيوان ، أو الطبيعة ، عمل ما الا بارادته ، وقدرته ، فهو قادر على كل شىء ، وأى من خلقه لا قدرة حقيقية له بجوار قدرته تعالى .

واذا كان الانسان أرقى الموجودات التى خلقها الله تعالى ، فقد امتاز بالعقل والفكر والادراك ـ وهو بذلك مسئول عن كل ما يصدر عنه من قول أو فعل أو عمل ، انه مسؤول بما نيط به من تكليف ، ومصدر هذا التكليف من عند الله تعالى ، الذى خلقه وميزه عما سواه بالعقل والفكر والادراك

والله سبحانه وتعالى حين خلق الانسان وكلفه ، انما ألزمه من الاعمال والافعال ما يقدر عليه ويطيقه فقال تبارك وتعالى « لا يكلف الله نفسا الا وسعها » (٤٨) .

---

(٤٥) الاسفراينى ـ التبصير فى الدين ص١٠١ .

(٤٦) سورة النحل الآية رقم ٤٠ .

(٤٧) الدكتور محمد يوسف موسى ـ القرآن والفلسفة ص١١١ ، ١١٢ .

(٤٨) سوررة البقرة الآية رقم ٢٨٦ .

التكليف هو الامـر بمـــا يشق عليه ؛ وتكلفت الامـر
ـجشمته ، والوسع ، الطاقة والجدة ، يقول الامام القرطبى:
ـص الله تعالى على أنه لا يكلف العباد من وقت نزول الآية
ـباده من أعمال القلب أو الجوارح الا وهى فى وسع المكلف
وفى مقتضى ادراكه وبنيته (٤٩) ، لهذا يقول القائل (٥٠) :

ما كلف الله نفســـا فوق طاقتها
ولا تجود يـد الا بمـــا تجـد

وقوله تعالى : « لا نكلف نفسا الا وسعها » (٥١) وقوله
تعالى « ولا نكلف نفســا الا وسعها ولدينــا كتاب ينطق
بالحق » (٥٢) وقـوله تعـالى « لا يكلف الله نفســا الا مـا
أتاها » (٥٣) ٠

وعلى هذا نلاحظ أن الله تعـــالى قد أرشدنا عن تكليفه
للانسان ، والتكليف للانســـان يكون فى مستطاعه ووسع
جهده وقدرته ٠ فالانسان العاقل هو الذى يقوم فى كل عمل
بفعله من خلال تفكيره وارادته ، ومن منطلق هذا التكليف
للانسان العاقل ، فقد أنزل له هديا من الســـماء يضبط به
سلوكه ويقوم على أساسه أفعاله وليصلح على طريقة مفاهيم
حياته ٠

---

(٤٩) القرطبى ـ التفسير جـ٣ ص ٤٣٠ ، ٤٣١ ٠
(٥٠) القائل أبو هريرة رضى الله عنه ٠
(٥١) سورة الانعام الآية رقم ١٥٢ ٠
(٥٢) سور المؤمنون الآية رقم ٦٢ ٠
(٥٣) سورة الطلاق الآية رقم ٧ ٠

ارادة الله الكونية وارادته الشرعية :

من المســـائل التاريخية التى أخـذت حيزا كبيرا من مفكرى الاسلام وغيرهم تلك التى تعلقت بالانسان هل هو مسير أو مخير ٠

ولقد بات واضحا أن الانســـان قد امتاز عن غيره دون بقية المخلوقات بالفكر والادراك والمعرفة التى توصله الى ما يسعى اليه ٠ والمولى عز وجل هو الذى خلق الانســـان وميزه على غيره بما امتاز به ، لهذا نلاحظ أن الانســـان فى هذه الحياة يعيش داخل دائرتين هما :

الدائرة الأولى : وفيها تنفذ ارادة الله ومشيئته الكونية والتى لا راد لها الا الحق جل شأنه ٠

وفى هذه الدائرة جعل الحق تبارك وتعالى الانســـان يسير بحسبها وعلى مقتضاها مسيرا لا لختيار فيه ، لانه يسير وفق نظام لا طاقة له فى مخالفته أو الخروج عنه من ذلك مثلا ما يتعلق بخلقته ككونه أبيض أو أسود ، أو طويل أو قصير أو غير ذلك من الاشياء التى لا دخل له فيها ، فكل ما يقتضيه نظام الكون والحياة من الاشـــياء التى لا دخل للانسان فيها ، لان الانسان فيها مستند الى لحاطة ارادة الله بكل ما هو كائن وما سيكون ، فهى التى تعود الى ارادة ما يفعله أو يتصرف فيه ٠

الدائرة الثانية : وهى التى تنفذ فيها ارادة الله ومشيئة الشرعية وفيها جعل الله الانسان مسئولا عن أعماله فى الدنيا والآخرة ، فكونه مستحقا لهذه المســئولية فى نظر الشرع كما هو فى الواقع - والا لما عاقبنـــا الجناة فى الدنيا ، لان هذا العقاب ناتج عن ظلمهم لانفسهم ٠

فما كان من ارادة الله ومشيئته الكونية فلا خروج لاحد عنها ولا عليها ، وما كان من ارادة الله ومشيئته الشرعية فان الله سبحانه وتعالى يطاع ويعصى ، ذلك أنه لا تعارض بين مشيئة الله تعالى وبين اقبال الانسان على العمل ومسئوليته عنه وحريته فى اختيار ما يشاء ، فحرية الانسان وسيلة وليست غاية ٠

وفى تفصيل دقيق لمسألة القضاء والقدر يفرق الامام ابن قيم الجوزية بين القضاء الكونى والقضاء الشرعى فيقول (٥٤) : فما كان من كونى فهو متعلق بربوبيته وخلقه، وما كان من الدين فهو متعلق بالاهيته وشرعه ، وهو كما أخبر عن نفسه سبحانه له الخلق والامر ، فالخلق قضاؤه وقدره وفعله ، والامر : شرعه ودينه ، فهو الذى خلق وشرع وأمر ، وأحكامه جارية على خلقه قدرا وشرعا ، ولا خروج لاحد عن حكمه الكونى القدرى ، وأما حكمه الدينى الشرعى فيعصيه الفجار والفساق ، والامران غير متلازمين ، فقد يقضى ويقدر ما لا يأمر به ولا شرعه ، وقد يشرع ويأمر بما لا يقضيه ولا يقدره ، ويجتمع الامران فيما وقع من طاعات عباده وايمانهم ، وينتفى الامران عما لم يقع من المعاصى والفسق والكفر ، وينفرد القضاء الدينى والحكم الشرعى فيما أمر به وشرعه ولم يفعله المأمور ، وينفرد الحكم الكونى فيما وقع من المعاصى ٠

اذا عرف ذلك فالقضاء فى كتاب الله نوعان : كونى قدرى ، كقوله تعالى « فلما قضينا عليه الموت » (٥٥) وقوله

---

(٥٤) الامام ابن قيم الجوزية شفاء العليل ص٥٨٥ الى ص٥٩١ تحقيق الحسانى حسن عبد الله نشر مكتبة دار التراث ـ القاهرة ٠

(٥٥) سورة سبأ الآية رقم ١٤ ٠

تعـــالى « وقضى بينهم بالحق » (٥٦) وشرعى دينى كقوله تعالى « وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه » (٥٧) أى أمر وشرع، ولو كان قضاء كونيا لما عبد غير الله .

والحكم أيضا نوعان : الحكم الكونى كقوله تعـــالى « قال رب احكم بالحق » (٥٨) أى افعل ما تنصر به عبادك وتخذل به أعداءك .

أما الحكم الدينى كقوله تعالى « ذلكم حكم الله يحكم بينكم » (٥٩) وقوله « ان الله يفعل ما يريد » (٦٠) ، وقد يرد بالمعنيين معا كقوله تعالى « ولا يشرك فى حكمه أحدا » (٦١)

فهذا يتناول حكمه الكونى وحكمه الشرعى .

والارادة أيضا نوعان : الارادة الكونية كقوله تعـــالى « فعال لما يريد » (٦٢) وقوله « واذا أردنا أن نهلك قرية »(٦٣) وقوله تعـــالى « ان كان الله يريد أن يغويكم » (٦٤) وقوله تعالى «ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض» (٦٥)

---

(٥٦) سورة الرمز الآية رقم ٦٩ .
(٥٧) سورة الاسراء الآية رقم ٢٣ .
(٥٨) سورة الانبياء الآية رقم ١١٢ .
(٥٩) سورة الممتحنة الآية رقم ١٠ .
(٦٠) سورة الحج الآية رقم ١٤ .
(٦١) سورة الكهف الآية رقم ٢٦ .
(٦٢) سورة البروج الآية رقم ١٦ .
(٦٣) سورة الاسراء الآية رقم ١٦ .
(٦٤) سورة هود الآية رقم ٣٤ .
(٦٥) سورة القصص رقم ٥ .

أما الارادة الدينية كقوله تعالى « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » (٦٦) وقوله جل شأنه « والله يريد أن يتوب عليكم » (٦٧) ٠

فلو كانت هذه الارادة كونية لما حصل العسر لاحد منا٠

وبهـذا التوضـيح يزول الاشـتباه فى مسألة الامر والارادة ، هل هما متلازمان أم لا ؟ فالواضح أن الامر هنـا يستلزم الارادة الدينية ولا يستلزم الارادة الكونية ، فانه لا يأمر الا بما يريده شرعا ودينا وقد يأمر بما لا يريده كونا وقدرا ، كايمان من أمره ولم يؤمن فالله سبحانه وتعالى قد أراد له الايمـان دينا لا كونا وهذا يدخل ضـمن الدائرة الشرعية ، فالله سبحانه وتعالى ترك اختيار الايمـان أو عدمه للانسان ، فالله سبحانه قد أراد له الايمان دينا لا كونا، لانه لو كان مرادا له كونا لكان مؤمنـا لا محالة ، ولكن الله ترك اختيار الايمان للانسان

وأما الكتابة : فنوعان أيضـا : الكتابة الكونية كقوله تعالى « كتب الله لاغلبن أنا ورسلى » (٦٨) وقوله تعـالى « ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادى الصـالحون » (٦٩) وقوله تعالى « كتب عليه أنه من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير » (٧٠) ٠

---

(٦٦) سورة البقرة الآية رقم ١٨٥ ٠

(٦٧) سورة النساء الآية رقم ٢٧ ٠

(٦٨) سورة المجادلة الآية رقم ٢١ ٠

(٦٩) سورة الانبياء الآية رقم ١٠٥ ٠

(٧٠) سورة الحج الآية رقم ٤ ٠

أما الكتابة الشرعية الامرية كقوله تعالى « كتب عليكم الصيام » (٧١) وقوله تعالى « حرمت عليكم أمهاتكم » الى قوله تعالى « كتاب الله عليكم » (٧٢) وقوله تعالى « وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس » (٧٣) فالاولى كتابة بمعنى القدر والثانية كتابة بمعنى الامر .

والامر نوعان أيضا : أمر كوني كقوله تعالى « انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون » (٧٤) وقوله تعالى « وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر » (٧٥) وقوله تعالى « وكان أمر الله مفعولا » (٧٦) وقوله « وكان أمرا مقضيا » (٧٧) وقوله « واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها » (٧٨) .

فهذا تقدير كوني لا أمر ديني شرعي ، فان الله لا يامر بالفحشاء والمعنى قضينا ذلك وقدرناه .

والامر الديني منه قوله تعالى « ان الله يأمر بالعدل والاحسان » (٧٩) وقوله تعالى « ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها » (٨٠) وهو كثير .

---

(٧١) سورة البقرة الآية رقم ١٨٣ .
(٧٢) سورة النساء الآية رقم ٢٣ ، ٢٤
(٧٣) سورة المائدة الآية رقم ٤٥ .
(٧٤) سورة يس الآية رقم ٨٢ .
(٧٥) سورة القمر الآية رقم ٥٠ .
(٧٦) سورة الاحزاب الآية رقم ٣٧ .
(٧٧) سورة مريم الآية رقم ٢١ .
(٧٨) سورة الاسراء الآية رقم ١٦ .
(٧٩) سورة النحل الآية رقم ٩٠ .
(٨٠) سورة النساء الآية رقم ٥٨ .

وأما الإذن فنوعان : الكونى كقوله تعـــالى « وما هم بضارين به من أحد الا باذن الله » (٨١) أى بمشيئته وقدره

وأما الدينى كقوله تعالى « ماقطعتم من لينه أوتركتموها قائمة على أصولها » (٨٢) أى بأمره ورضاه ·

وأما الجعل منه الكونى كقوله تعالى « انا جعلنـــا فى أعناقهم أغلالها فهى الى الأذقان فهم مقمحون ، وجعلنـــا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سـدا » (٨٣) وقوله تعـــالى « ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون » (٨٤) وقوله تعالى « والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا » (٨٥) وهو كثير ·

ومنه أيضا الجعل الدينى الشرعى كقوله تعالى «ماجعل الله من بحيرة ولا ســـائبة ولا وصيلة ولا حام » (٨٦) أى ما شرع ذلك ولا أمـر به ، والا فهو مخلوق له واقع بقـــدره ومشيئته ·

وأما قوله تعالى « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس » (٨٧) ·

---

(٨١) سورة البقرة الآية رقم ١٠٢·
(٨٢) سورة الحشر الآية رقم ٥
(٨٣) سورة يس الآية رقم ٨،٩ ·
(٨٤) سورة يس الآية رقم ١٠٠ ·
(٨٥) سورة النحل الآية رقم ٧٢ ·
(٨٦) سورة المائدة الآية رقم ١٠٣ ·
(٨٧) سورة المـائدة الآية رقم ٩٧ ·

فهذا يتناول الجعلين ، فانه جعلها كذلك بقدره وشرعه، وليس هذا استعمالا للمشترك فى معنييه ، بل اطلاق اللفظ وارادة القدر المشترك بين معنييه .

وأما الكلمات منها الكونى كقوله تعالى « وكذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون » (٨٨) وقوله « وتمت كلمـــة ربك الحســـنى على بنى اسرائيل بمـــا صبروا » (٨٩) .

وقوله ﷺ « أعوذ بكلمات الله التامات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق » (٩٠) .

فهذه كلماته الكونية التى يخلق بها ويكون ، ولوكانت الكلمات الدينية التى يأمر بها وينهى لكانت مما يجاوزهن الفجار والكفار .

وأما الدينى من الكلمات فقوله تعـــالى « وان أحد من المشركين اســـتجارك فأجره حتى يسمع كلام الله » (٩١) والمراد به القرآن الكريم ، وقوله ﷺ « اســـتحللتم فروجهن بكلمة الله » (٩٢) أى اباحته ودينه وقوله تعالى « فانكحوا ما طاب من النساء » (٩٣) .

---

(٨٨) سورة يونس الآية رقم ٣٣ .
(٨٩) سورة الاعراف الآية رقم ١٣٧
(٩٠)
(٩١) سورة التوبة الآية رقم ٦ .
(٩٢) .
٩٣) سورة النساء الآية رقم ٣

هذا وقد اجتمع النوعان في قوله تعـــالى « وصدقت بكلمات ربهـــا وكتبه » (٩٤) فكتبه كلماته التى يامر بها وينهى ويحـــرم ، وكلماته التى يخلق بهـا ويكون ، وأما التحريم فمنه الكونى كقوله تعالى « وحرمنا عليه المراضع من قبل » (٩٥) وقوله تعالى « قال فانها محرمة عليهم أربعين ســـنة » (٩٦) وقوله « وحـــرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون » (٩٧) .

ومنه الديني الشرعي كقوله تعـــالى « حرمت عليكم أمهاتكم » (٩٨) وقوله « وحرمت عليكم الميتة » (٩٩) وقوله تعالى « وحرم عليكم صيد البر مادمتم حرما » (١٠٠) وقوله « وأحل الله البيع وحرم الربوا » (١٠١) .

وأما الايتاء فمنه أيضا الكونى كقوله تعـــالى « والله يؤتى ملكه من يشاء » (١٠٢) وقوله « قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء » (١٠٣) وقوله تعالى « وآتيناهم ملكا عظيما » (١٠٤) .

---

(٩٤) سورة التحريم الآية رقم ٢٦ .
(٩٥) سورة القصص الآية رقم ١٢ .
(٩٦) سورة المائدة الآية رقم ٢٦ .
(٩٧) سورة الانبياء الآية رقم ٩٥ .
(٩٨) سورة النساء الآية رقم ٢٣ .
(٩٩) سورة المـائدة الآية رقم ٣ .
(١٠٠) سورة المـائدة الآية رقم ٩٦ .
(١٠١) سورة البقرة الآية رقم ٢٧٥ .
(١٠٢) سورة البقرة الآية رقم ٢٤٧ .
(١٠٣) سورة آل عمران الآية رقم ٢٦ .
(١٠٤) سورة النساء الآية رقم ٥٤ .

ومنه الدينى كقوله تعالى « وما آتاكم الرسول فخذوه » (١٠٥) وقوله تعالى «خذوا ما أتيناكم بقوة» (١٠٦)

وأما قوله تعالى « يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا » (١٠٧) فهذا يتناول النوعين، فانه يؤتيها من يشاء أمرا ودينا وتوفيقا والهاما .

ويقول الامام ابن قيم الجوزية « وأنبياؤه ورسله وأتباعهم حظهم من هذه الامور : الدينى منها ، وأعداؤه واقفون مع القدر الكونى ، فحيث ما مال القدر مالوا معه . والرسل وأتباعهم .. يدينون بأمره ويؤمنون بقدره .. » .

وبعد هذه الوقفة الطويلة مع الامام ابن قيم الجوزية نلاحظ أن ما كان من ارادة الله تعالى ومشيئته الكونية فلا خروج لاحد عنها ولا عليها وما كان أمره ومشيئته الشرعية فان الله سبحانه وتعالى يطاع ويعصى ذلك أنه لا تعارض بين مشيئة الله تعالى وبين اقبال الانسان على العمل ومسئوليته عنه وحريته فى اختيار ما يشاء ، فحرية الانسان وسيلة وليست غاية .

فالحق جل شأنه هو الذى ييسر لنا العمل الذى نتجه اليه ، فعلاقة عمل الانسان بقدرة الله تعالى هى كما جاء فى قول الرسول ﷺ « اعملوا فكل ميسر لما خلق له » (١٠٨) .

---

(١٠٥) سورة الحشر الآية رقم ٧ .
(١٠٦) سورة البقرة الآية رقم ٦٣ .
(١٠٧) سورة البقرة الآية رقم ٢٦٩ .
(١٠٨)

فالرسول ﷺ يدعونا الى العمل الذى نتجاوز فيه الجدل حول الجبر والاختيار ، لانه لا مهرب من مواجهة قضية العمل سواء أكان الامر جبرا أو اختيارا ، واذا كان لا مفر من قضية العمل فأولى بالمرء أن يعمل باعتباره مسئولا كما جاء فى قول الرسول ﷺ « اعملو ا» فعلم الله تعالى لا يمنع الانسان من العمل ، وأن حرية الاختيار التى منحها الله للانسان لا تتعارض مع علمه تعالى ومشيئته ، فشمول علمه تعالى وارادته وقدرته لكل شىء يدفع الانسان الى العمل الذى يترتب عليه تيسيرات من الله تعالى يمنحها للعبد (١٠٩) وربما هذا ما يوحى به قول الرسول ﷺ « اعملوا فكل ميسر لما خلق له » .

هذه هى المعالجة لهذه القضية - معالجة تبدأ من حيث انتهى الغرور العقلى الى متاهة الحيرة والغموض .

ولهذا نستطيع أن نقرر ونحن مطمئنين - أنه ليس صحيحا ما يظنه البعض من أن علم الله السابق ، أو أن ايمان المسلم بعلم الله السابق بقضائه وقدره يمنع المسلمين من العمل ويحضهم على التواكل والتكاسل .

ومن هنا جاء الدعاء الذى أرشدنا اليه الرسول ﷺ أن نتجه به الى الله فى حديث الاستخارة .

فعن جابر رضى الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة فى الامر كما يعلمنا السورة فى القرآن : يقول لنا : اذا هم أحدكم بالامر فليركع ركعتين من غير الفريضة

---

(١٠٩) الدكتور يحيى هاشم فرغل - أساسيات فى العقيدة ص ٨١ .

م يقول : اللهم انى استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك ، أسألك من فضلك العظيم ، فانك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت عــلام الغيوب ، اللهم ان كنت تعلم هذا الامر « يسميه بعينه » خيرا لى فى دينى ومعاشى ومعادى وعاقبة أمري ، فـاقدره لى ويسره لى وبـارك لى فيه ، وان كنت تعلمه شرا لى فاصرفه عنى واصرفنى عنه واقدر لى الخير حيث كان فى عاجل أمرى وآجله » (١١٠) ٠

وهكذا نلاحظ أن التاريخ يوضح لنـــا أن المســلمين الاوائل استجابوا لهدى رسول الله ﷺ ، فى هذا الموضوع ، لان العلم والعمل كان رائدهم فى ذلك كله ، كما كان ايمانهم بعلم الله تعالى وتيسيراته وايمانهم بقضاء الله تعالى وقدره - جاعلين نصب أعينهم قول الرسول ﷺ لابن عباس رضى الله عنه : ياغــلام انى اعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم ان الامة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك الا بشىء قد كتبه الله لك ، وان اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك الا بشىء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف » (١١١) ٠

وهذا هو سر عظمة الامة الاسلامية وسر ازدهارها وسر حضارتها العظيمة - لانهم عملوا بما أمر به القرآن الكريم وحض عليه الرسول ﷺ وأصحابه رضى الله عنهم أجمعين ٠

---

(١١٠) الامــام البخــارى صحيح البخــارى كتــاب الدعاء عنــد الاستخارة جـ٨ ص١٠٢ ٠

(١١١) الامــام الترمذى - السنن - كتــاب صفة القيامــة جـ٤ ص ٦٦٧ ٠

معنى الهداية والاضـــلال :

يقول الامام ابن منظور : هدى من أســـماء الله تعالى سبحانه : الهادى ٠

قال ابن الأثير هو الذى بصر عبـاده وعرفهم طريق معرفته حتى أقروا بربوبيته ، وهدى كل مخلوق الى ما لابد منه فى بقائه ودوام وجوده ٠

والهدى ضد الضلال ، وهو الرشاد والدلالة ، وأنشد ابن برى ليزيد بن خذاق :

ولقد أضاء لك الطريق وأنهجت
ســبل المكارم والهـدى تعدى

قال : أبو اســحق قوله عز وجل « قل ان هدى الله هو الهدى » (١١٢) أى الصراط الذى دعا اليه هو طريق الحق ، وقوله تعالى « ان علينا للهدى » (١١٣) أى ان علينا أن نبين طريق الهدى من طريق الضلال ، وقد هداه ، هدى ، وهديا ، وهداية ، وهدية ، وهداه للدين هدى ، وهداه يهديه فى الدين هـدى ، وقال قتـادة : فى قوله عـز وجل « وأما ثمود فهديناهم » (١١٤) أى بينا لهم طريق الهدى وطريق الضلالة « فاستحبوا العمى » أى آثروا الضلالة على الهدى ٠

قال ابن برى : يقـال : هديته الطريق بمعنى عرفته ، فيعدى الى مفعولين ، ويقال : هديته الى الطريق وللطريق

---

(١١٢) سورة البقرة الآية رقم ١٢٠ ٠
(١١٣) سورة الليل الآية رقم ١٢ ٠
(١١٤) سورة فصلت الآية رقم ١٧ ٠

على معنى أرشدته اليها فيعدى بحرف الجر كأرشدت ، قال : ويقال : هديت له الطريق على معنى بينت له الطريق وعليه قوله سبحانه وتعالى « أو لم يهد لهم » (١١٥) « وهديناه النجدين » (١١٦) وفيه « اهدنا الصراط المستقيم » (١١٧) معنى طلب الهدى منه تعالى وقد هداهم : أنهم قد رغبوا منه تعالى التثبيت على الهدى ، وفيه « وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد » وفيه « وانك لتهدى الى صراط مستقيم » .

والهدى : اخراج شيء الى شيء والهدى أيضا : الطاعة ، والورع ، والهدى الهادى في قوله عز وجل « أو أجد على النار هدى » ومنه قول الشماخ .

قد وكلت بالهدى انسان ساهمة
كأنه من تمام الظماء مسمول (١١٨)

وقد جاء أيضا في لسان العرب مادة « ضلل . الضلال والضلالة ضد الهداية والارشاد ، يقال : أضللت فلانا اذا وجهته للضلال عن الطريق، واياه أراد لبيد :

من هداه سبل الخير اهتدى
ناعم البال ومن شاء أضل

---

(١١٥) سورة السجدة الآية رقم ٢٦ .
(١١٦) سورة البلد الآية رقم ١٠ .
(١١٧) سورة الفاتحة الآية رقم ٦ .
(١١٨) الامام ابن منظور لسان العرب مادة هدى ص ٤٦٣٨ الى ص٤٦٤٢ المجلد الخامس طبعة مكتبة الصحابة بطنطا .

وكان هذا فى كلام العرب فوافق قول الله عز وجل « يضل من يشاء ويهدى من يشاء » (١١٩) .

وقد يقع أضلهم فى غير هذا الموضع - على الحمل على الضلال والدخل فيه - وقوله فى التنزيل العزيز « رب انهن أضللن كثيرا من الناس » (١٢٠) أى ضـــلوا بسببها لان الاصنام لا تفعل شيئا ولا تعقل ..

وضل الشىء : خفى وغاب .. وضـل الناس : اذا غـاب عنه حفظ الشىء ، وأضله أى أضاعه واهلكه - وفى التنزيل العزيز « ان المجرمين فى ضلال وسعر » (١٢١) أى فى هلاك

والضلال النسيان وفى التنزيل العزيز « ممن ترضون من الشهداء أن تضل احداهما فتذكر احداهما الأخرى » (١٢٢) أى تغيب عن حفظها أو يغيب حفظها عنها .

وضللت الشىء : انسيته وقوله تعالى « وما كيد الكافرين الا فى ضلال » (١٢٣) أى يذهب كيدهم باطلا ويحيق بهم ما يريده الله تعالى ؛

ورجـل ضليل كثيرا الضلال ، ومضلل لا يوفق لخير : أى ضال جدا وقيل : صاحب غوايات وبطالات ، وهو الكثير

---

(١١٩) سورة النحل الآية رقم ٩٣ .
(١٢٠) سورة ابراهيم الآية رقم ٣٦
(١٢١) سورة القمر الآية رقم ٤٧
(١٢٢) سورة البقرة الآية رقم ٢٨٢
(١٢٣) سورة غافر الآية رقم ٢٥ .

التتبع للضلال ، والضليل الذى لا يقلع عن الضـــلاله ، والضليل بوزن القنديل : المبالغ فى الضلال والكثير التتبع له (١٢٤) .

(١٢٤) لسان العرب المجلد الثالث ص٢٦٠١ الى ٢٦٠٤ .

اهمية المسألة فى القرآن الكريم :

لما كان موضوع الهداية والاضلال له مساس غير هين بواقع الانسان — لهذا كان من الواجب علينا أن نعرف واقع الانسان بين الهدى والضلال على ضـــوء ما ترشدنا اليه آيات الكتـــاب الحكيم حتى لا نضل أو نضل يقـــول امـــام الحرمين الجوينى : ان كتاب الله العزيز اشـــتمل على أى دالة على تفرد الرب تعالى بهداية الخلق واضـــلالهم وهى نصوص لابطـــال مذاهب مخالفى أهل الحـــق (١٢٥) ، فمما يعظم موقعه عليهم قوله تعالى « والله يدعو الى دار السلام ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم » (١٢٦) وقوله تعالى « انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء » (١٢٧) وقوله تعالى « فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا » (١٢٨) وقوله عز وجل « من يهد الله فهو المهتـــدى ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون » (١٢٩) يقول امام الحرمين : اعلم أن الهدى فى هذه الآى لا يتجه حمله الا على خلق الايمان وكذلك لا يتجه حمل الاضلال على غير خلق الضلال (١٣٠) ٠

---

(١٢٥) امام الحرمين الجوينى — الارشـــاد الى قواطـــع الادلة ص ٢١٠ ٠

(١٢٦) سورة يس الآية رقم ٢٥ ٠

(١٢) سورة القصص الآية رقم ٥٦ ٠

(١٢٨) سورة الانعام الآية رقم ١٢٥ ٠

(١٢٩) سورة الاعراف الآية رقم ١٧٨ ٠

(١٣٠) امـــام الحرمين الجـــوينى — الارشـــاد الى قواطـــع الادلة ص ٢١١ ٠

كذلك قد ترد كلمة الهداية ويراد بها الدعوى كما جاء فى قوله تعالى « وانك لتهدى الى صراط مستقيم » (١٣١) كما ترد ويراد بها ارشاد المؤمنين المفضية الى مسالك الجنان والطرق المفضية اليها يوم القيامة قال تعالى « فلن يضل أعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم » (١٣٣) وقال تعالى فى حق الكفار « فاهدوهم الى صراط الجحيم » (١٣٤) يقول أبو المعالي : معناه اسلكوا بهم اليها والتى يقوله تعالى وأما ثمود فهديناهم يقول أبو المعالى : انا دعوناهم فاستحبوا العمى على ما دعوا اليه من الهدى ولذلك يرى الامام ابن كثير ان معنى قول القرآن « فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ان الله عليهم بما يصنعون » (١٣٥) أى لا تأسف على ذلك فان الله حكيم فى قدره ، انما يضل من يضل ، ويهدى من يهدى لما له فى ذلك من الحجة البالغة والعلم التام ولهذا قال تعالى « ان الله عليم بما يصنعون » (١٣٦) ٠

ولذلك فقد قال أهل السنة : ان الهداية من الله تعالى على وجهين :

الأولى : من جهة ابانه الحق ، والدعوى اليه ونصب الادلة عليه وعلى هذا الوجه يصح اضافة الهداية الى

---

(١٣١) سورة الشورى الآية رقم ٥٢ ٠

(١٣٢) امام الحرمين - الارشاد ص٢١١ -

(١٣٣) سورة محمد الآية رقم ٤ ، ٥ ٠

(١٣٤) سورة الصفات الآية رقم ٢٣ ٠

(١٣٥) سورة فاطر الآية رقم ٨ ٠

(١٣٦) الامام ابن كثير التفسير العظيم ج٣ ص٥٤٨ ٠

الرسل والى كل داع الى دين الله عز وجل لانهم يرشدون أهل التكليف الى الله تعالى - وهذا تأويل قول الله عز وجل لانهم يرشدون أهل التكليف الى الله تعالى - وهذا تأويل قول الله عز وجل فى رسوله ﷺ « وانك لتهدى الى صراط مستقيم » (١٣٧) أى تدعو اليه .

الثانية : من جهة أن هداية الله سبحانه لعباده خلق الاهتداء فى قلوبهم كما جاء فى قوله تعالى « فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا » وهذا النوع من الهداية لا يقدر عليه الا الله تعالى .

والهداية الاولى من الله تعالى شاملة لجميع المكلفين ، والهداية الثانية من خاصة المهتدين ، وفى تحقيق ذلك نزل قول الله تعالى « والله يدعو الى دار السلام ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم » .

والاضلال من الله تعالى عند أهل السنة على معنى خلق الضلال فى قلوب أهل الضلال كقوله تعالى « ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا » .

وقال أهل السنة من أضله الله فبعد له ومن هداه فبفضله (١٣٨) .

---

(١٣٧) سورة الشورى الآية رقم ٥٢ .

(١٣٨) الامام عبد القادر بن طاهر البغدادى الفرق بين الفرق ص ٣٤٠ .

توجيه الاستدلال بالآيات القرآنية فى هذه المسألة .

بعد أن أشرنا الى أهمية المسألة فى الاسلام من خلال الآيات القرآنية فى هذا المقام ، نود أن نشير هنا الى بعض الآيات القرآنية التى ربما أشكل فهمها على بعض الاذهان، فقد أتت بعض آيات القرآن الكريم ، تدل على نسبة الهدى أو الضلال الى الانسان من ذلك قوله تعالى « فمن اهتدى فلنفسه ، ومن ضل فانما يضل عليها » (١٣٩) وقوله تعالى « ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد » (١٤٠) وقوله « ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل » (١٤١) وقوله تعالى « ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا » (١٤٢) وقوله جل شأنه « ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا » (١٤٣) وقوله « فان أسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ » (١٤٤) الى غير ذلك من الآيات التى تدل على نسبة الهداية الى العبد . ونسبة الضلال اليه وأنه هو الذى يضل ، ولهذا فقد أتت آيات القرآن الكريم تدل على الثواب للمهتدين ، وعلى العذاب للظالمين قال سبحانه « من عمل صالحا ، فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد » (١٤٥) وقوله سبحانه « ومن يعمل سوءا يجز به » (١٤٦) .

---

(١٣٩) سورة الزمر الآية رقم ٤١ .

(١٤٠) سورة ص الآية رقم ٢٦ .

(١٤١) سورة البقرة رقم ١٠٨ .

(١٤٢) سورة النساء الآية رقم ١١٦

(١٤٣) سورة الاحزاب الآية رقم ٣٦ .

(١٤٤) سورة آل عمران الآية رقم ٢٠ .

(١٤٥) سورة فصلت الآية رقم ٤٦ .

(١٤٦) سورة النساء الآية رقم ١٢٣

فهـذا يدل على أن من أطاع فله الثواب ، ومن أسـاء فالعقاب عليه ، فالله سبحانه وتعالى يحاسب كل انسـان على الهداية والضلال ، فالانسـان هو الذى يهتدى ، وهو الذى يضل ، فالهداية أو الضـلال من الافعال التى يهتدى اليها الانسان بفكره وادراكه أو يضل عنها بجهله ٠

وأما ما جاء من الآيات التى تدل على نسبة الهداية الى الله سبحانه وتعالى فانه يسـتفيد منها ان الله تعالى لم يجعل هدايته فى غير دينه وشريعته فيما أوحاه الى أنبيائه ورسله ، وأنه على هذا يكون هو الذى أوجد الهداية للناس قال تعالى « وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا لقد جاءت رسل ربنا بالحق » (١٤٧) ٠

وأما من كان بعيداً عن الهداية فهو ضـال قد أضله الله لبعـده عن هدايته التى جعلها فى دينه وشريعته ، وهذا المعنى نجده فى قوله تعالى « ومن يضـلل الله فلن تجد له سبيلا » (١٤٨) أى ليس له طريق يوصله الى الهداية ، وقد جاء هذا المعنى فى قوله تعـالى « ومن يضلل الله فما له من هاد » (١٤٩) ٠

وأما ما جاء من الآيات الكريمة التى ارتبطت فيهـا الهداية والضلال بارادة الله تعالى ومشيئته كما فى قوله تعالى « فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء » (١٥٠) ان القرآن الكريم يوافق بعضه بعضا ، وقد جاء فى كثير من

(١٤٧) سورة الاعراف الآية رقم ٤٣ ٠

(١٤٨) سورة النساء الآية رقم ٨٨ ٠

(١٤٩) سورة غافر الآية رقم ٣٣ ٠

(١٥٠) سورة فاطر الآية رقم ٨ ٠

آيات القرآن الكريم أن الانسان هو الذى يهتدى بفكره أو يضل بجهله ، فتكون نسبة الهداية والضلال الى مشيئة الله تعالى وارادته على معنى أن هذا أو ذاك لا يؤخذ جبرا عن الله تعالى .

وأما الآيات التى جاءت تدل على أن هنالك اناسا معينين لا يهتدون فهى نوعان :

الأولى : آيات تقص عن اناس بأنهم لم يهتدوا من ذلك ما جاء فى قوله تعالى « ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون » (١٥١) .

الثانية : آيات تذكر صفات معينة لاناس ، وأن المتصفين بهذه الصفات لا يهتدوا ماداموا متصفين بها منها قوله تعالى « ان الله لا يهدى من هو مسرف كذاب » (١٥٢) ، « والله لا يهدى القوم الظالمين » (١٥٣) ، « والله لا يهدى القوم الكافرين » (١٥٤) ، « والله لا يهدى القوم الفاسقين » (١٥٥)

فما جاء فى هذه الآيات وأشباهها صفات لقوم معينين لم يهتدوا ماداموا متصفين بهذه الصفات .

وبهذا يوضح القرآن الكريم ارتباط الهداية والضلال بحقيقة الاختيار الانسانى حتى لا يظن الجاحدون

---

(١٥١) سورة البقرة الآية رقم ٦ .
(١٥٢) سورة غافر الآية رقم ٢٨ .
(١٥٣) سورة الصف الآية رقم ٧ .
(١٥٤) سورة التوبة الآية رقم ٣٧ .
(١٥٥) سورة التوبة الآية رقم ٢٤ .

والجـــاهلون أن الامر بعيد عن أعمـــالهم ، ولهذا فقد نص القرآن الكريم على المشركين جـدلهم بالبـاطل اذ كانوا يحتجون بالقدر زاعمين أنه لو شاء الله ما أشركوا وقد نسى هؤلاء أن اختيارهم وعملهم هو الذي أدى بهم الى هذا المصير وساقهم الى هذا الهلاك قال تعالى « سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء ، كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا · قل هل عندكم من علم فتخـــرجوه لنــــا ان تتبعـــون الا الظن وان أنتم الا تخرصون » (١٥٦) .

ان تجاهل الانســـان لارادته التى أعطاها الله اياها ، وتعلله بالقدر بعد تخبطه فى عمله ، حتى يصح لهم التعلل بالقدر ، فهل أراد هؤلاء المشركون اختيار طريق التوحيد ؟ ، أم أنهم كذبوا واستكبروا وصدوا الناس عن طريق الايمان بالحق ؟ ثم جاءوا يقولون لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ، ولهذا فقد بين القرآن الكريم ان مثـــل هـذا القول ان هو الا أسلوب من أساليب التكذيب بالحق ورفض دعوة التوحيد « كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا » وهل لهؤلاء المعاندين بالباطل فى شأن القدر علم يجادلون فيه أو حجة يتقبلهـــا العقل أم هى الاوهام والظنون « قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان انتم الا تخرصون »

---

(١٥٦) سورة الانعام الآية رقم ١٤٨ .

أنواع الهداية :

بعد أن أشرنا الى أهمية مسألة الهداية والاضلال فى القرآن الكريم نشـــير هنا الى أنواع الهداية ، ولقد أفرد الامام ابن قيم الجوزية بابا خاصا فى كتابه شفاء العليل لهذه المسألة فقال أما مراتب الهدى فأربعة . أحدها : الهدى العام : وهو هداية كل نفس الى مصالح معاشها وما يقيمها، وهذه أعم مراتبه ، المرتبة الثـــانية : الهدى بمعنى البيان والدلالة والتعليم والدعوة الي مصـــالح العبد فى معاده ، وهذا خاص بالمكلفين ، وهذه المرتبـــة أخص من المرتبـــة الاولى وأعم من الثانية ، المرتبة الثالثة ، الهداية المستلزمة للاهتداء ، وهى هداية التوفيق ، ومشيئة الله لعبده ، المرتبة الرابعة : الهداية يوم المعاد الى طريق الجنة والنار (١٥٧)

ونشير الى هذه المراتب التى أشـار اليها الامام ابن قيم الجوزية فى أنواع وهى :

النوع الاول : وفيه قال المولى عز وجل « ســبح اسم ربك الأعلى الذى خلق فسوى ، والذى قدر فهدى » (١٥٨) فذكر سبحانه أربعة أمور عامة : الخلق ، والتســوية ، والتقدير ، والهداية ، وجعل التســوية من تمام الخلق ، والهداية من تمام التقدير ، فالهداية التى فى الآية الكريمة - هداية عامة وهى هداية تعليم وارشاد كما جاء فى قوله تعالى « ربنـــا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى » (١٥٩)

---

(١٥٧) الامـــام ابن قيم الجـــوزية شفاء العليـــل ص ١٤٢ تحقيق الحسانى حسن عبد الله نشر مكتبة دار التراث .

(١٥٨) سورة الاعلى الآية رقم ١،٢،٣ .

(١٥٩) سورة طـه الآية رقم ٥٠ .

فاعطاء الخلق ـ ايجـــاده فى الخارج ـ والهداية التعليم والدلالة على سبيل بقائه وما يحفظه ويقيمه ومعنى « أعطى كل شىء خلقه » قال الحسن وقتادة : أعطى كل شىء صلاحه وهداه لما يصلحه ، وقال مجاهد : أعطى كل شىء صوره ، لم يجعل خلق الانسان فى خلق البهائم ولا خلق البهائم فى خلق الانسان ، ولكن خلق كل شىء فقدره تقـــديرا ، وقال الشـــاعر :

ولـه فى كل شىء خلقــــه
وكذاك الله ما شـــاء فعل

يعنى بالخلقه الصورة ، وهو قول عطية ومقاتل ، وقال الضحاك : أعطى كل شىء خلقه من المنفعة المنوطة به المطابقة له ، وقيل أعطى كل شىء ما ألهمه من علم أو صناعة (١٦٠) .

النوع الثانى : هذا النوع من أنواع الهداية المقصود به : هداية التكليف كما جاء فى قوله تعـــالى « وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى » (١٦١) أى فهداهم الى دينه وشريعته المنـــزلة فى كتبه ، ولكنهم رفضـــوا وأعرضوا فقوله تعالى « وأما ثمود فهديناهم » أى بينا لهم الهدى والضلال «فاستحبوا العمى على الهدى» أى اختاروا الكفر على الايمان ، وقال أبو العالية : اختاروا العمى على البيان ، وقال السدى : اختاروا المعصية على الطاعة (١٦٢) . وكذا قوله تعالى « وما كان الله ليضـــل قوما بعد اذ هداهم

---

(١٦٠) الامام القرطبى ـ الجامع لاحكام القرآن جـ١١ ص٢٠٥
(١٦١) سورة فصلت الآية رقم ١٧ .
(١٦٢) تفسير القرطبى جـ١٥ ص٣٤٩ .

حتى يبين لهم ما يتقون » (١٦٣) أى : فهداهم هدى البيان والدلالة فلم يهتدوا ، فأضلهم عقوبة على ترك الاهتداء اولا بعد أن عرفوا الهدى فأعرضـــوا عنه فأعماهم عنه بعـد أن أراهموه ، وهذا شأنه سبحانه فى كل من أنعم عليه بنعمـه فكفرها ، فانه يسلبه اياها بعد أن كان نصيبه وحظه كما قال تعالى « ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » (١٦٤) وقال تعالى عن قوم فرعون « وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا » (١٦٥) أى جحدوا بآياتنا بعد أن تيقنوا صحتها وقال « كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا أن الرســول حق وجاءهم البينات والله لا يهدى القوم الظالمين » (١٦٦) ٠

فالهداية التى أثبتها الله تعالى لانبيائه ورسله وأهل دعوته ـ هى التى جعلها الله تعالى لرسوله حيث قال « وانك لتهدى الى صراط مستقيم » (١٦٧) ـ والصراط المستقيم هو الاسلام ـ أما هداية التوفيق والالهام فخاصـــة بذاته المقدسة كما فى قوله تعالى « والله يدعو الى دار الســـلام ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم » (١٦٨) ٠

فجمع سبحانه بين الهدايتين العامة والخاصة ، وهذا النوع من الهداية أخص من النوع الذى قبله ، لان فى هذا

---

(١٦٣) سورة التوبة الآية رقم ١١٥ ٠
(١٦٤) سورة الانفال الآية رقم ٥٣ ٠
(١٦٥) سورة النمل الآية رقم ١٤ ٠
(١٦٦) سورة آل عمران الآية رقم ٨٦ ٠
(١٦٧) سورة الشورى الآية رقم ٥٢ ٠
(١٦٨) سورة يونس الآية رقم ٢٥ ٠

النوع هداية تخص المكلفين ، وهى حجة الله على خلقه التى لا يعذب أحد الا بعد اقامتها عليه قال تعالى « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » (١٦٩) وقال تعالى « رســـلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجه بعد الرسل » (١٧٠)

النوع الثالث : يقصد بهذا النوع من أنواع الهداية ـ هداية التوفيق والالهام ـ وهـــذا النوع أخص من النوع الذى قبله لانه يستلزم أمرين : أحدهما فعل الرب تعـــالى وهو الهدى والثانى فعل العبد وهو الاهتداء ، فالله سبحانه وتعالى هو الهادى والعبد هو المهتدى قال تعالى « ومن يهد الله فهو المهتد » (١٧١) أى من لم يحصل على هداية التكليف لم يحصل على هداية التوفيق ، فقد قال تعالى « ان تحرص على هداهم فان الله لا يهدى من يضـــل » (١٧٢) ـ وهذا صريح فى أن هـــذا الهدى ليس له ﷺ ولو حرص عليه ، ولا الى أحد غير الله سبحانه وتعالى كما قال جل شأنه « من يضلل الله فلا هادي له » (١٧٣) وقال تعالى « ومن يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم » (١٧٤) وقال تعالى « أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضـــله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون » (١٧٥) ، وكما قال تعالى أيضـــا

(١٦٩) سورة الاسراء الآية رقم ١٥ ،

(١٧٠) سورة النساء الآية رقم ١٦٥ ،

(١٧١) سورة الاسراء الآية رقم ٩٧ ،

(١٧٢) سورة النحل الآية رقم ٣٧ ،

(١٧٣) سورة الاعراف الآية رقم ١٨٦

(١٧٤) سورة الانعام الآية رقم ٣٩ ،

(١٧٥) سورة الجاثية الآية رقم ٢٣ ،

« يضـــل به كثيرا ويهـــدى به كثيرا وما يضـــل به الا الفاسقين » (١٧٦) فالله عز وجل يضل من اتخذ الهه هواه وكان من الفاسقين كما أنه جل شأنه يهدى من اتبع سبيله ورضوانه فقد قال جل شأنه « يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم » (١٧٧) ٠

فالمولى عز وجل أمر عبـــاده كلهم أن يسألوه هدايتهم الصراط المستقيم ، كل يوم وليلة في الصـــلوات الخمس وذلك يتضـــمن الهداية الى الصراط والهداية فيه ، كما أن الضلال نوعان : ضلال عن الصراط فلا يهتدى اليه وضلال فيه ، فالاول ضلال عن معرفته والثاني ضلال عن تفاصيله أو بعضها (١٧٨) ٠

النوع الرابع : الهداية فى هذا النوع _ الهداية الى الجنة والنار يوم القيامة قال تعالى « احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم » (١٧٩) وقال تعالى « والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضل أعمـالهم سيهديهم ويصلح بالهم » (١٨٠) فهـذه هداية بعد قتلهم ، واختلفوا في المعنى فقيل : سيهديهم الى طريق الجنة ويصلح بالهم في الآخرة ، وقبول أعمـالهم ،

---

(١٧٦) سورة البقـرة الآية رقم ٢٦

(١٧٧) سورة المـائدة الآية رقم ١٦

(١٧٨) الامام ابن قيم الجوزيه شفاء العليـل ص ١٧٥ ٠ تحقيق الحسانى حسن عبد الله نشر مكتبة دار التراث ٠

(١٧٩) سورة الصافات الآية رقم ٢٢ ، ٢٣ ٠

(١٨٠) سورة محمـد الآية رقم ٤ ، ٥ ٠

وقال ابن عباس : سيهديهم الى أرشد الامور ويعصمهم أيام حياتهم فى الدنيـا ، واستشكل هذا القول ، لانه أخبر عن المقتولين فى سبيله بأنه سـيهديهم ، واختـاره الزجـاج وقال : يصلح بالهم فى المعاش وأحكام الدنيا ، قال : وأراد به : يجمع لهم خير الدنيا والآخرة ، وعلى هذا القول فلابد من حمل قوله تعالى « قتلوا فى سبيل الله » على معنى يصح معه اثبات الهداية واصلاح البال .

وهكذا نلاحظ أن الله سـبحانه وتعالى قد أقام حجته على خلقه بما أرسل اليهم من الانبياء والمرسـلين من أجل تبليغهم دعوته ، وقد جعل سبحانه وتعالى فى ذلك هدايته لخلقه لما هو خير لهم فى دنيـاهم وأخراهم ، وهدايته هذه هى هداية التكليف التى يعيش الانسـان من خلال قبولها أو رفضها بين الهدى والضلال .

والله سبحانه وتعالى هو الذى يملك الهدى ، وهو الذى يعطيه لمن يأخذ بأسبابه ، ولمن يبدأ السير فى طريقه عند ذلك يمن الله عليه بالهداية الحقيقية ، وباليقين التام وذلك كما جاء فى قوله تعـالى « والذين جاهدوا فينـا لنهـدينهم سبلنا » (١٨١) وقوله تعالى « يهدى به الله من اتبع رضوانه سـبل السـلام » (١٨٢) وقوله تعالى « ويهدى اليه من أنـاب » (١٨٣) وقوله تعـالى « هـدى وذكرى لأولى الالباب » (١٨٤) .

---

(١٨١) سورة العنكبوت الآية رقـم ٦٩

(١٨٢) سورة المـائدة الآية رقم ١٦ .

(١٨٣) سورة الرعـد الآية رقم ٢٧ .

(١٨٤) سورة غافر الآية رقم ٥٤ .

ولهذا فقد أدرك أئمتنا السـابقون رضوان الله عليهم أجمعين أن الهداية منحة من الله تعالى بما يقذفه الله تعالى فى القلب من نور الايمان والتصديق رأى ذلك وقرره الامام أبو حنيفة ، كما وجده وجر به الامام الغزالى وغيرهما من أئمة الهدى والرشاد (١٨٥) ٠

أما أولئك الذين يأخذون بأسباب الضلال ، فان الهدى محجـوب عنهم لقوله تعـالى « والله لا يهـدى القـوم الظالمين » (١٨٦) وقوله «والله لا يهدى القوم الفاسقين» (١٨٧) وقوله « والله لا يهدى القوم الكافرين » (١٨٨) ٠

وهكذا نلاحظ أن أسباب الهدى بينه ، وأسباب الضلال بينه ، أسباب الهدى ، تكمن فى توجه الرغبة الى الهدايـة والاخلاص فى طلبها ، كما تكمن فى تجرد النفس والقلب من العناد والهوى ٠

أما أسباب الضلال فتكمن فى عكس ذلك مما أسـماه الحق تبارك وتعالى ظلما ، وفسقا ، وكفرا ، وكذبا ، واسرافا

فالهدى يعطيه الله تعالى لمن يسـتحق ممن يأخذون بأسبابه ، أما الاستقلال عن الله فمن أسباب الضلال والهلاك

---

(١٨٥) الدكتـور يحيى هاشـم فـرغل - أساسيات فى العقدة ص ٨٥ ٠

(١٨٦) سورة الصف الآية رقم ٧ ٠

(١٨٧) سورة التوبة الآية رقم ٢٤ ٠

(١٨٨) سورة التوبة الآية رقـم ٣٧ ٠

وقانا الله شر الضلال والهلاك ، ووفقنا للعمل بما جاء في كتابه الكريم وسنة رسوله الامين ، وصدق الله العظيم اذ يقول « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم » (١٨٩) .

(١٨٩) سورة المائدة الآية رقم ١٥ ، ١٦ .

أهم المصادر والمراجع

القرآن الكريم :

١ - الامام مسلم صحيح مسلم تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى طبعة الحلبى .

٢ - الإمام البخارى صحيح البخارى طبعة الشعب ١٣٧٨ هـ .

٣ - الامام ابن ماجه سنن الحافظ طبعة احياء التراث العربى والحلبى .

٤ - الامام السيوطى . صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام تحقيق الدكتور على سامى النشار وآخر مجمع البحوث الاسلامية دار النصر للطباعة ١٩٧٠ م

٥ - الإمام القرطبى الجامع لأحكام القرآن نشر دار الكتاب العربى للطباعة سنة ١٣٨٧هـ ١٩٦٧م .

٦ - الامام ابن كثير - تفسير القرآن العظيم سنة ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م

[illegible]

٨ - الامام الرازى شرح اسماء الله الحسنى

٩ - الامام الغزالى - الاقتصاد فى الاعتقاد طبعة صبيح ١٣٢٢ هـ .

١٠ - الامام الغزالى - المنقذ من الضلال تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود - نشر دار الكتب الحديثة - الطبعة الثانية سنة ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٠ م .

١١ ـ الامام ابن قيم الجوزية ـ الصواعق المرسلة طبعة دار البيان بعابدين سنة ١٩٨١ م ٠

١٢ ـ الامام ابن قيم الجوزية ـ شفاء العليل تحقيق الحسانى حسن عبد الله دار التراث بالقاهرة ٠

١٣ ـ الامام ابن تيمية ـ المنحة الالهية فى شرح العقيدة الوسطية تحقيق الدكتور على مصطفى الغرابى طبعة صبيح سنة ١٣٧٣ هـ ـ ١٩٦٣ م ٠

١٤ ـ الامام عبد القادر بن طاهر البغدادى ـ الفرق بين الفرق تحقيق الشيخ محى الدين عبد الحميد ـ دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت لبنان ٠

١٥ ـ الامام ابراهيم البيجورى ـ شرح البيجورى على الجوهرة طبع القاهرة سنة ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ م

١٦ ـ الامام سعد الدين التفتازانى ـ شرح المقاصد طبع المطبعة العامرة ١٢٧٧ هـ ٠

١٧ ـ الامام الجوينى ـ الارشاد الى قواطع الأدلة فى أصول الاعتقاد ـ تحقيق الدكتور محمد يوسف موسى وآخر ـ نشر مكتبة الخانجى ـ بمصر ومطبعة السعادة سنة ١٣٦١هـ ـ ١٩٥٠م ٠

١٨ ـ الامام الجوينى ـ العقيدة النظامية تحقيق الدكتور محمد عبد الفضيل القوصى ـ دار الطباعة المحمدية الطبعة الأولى ٠

١٩ ـ الامام أبو الحسن الأشعرى ـ مقالات الاسلاميين تحقيق الشيخ محى الدين عبد الحميد ـ مكتبة النهضة المصريه ـ الطبعة الأولى سنة ١٣٨٩ هـ ـ ١٩٦٩ ٠

٢٠ ـ الامام أبو الحسن الأشعرى ـ اللمع فى الرد على أهل الزيغ والبدع تحقيق الدكتور حمودة غـرابة مطبوعات مجمع البحوث الاسلامية ١٩٧٥ م ٠

٢١ ـ الامام الشـــهر ســتانى ـ الملل والنحل تحقيق الأستاذ ـ عبد العزيز الوكيل نشر مؤسسة الحلبى ٠

٢٢ ـ الامام الشهر ستانى ـ نهاية الاقدام فى علم الكلام تحقيق الفرد جيوم ٠

٢٣ ـ الامام أبو المظفر الاسفراينى ـ التبصير فى الدين تحقيق الشيخ محمد زاهر الكوثرى مطبعة الانوار الطبعـة الأولى سنة ١٣٥٩ هـ ـ ١٩٤٠ م ٠

٢٤ ـ الامام على ابن أبى العز شرح الطحـاوية تحقيق احمد محمد شاكر مطبوعـات جـامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ١٤٠٣ هـ ٠

٢٥ ـ الشيخ محمد رشيد رضا ـ تفسير القرآن الكريم الشهير بتفسير المنار للامام محمد عبده ٠

٢٦ ـ ابن خلدون المقدمة طبع دار الشعب ٠

٢٧ ـ الامام ابن منظور لسان العرب نشر مكتبة الصحابة بطنطا ٠

٢٨ - الامام عضد الدين الايجى - المواقف فى علم الكلام - عالم الكتب بيروت لبنان ٠

٢٩ - ابن رشد مناهج الأدلة فى عقائد أهل الملة تحقيق الدكتور محمود قاسم مطبعة مخيمر الطبعة الثانية ١٩٤ م ٠

٣٠ ابن سينا - الاشارات والشبهات بشرحى الطوسى والرازى المطبعة الخيرية ١٣٢٥ هـ ٠

٣١ - الامام محمد ابن أبى بكر الرازى مختار الصحاح - طبع الحلبى سنة ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨ م ٠

٣٣ - الامام الاكبر الدكتور عبد الحليم محمود - التفكير الفلسفى - مكتبة الانجلو المصرية الطبعة الثالثة سنة ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٨ م ٠

٣٤ - الدكتور محمد يوسف موسى - القرآن والفلسفة - دار المعارف بمصر الطبعة الرابعة ١٩٨٢ م ٠

٣٥ - الامام محمد عبده - رسالة التوحيد - تحقيق الشيخ محى الدين عبد الحميد نشر شصبيح بسنة ١٣٨٦ م - ١٩٦٦ م ٠

٣٦ - الشهيد السيد قطب - خصائص التصور الاسلامى - دار الشروق الطبعة الخامسة سنة ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م ٠

٣٧ - الدكتور محمد البهى - الجانب الالهى من التفكير الاسلامى - دار الفكر بيروت الطبعة الخامسة سنة ١٣٩١ هـ - ١٩٧٢ م ٠

٣٨ ـ الشيخ محمد الغزالي في عقيدة المسلم الطبعة الرابعة سنة ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م .

٣٩ ـ الدكتور على سامى النشار ـ نشأة الفكر الفلسفى فى الاسلام دار المعارف بمصر الطبعة الثانية ١٩٨١م .

٤٠ ـ الاستاذ عباس محمود العقاد ـ التفكير فريضة اسلامية ـ دار العلم الطبعة الأولى .

٤١ ـ الاستاذ عباس محمود العقاد ـ عقائد المفكرين ـ مطبعة الاستقلال الكبرى .

٤٢ ـ الاستاذ ـ وحيد الدين خان ـ الاسلام يتحدى ـ المختار الاسلامى الطبعة الرابعة .

٤٣ ـ الدكتور عبد المعطى بيومى ـ الفلسفة الاسلامية فى المشرق والمغرب دار الطباعة المحمدية بالأزهر الطبعة الأولى ١٩٧٣ م .

٤٤ ـ الدكتور يحيى هاشم فرغل ـ عوامل وأهداف نشأة ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢ م .

٤٥ ـ الدكتور يحيى هاشم فرغل ـ نشأة الآراء والمذاهب والفرق الكلامية طبع مجمع البحوث الاسلامية سنة ١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٢ م .

٤٦ ـ الدكتور يحيى هاشم فرغل ـ الأسس المنهجية لبناء العقيدة الاسلامية دار الفكر ١٩٧٨ م .

٤٧ ـ الدكتور يحيى هاشم فرغل ـ مداخل الى العقيدة الاسلامية ـ مطبعة التقدم ١٩٨٥ .

٤٨ - الدكتور عبد الله يوسف الشاذلى - الألوهية فى الفكر الاسلامى طبعة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٢ م .

٤٩ - الدكتور عبد الحليم أحمدى - العقيدة الاسلامية - البيرق للطباعة والنشر - الكويت .

٥٠ - الدكتور احمد أبو السعادات - دراسات فى العقيدة الاسلامية مطبعة النهضة العربية الطبعة الأولى سنة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

٥١ - الفيلسوف محمد اقبال تجديد الفكر الدينى فى الاسلام ترجمة عباس محمود طبع لجنة التأليف والترجمة .

٥٢ - الدكتور زكريا ابراهيم كانت أو الفلسفة النقدية نشر مكتبة مصر ١٩٧٢ م .

٥٣ - الأستاذ عبد الكريم الخطيب - القضاء والقدر بين الدين والفلسفة دار الفكر العربى ١٩٦١ .

٥٤ - الدكتور رزق الطويل - العقيدة فى الاسلام طبع المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ١٩٨٠ .

٥٥ - الدكتور محمود عثمان - الفكر المادى الحديث وموقف الاسلام منه مطبعة حسان ١٩٧٧ م .

٥٦ - الدكتور محمد غلاب - المعرفة عند مفكرى الاسلام - دار الجيل للطباعة ١٩٦٦ م .

٥٧ ـ الدكتور محمد عبد الفضيل القوصى ـ جوانب من التراث الفلسفى فى الاسلام دار الطباعة المحمدية بالأزهر ـ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٤ م ٠

٥٨ ـ الدكتور ـ محى الدين الصافى ـ قضية التوفيق بين الدين والفلسفة عند مفكرى الاسلام ـ دار الطباعة المحمدية الطبعة الأولى سنة ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٢ م ٠

٥٩ ـ الشيخ السيد سابق ـ العقائد الاسلامية ـ دار الفكر بيروت سنة ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م ٠

٦٠ ـ الشيخ طنطاوى جوهر ـ القرآن والعلوم العصرية طبع الحلبى ١٣٧١ هـ ـ ١٩٥١ م ٠

٦١ ـ الدكتور ـ محمد عبد الله دراز ـ الدين مطبعة السعادة سنة ١٣٨٢ هـ ـ ١٩٦٩ م ٠

٦٢ ـ الدكتور محمود حب الله ـ الحياة الوجدانية والعقيدة الدينية .

٦٣ ـ الشيخ نديم الجسر ـ الجواب الالهى ٠

٦٤ ـ الدكتور سعد الدين صالح ـ العقائد الاسلامية ـ دار الهدى للطباعة ـ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م ٠

فهرس الموضــــوعات

الموضـــوع	رقم الصفحة

- تم بحمد الله وتوفيقه

رقم الايداع ٨٨/٨٦١٣